الصحافة والصحف

عبد الله حسين

تقديم

د. خالد محمد غازي

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب ١٩٤٨

الكتاب: الصحافة والصحف

الكاتب: عبد الله حسين

تقديم : د. خالد محمد غازي

الطبعة: ٢٠١٨

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة
جمهورية مصر العربية
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣
E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com

APA

دار الكتب المصرية
فهرسة إثناء النشر

حسين ، عبد الله
الصحافة والصحف / عبد الله حسين
– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.
٢٥٨ ص، ١٨ سم.
الترقيم الدولى: ٨ – ٧٥٢ – ٤٤٦ – ٩٧٧– ٩٧٨
أ – العنوان رقم الإيداع : ٨٤٥٨ / ٢٠١٨

الصحافة والصحف





تقديم

الصحافة هي المهنة التي تقوم على جمع وتحليل الأخبار والتحقق من مصداقيتها وتقديمها للجمهور، وغالباً ما تكون هذه الأخبار مُتعلقة بمستجدات الأحداث على الساحة السياسية أو المحلية أو الثقافية أو الرياضية أو الاجتماعية وغيرها.

وارتبطت الصحافة ببدايات خلق الإنسان؛ فعندما خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان خلق معه غريزة حُب الاستطلاع والبحث والتطلع لمعرفة كُل ما يدور حوله؛ ومعرفة كُل ما هو جديد في الحياة للاطمئنان إلى البيئة التي يعيش فيها داخلياً وخارجياً.

وما إن عرف الإنسان اللغة والتواصل مع الآخرين حتى نشأت عنده حاجة لأن يقول للآخرين ماذا يفعل، وما يُفكر فيه، ويعرف منهم كذلك ماذا يفعلون، وما يُفكرون فيه لأن طبيعة الإنسان الاجتماعية تجعله يهتم بما يدور حوله، ولا يستطيع الحياة وحده، فكان لابد من إيجاد وسيلة للتعبير عن آرائه وآماله وآلامه فكانت الصحافة هي ما يبحث عنه وكانت أداة لا بد منها.

والصحافة بمعنى نقل الأخبار قديمة قدم الدنيا وليست النقوش الحجرية في مصر والصين وعند العرب القُدماء وغيرهم من الأمم العريقة

إلاّ ضرباً من ضروب الصحافة في العصور القديمة، ولعل أوراق البردي المصرية من أربعة آلاف عام كانت نوعاً من النشر أو الإعلام أو الصحافة القديمة.. وكانت الأخبار في هذه العصور الأولى خليطاً من الخيال والواقع تمشياً مع رغبات السامعين، بُغية التسلية، وأيضاً للإشادة بالبطولة والقوة، وكان هذا اللون من القصص كثير التداول بين الناس ويُعمر طويلاً، وينتقل من جيل إلى جيل على صورة القصص الشعبية الفولكلورية.

ولو صح ما قاله المؤرخ يوسف فلافيوس أنه كان للبابليين مؤرخون مُكلفون بتسجيل الحوادث التي اعتمد عليها نيروز في القرن الثالث قبل الميلاد في كتابه "تاريخ الكلدانيين"، لتبين أن الصحافة كظاهرة اجتماعية قديمة جداً عُرفت بالعصور السحيقة.

ويقال أن الصحافة بدأت في صورة الأوامر، التي كانت الحكومات توفد بها رسلها مكتوبة على ورق البردي إلى كل إقليم. وكان لهؤلاء الرُسل محطات مُعينة يتجهون إليها، بما يحملون من الرسائل، ولهم جياد في كل محطة، وما أن تصل الرسالة إلى حاكم الإقليم حتى يُذيع ما فيها على سُكان إقليمه، وقد يلجأ في بعض الأحيان إلى إطلاق المنادين ينادون بما فيها.

استخدمت الحكومات كذلك النقش على الحجر، وكان لا بد لها حينئذ من أحجار عدة، تُنقش على كل واحد منها نُسخة مما تُريد تبليغه

لمن تُريد، ثُم تبعث بها إلى حيث تُوضع في المعابد التي يكثر تردد الناس عليها، ومن هذه الأحجار حجر رشيد المشهور الذي كان وسيلة للوقوف على سر الكتابة المصرية، وقد وجدت من هذا الحجر لمنتصف القرن العشرين نسختان إحداهما أخذها الإنجليز أثناء حملة بونابرت، ووضعوها في المتحف البريطاني، والثانية عُثر عليها بعد ذلك وهي توجد الآن في المتحف المصري.. وكان حجر رشيد مكتوباً بثلاثة خطوط هي اليونانية والديموطيقية والهيروغليفية، ويعود حجر رشيد إلى عهد بطليموس الخامس في نحو ١٩٦ قبل الميلاد. وكان الغرض من كتابته هو إذاعة قرار أصدره المجمع الديني في مدينة ممفيس، فكان الخط اليوناني لليونانيين، والخط الديموطيقي لعامة الشعب، والخط الهيروغليفي للكهنة، وبذلك يُمكن القول أن حجر رشيد كان جريدة واسعة الانتشار. ولا يقتصر الأمر على مصر فقط ففي معرض الصحافة في كولونيا بألمانيا عام ١٩٢٨ م وجدت قطعة من الحجر عُثر عليها في جزيرة كريت، ويرجع تاريخها إلى القرن الخامس ق.م، نُقش عليها باليونانية القديمة دعوة إلى وليمة. كما عُثر على قطعة أخرى من الخشب في أستراليا يرجع تاريخها إلى أكثر من ألفي عام، وعليها دعوة إلى وليمة أخرى، وهذا يُشبه ما تنشره الصحف الآن من أخبار الزواج والولائم والدعوة إليها.

تُعد الرسائل الإخبارية المنسوخة المظهر البدائي أو الأولي للصحافة مُنذ الحضارات الشرقية القديمة، وهناك أوراق مصرية من البردي الفرعوني يرجع تاريخها إلى أربعة آلاف سنة قبل الميلاد، وتتضح

فيها الحاسة الصحفية لإثارة الميول عند القُراء وجذب انتباههم، وعلى واجهة معبد هيبس يوجد نقش فيه بنود قانون يُحدد العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وهو ضمان لسير العدالة، وإيضاح لقواعد جباية الأموال، وإنذار بالعقاب عن الجرائم المُتفشية وأهمها الرشوة، والبلاغ الكاذب.

كما يُؤكد المؤرخ اليهودي يوسف فلافيوس أنه كان للبابليين مؤرخون مُكلفون بتسجيل الحوادث، شأنهم في ذلك، شأن الصحفيين في العالم الحديث. ولقد كان لبابل في العصور القديمة شهرة منف وطيبة في مصر الفرعونية. وبلغت أوج مجدها في عهد الملك حمورابي عام ٢١٠٠ ق. م الذي تُنسب إليه أول صحيفة ظهرت في العالم وهي مجموعة حمورابي للقوانين التي عدها عُلماء تاريخ القانون أول صحيفة لتداول القوانين مثل صحيفة الوقائع المصرية، وغيرها من الصحف الرسمية التي تنشر القوانين، واللوائح، والقرارات الخاصة بالدولة.. كما عرفت مُعظم الحضارات القديمة كالصينية والإغريقية والرومانية الخبر المخطوط، فقد أصدر يوليوس قيصر عقب توليه السلطة، عام ٥٩ ق. م صحيفة مخطوطة اسمها أكتاديورنا أي "الأحداث اليومية". يُكتب فيها أخبار مداولات مجلس الشيوخ، وأخبار الحملات الحربية، وبعض الأخبار الاجتماعية، مثل الزواج والمواليد والفضائح، وأخبار الجرائم والتكهنات. وكان للصحيفة مُراسلون، في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية، وكانوا غالباً من موظفي الدولة.

أما عن بداية ظهور الصحافة في أوروبا فلقد كانت بالعصور الوسطى، وكان البابا يُسجل أحداث العام على سبورة بيضاء ويعرضها في داره حيث يحضر المواطنون للإحاطة بما فيها. وعندما زاد النفوذ البابوي أصبح القول الشفهي والسبورة غير كافيين فنشأت النشرة العامة، وهي لون من الأوراق العامة، لعلها أصل الجريدة الرسمية الحالية؛ ومن ثم حلت النشرة الدورية محل الحوليات الكُبرى.

استمر استخدام الرسائل الإخبارية المنسوخة طوال العصور الوسطى لخدمة التجارة، بين المدن الأوروبية المختلفة، وأصبحت مدينة "فيينا" مركزاً لهذه الخطابات، وأصبح هُناك كُتاب مهنتهم كتابة الأخبار، أو الرسائل الإخبارية في جميع المدن الكبرى، وفي إنجلترا خاصة ظهر ما يسمى بالوريقات الإخبارية أثناء حرب الثلاثين (١٦١٨ . ١٦٤٨).. أما عن بداية ظهور الجريدة بشكلها الحالي فيقول الفيكونت دافنل، (وهو مُفكر فرنسي):

إن الجريدة في نشأتها الأولى عند بدء اختراع الطباعة، كانت تُطبع في ورقة واحدة في كل أربع وعشرين ساعة حاوية كل الأخبار المهمة، وكان نشر الأخبار عن الفكرة الأولى لإنشاء الصحف. ثُم تطورت الصحافة حتى أصبحت الجريدة الصلة بين الزعماء والشعب، والوسيلة لنشر الدعايات والأفكار الجديدة، فالصحيفة بمثابة ملك أو ذي نفوذ وسلطان لها جمهورها الذي يتلهف على قراءتها؛ فالجريدة القوية ذات

المُحرر الماهر الذي يعرف كيف يجتذب القُراء هي قوة هائلة لا شبيه لها في الدولة الديمقراطية..

ومن أجل أهمية ومكانة الجريدة وقوة الصحف والصحافة قام كاتب هذا الكتاب الذي بين أيدينا بكتابة هذا الكتاب الكنز الذي يُثري المكتبة العربية بتاريخ حافل للصُحف والمجلات مُنذ بدايات نشأتها مُنذ عهد الفراعنة والإغريق والرومان، وحتى أواسط القرن العشرين مُستعرضاً أدق الدقائق لبدايات نشأة عدد كبير من الصحف والمجلات التي يُشار إليها بالبنان الآن..

ومؤلف الكتاب الأستاذ عبد الله حسين ، وقد عمل بالصحافة والمحاماة والسياسة وبرز في كل منها؛ ولكن روحه الصحفية طغت على الناحيتين الأخريين، حتى أصبح في الطليعة من رجال الصحافة؛ فكانت كتاباته فيها موسومة بطابع الاتزان وحسن الفهم ودقة التفكير ونزاهة القصد وجمال الأسلوب وخفة التعبير.

وقد شاهدت الأقدار أن يكون آخر عمل له في حياته ذلك الكتاب، الذي صجرت طبعته الأولى عام ١٩٤٨ وفيه يؤرخ فيه للصحافة ويحدثنا عنها علماً وفناً. وعن الصحف أداة إخبار وتعليم وتهذيب ، وفيه خلاصة لخبرة وتجربة المؤلف الصحفية والفكرية .

د. خالد محمد غازي

كلمة المؤلف

تستأثر الصحافة اليوم بالمكانة العالية وقد لقبها بصاحبة الجلالة، وعدُّوها السلطة الرابعة في الدولة، وقد أصبحت الصحافة اليوم حرفةً وفناً وعلماً وصناعة، كما أنها أمست محوراً تدور عليه مختلف شئون الحياة من عامة وخاصة .

من أجل هذا رأينا أن نجول حول الصحف في: مصر والسودان والبلاد العربية والبلاد الأخرى، جولة، نقتطف خلالها من أزاهير الصحافة زهوراً، ونتناول من ثمارها طعاماً شهياً، ونؤدي للقراء بعض الواجب لجلاء سر هذا الكائن العجيب في مبنى الدول والأمم والمشروعات، مشاركين من سبقونا في مجهودهم، مستزيدين غيرنا في إتمام هذه الرسالة النبيلة.

عبدالله حسين

١٩٤٧

الفصل الاول

نشأة الصحافة

الصحيفة، من مجلة دورية وجريدة سيارة، هي ذلك الكتاب الذي يطالعنا في موعده، صباحاً كان أم ظهراً أم عصراً أم مساءً، أم أسبوعيًّا أم شهريًّا، أم دوريًّا كل ثلاثة أشهر أو نحو ذلك. إنه كتاب يختلف عن الكتب العادية التي نقرأها ونودعها خزاناتنا، إنه كتاب جارٍ دوار سيار، يصيد كل ما يقع عليه شباكه، ويبادر إلى عرضه في عجلة ولهفة، شعاره: عدم فوات الوقت. وعدم إضاعة الفرصة، فالقارىء العادي يجد فيه بغيته من الأنباء والبحوث العامة الملخصة والتاجر يتناول منه أنباء السوق التجارية ورأي الإختصاصيين في الحركة الاقتصادية، والعالم يقف على أنباء المخترعات الحديثة ودراسات الإختصاصيين فيها، والرياضي يعلم أنباء المباريات ونشاط الأبطال ومواعيد الحلبات، والسياسي يحيط بالتطور السياسي المحلي والخارجي ويبني على ما يعلمه خطته وموقفه،

والطالب يدرك الصلة بين دروسه وبين هذا العالم الدوار السيار والعامل يفوز بدرس حياة الناس وحياة العمال الآخرين.

* * *

وهذه العناوين الكبيرة المسترعية للأنظار، هذه السطور المتراصة، هذه الكلمات المطبوعة، هذه الجمل المتدفقة. هذه النيران المتأججة في بطون النداءات والانتقالات والخطب. هذا الطعام الدسم و هذا الحلو القريب التناول، هذا المرطب المهدىء للأعصاب.

هذا النبض المتحرك في سرعة بالغة، أو المتباطىء في تؤدة متابعة. هذا الخير، هذا الشر، هذا الصحيح، وهذا الباطل، هذا الغلو وهذا الإيجاز والغموض. هذا بعض ما تؤديه الصحيفة لنا، حين نرقبها، وحين نقرأها وحين نستعيدها، وحين نعقب عليها. هي حياة زاخرة، حافلة بل قل إنها هي الحياة بحذافيرها.

* * *

أما عن النشأة الأولى لهذا الوليد، حين كان سعيداً وحين يكون شقيًّا، فأصدق ما يقال لا يعرف على وجه الدقة، متى بدأت الصحافة وكيف بدأت؟ وحسبنا أن نذكر عند المتحدثين عن الصحافة، أنها قد بدأت في صورة الأوامر والتبليغات التي كانت الحكومات تعمد إلى إذاعتها على الجمهور شفهياً. وكان طريقة الإذاعة إيفاد رسل يحملون مكاتيب مكتوبة على ورق البردى إلى كل إقليم. وكان هؤلاء الرسل في

حركة دائمة. وكانت لهم محطات معينة يتجهون إليها بما يحملون من الرسائل. وكانت لهم جياد في كل محطة من هذه المحطات. ومتى وصلت الرسالة إلى حاكم الإقليم أذاع ما فيها على سكان إقليمه، وقد يلجأ في بعض الأحيان إلى إطلاق المنادين ينادون بما فيها. ولقد كانت الإذاعة على أيدي المنادين طريقة منتشرة في مصر إلى سنين. وأنها ما زالت تستخدم إلى وقتنا هذا في بعض القرى. و أخص ما تستخدم فيه نعي المتوفين الى أهل القرية كي يجتمعوا ويشيعوا المتوفى.

ولكن الحكومة كانت لديها تبليغات أخرى ليس من الضروري أن تريد لها الإذاعة على عجل، أو هي تريد لها هذه الإذاعة ثم تريد لها إلى جانبها إذاعة أقوى، فكيف كانت وسيلتها إلى ذلك؟

كانت وسيلتها النقش على الحجر، وكان لا بد لها حينئذ من أحجار عدة تنقش على كل واحد منها نسخة من التبليغ الذي تريده ثم تبعث بها إلى حيث توضع في المعابد التي يكثر تردد الناس عليها.

ومن هذه الأحجار حجر رشيد المشهور، والذي كان وسيلة للوقوف على سر الكتابة المصرية. وقد وجدت من هذا الحجر إلى الآن نسختان إحداهما هي التي أخذها الإنجليز في حملة بونابرت، ووضعوها في المتحف البريطاني، والثانية عثر عليها بعد ذلك وهي توجد الآن في المتحف المصري. ولقد كان حجر رشيد مكتوباً بثلاثة خطوط: اليوناني والديموطيقي والهيروغليفي. وهذان الخطان الأخيران من خطوط اللغة

العربية، وإنما كتب الحجر بلغتين وثلاثة خطوط لأنه كتب في عهد بطليموس الخامس في نحو سنة ١٩٦ قبل الميلاد وكان الغرض من كتابه إذاعة قرار أصدره المجمع الديني في مدينة ممفيس لمصلحة بطليموس هذا، فكان الخط اليوناني لليونانيين، والخط الديموطيقي لعامة الشعب، والخط الهيروغليفي للكهنة. وبذلك يسعنا أن نقول عن حجر رشيد كان جريدة واسعة الانتشار .

على أنه ينبغي أن نذكر أن مصر لم تنفرد باستخدام النقش على الحجر لإذاعة التبليغات والأخبار، إذ كان في معرض الصحافة في كولونيا (بألمانيا) في ١٩٢٨ قطعة من الحجر وجدت في جزيرة كريت، ويرجع تاريخها إلى ما قبل المدنية اليونانية، وقد حفرت عليها إشارات ورموز، فلما قرئت هذه الإشارات والرموز عرفت أنها دعوة إلى وليمة. وإلى جانب هذه القطعة أخرى من الخشب وجدت في أستراليا ويرجع تاريخها إلى أكثر من ألفي سنة، وعليها نقوش هي أيضا دعوة إلى وليمة؛ فهاتان الدعوتان على الحجر والخشب هما إذن الجد العلي، الذي نعرفه، لما تنشره الصحف الآن من أخبار الزواج و الولائم والدعوة إليها.

وقد كانت الصحافة، إلى ما قبل اختراع المطبعة في القرن السادس عشر، تختلط بالكتابة وبالبريد، فتاريخها في تلك العصور القديمة هو تاريخهما، أما بعد اختراع المطبعة فقد انفصلت الصحافة عن الكتابة

وعن البريد، وصارت شيئاً ضخماً مستقلاً بذاته، ليست الكتابة وليس البريد إلا بعض أدواته.[١]

أقدم جريدة في العالم

ليس من الميسور معرفة نشأة أول جريدة صدرت في العالم، ومما يقال إن جريدة رومانية صدرت في عام ٥٨ ق . م باسم (الأعمال الرسمية) أو (الوقائع الرسمية) وأن الإمبراطور يوليوس هو الذي أسسها وأمر كبار موظفي دولته أن يدونوا جميع أعمالهم اليومية على لوح يعلق في الميادين العامة. كذلك صدرت في روما صحيفة أخرى غير رسمية وقد انتشرت انتشاراً واسعا، وكانت ذات ثلاثة أبواب. يتناول أولها الشؤون السياسية وأمور الدولة والأقاليم وميادين القتال. وثانيهما أحبار الدواوين والمحاكم والأحزاب.

وثالثهما الأخبار العامة كأخبار الزواج، الوفيات، وحوادث الطلاق، وما إلى ذلك. ويبدو أن هذه الصحيفة كانت تكتب بلغة أثارت انتقاد علماء اللغة في ذلك العصر. كما شكا منها الفليسوف سنيكا لأنها تتوسع في نشر حوادث الطلاق وفي تفصيل فضائحها ونؤثر أن تنقل من نسخة هذه الصحيفة منقولة في كتاب تاريخي بعض النبذ التي جاءت فيها: (اجتمع اليوم لفيف من القضاة في منزل القنصل سيسينيوس) (هبت العاصفة أسس على أكمة فيلي. وانقضت صاعقة على سندبانة

[١] المحاضرات الصحيفة فى ١٩٣٦

عند سفح تلك الأكمة). (وقعت مشاجرة عظيمة في حانة على أكمة جانوس فأصيب صاحب الحافة بجراح خطرة). (عوقب أمس عدة من الجزارين لبيعهم لحوما قبل فحصها . وستستعمل الغرامات التي أخذت منه لبناء معبد الآلهة للإله لافرنا). وقبضت شرطة نيوفا على اللص دميفون ونفذت فيه حكم الصلب في اليوم عينه). (وصل اليوم الأسطول قادماً من سواحل آسيا)..

أما أول جريدة ظهرت في بلاد الصين؛ فهي جريدة تصدر الآن يومية اسمها (كين بين kine Bane) وكانت لسان الحكومة وصدرت في ٩١١ وأما أول مجلة في الصين (تسين راو) أي (المجلة) وقد صدرت في القرن السادس.

وكانت جريدة (كين بين) في بدء صدورها شهرية أيضا ثم ازداد انتشارها، وتعددت موضوعاتها التي كانت تراعى فيها ميول الخاصة والعامة فصدرت منذ عام ١٨٣٠ يومية. ونظراً لانتشارها المطرد أصبحت تصدر ثلاث مرات في اليوم على ورق ملون لكل طبعة ورقها الخاص. فطبعة الصباح لونها أصفر، وطبعة الظهر ورقها أبيض، وطبعة المساء لونها رمادي، ولم يحدث مثل هذا التقدم في جرائد أوروبا وأمريكا إلا في القرن العشرين.

وكانت الحروف التي استخدمها الصينيون في طبع هاتين الجريدتين تصنع من الخشب، وهي الحروف التي أُبتدعت منذ اختراع الطباعة في القرن الثالث عشر الميلادي.

والذي دعا الصينين إلى اختراع الطباعة هو كثرة تداول الكتب الدينية في بلادهم التي يزيد عدد سكانها على ٤٠ مليون نسمة، فبدا الكهنة ينقشون الحروف الصينية على الخشب الصلب. ويستخدمونها في طبع الكتب بدلا من كتابتها أو نسخها باليد.

أما الكتب الدينية الصينية فهي من أضخم الكتب المقدسة في العالم فمنها (الكابوندجور) المؤلف من ١٠٨ مجلدات، وشرحه (التاندجور) المؤلف من ٢٠٩ مجلدات.

وقد لزم الصنع القوالب الخشبية لطبع (الكاندجور) أكثر من ست عشرة سنة، واشتغل في طبعه ٤٥ عاملا لمدة ثلاثة شهور، أما (التاندجور) فاستغرق في صنع قوالبه وطباعته سنة كاملة. ومما طبع على القوالب الخشبية جريدة كين بو (kine Bou) وقد صدرت في الصين حوالى ١٥٥٠ ثم تلتها (الجازيت دي فينس (Gazette de venice) هذا واسم الجازيت مشتق من (الجازيتا)، وهي قطعة صغيرة من النقود كانت متداولة يومئذ في البندقية (فينسيا). على أن الجرائد الأولى المهمة ترجع إلى بداية القرن السابع عشر؛ فكانت (الجازيت) وهي صحيفة دورية فرنسية كان يصدرها تيوفر است رينردوت

وهو بروتستانتي رحالة حصل من رشيليو thêophraste Renaudot في ٣٠ مايو سنة ١٦٣١ على امتياز يحوله وأولاده حق طبع الغازيت دواماً. و كانت المجلة أسبوعية في أربع صفحات ثم في ثماني، و كانت تنشر أخبار فرنسا والخارج، وكانت شبه رسمية ومن غير مقالات رئيسية.

ونهج كولبير collbert نهج ريشيليه، وعرف حاجة البلاد إلى صحيفة تتخصص للكتب والفنون والعلوم أي لتوجيه الحياة العقلية والسياسية للبلاد؛ ففي سنة ١٦٦٥ ظهرت جريدة (الجورنال دي سافات –صحيفة العلماء) وكانت علمية سياسية، ثم صحيفة (Le Mercure) وكانت تنشر الموسيقى وأخبارها والأدب والأغاني والشعر وأخبار الزواج والوفيات والترقيات والتعيينات. ومنذ ختام القرن السابع عشر، ظهرت الصحف بأنواعها الثلاثة:

١- السياسية
٢- الأدبية
٣- الجرائد والمجلات ولم تكن هذه الصحف بيومية بعد.

أما أول صحيفة يومية صدرت في إنجلترا في سنة ١٨٠٢ في أول القرن الثامن، فكان اسمها (The Daily crown وأن أول صحيفة يومية في فرنسا فكانت الجورنال دي باري (le journal de paris) في سنة ١٧٧٧ وكانت تنشر أخبار المسارح والأدب والحوادث المختلفة، والقضاء، وإعلانات الأشياء المفقودة، والبورصة، والحوادث،

كما تعنى بالنقد الأدبي، والنشرات الصحية، ولم تكن تنشر المقالات السياسية، ولكنها احتجبت الثورة.

أما في سنة ١٧٨٩ فقد صدرت أكثر من ١٤٠ جريدة كانت شديدة اللهجة، ومنتمية للأحزاب السياسية تبعاً لنتائج الثورة الفرنسية ذاتها وقد صدرت صحيفة المونيتور يونيفرسال(MonitenrUniversel) وهي صحيفة سبقت الجريدة الرسمية التي أنشئت للأخبار الرسمية الخاصة بمصالح الحكومة، وصدرت في التاريخ ذاته الجورنال دي ديبا (Lee journal des Débats أنشأها Ganthicr de Bauziat A) (Anvergne´ المحامي ونائب في الدولة الثالثة، وكانت وريقة تنشر صباحاً مناقشات الجمعية وكان مضافاً إلى اسمها (J . D. et DéERêTS) .

أما الصحافة الإنجليزية، فكانت حرة وغزيرة المادة ويرجع ذلك قانون libel – Act ، وكان الوزير البريطاني الأول وليام بين William pitt يرى أنه لا خوف من الجرائد ما دامت في يد الأغنياء بفرض الضرائب عليها، ولكونها غالية الثمن ومنذ نشرت الجرائد الإعلانات أصبحت الجرائد رخيصة السعر.

ويرجع إنشاء الصحف الكبرى في إنجلترا إلى جهود ثلاثة من إيقوسيا ففي سنة ١٧٨٥ أنشأ John walter التايمز (Times) جريدة يومية عامة ومستقلة عن الأحزاب. وفي التاريخ ذاته تقريبا أنشأ (Jemes perry) جريدة (Morning chronicle) وأنشأ (Daniel Stewart) جريدة (Morning post)، وزادت هذه الصحف أهمية

خلال القرن التاسع عشر، وكان من ثمار التجديد الصناعي في القرن التاسع عشر، أن حل البيع محل الاشتراكات، وكانت آلة الطباعة في ٢٨ نوفمبر سنة ١٨١٤ في مطبعة التايمز فنشرت يومئذ مقالاً مفصلاً عن الاختراع الجيد ففي الساعة الواحدة تم طبع ١١٠٠ نسخة.

وفي الوقت نفسه اخترع الحبر – حبر المطابع في فرنسا، وكذلك ظهر التصوير الصحفي والصحف المصورة وسهلت المواصلات، وخاصة بعد اختراع القطر الحديدية، والتلغراف والتليفون، ثم ظهر الورق الصحفي المعروف برخصه.

وفي الوقت ذاته استطاع (Benjanin Day) ثم Gordon Beneti في أمريكا زيادة انتشار صحفها فقد أنشأ (بنيامين) في سنة ١٨٣٣ (sun) و(جوردون) في سنة ١٨٣٥ (The New York Herald) واستخدم (بنيامين) أول تحقيق صحفي.(reportage) في كل مكان في نيويورك وغيرها (واشنجتون وأوروبا).

وحقق (Norse) اختراع التلغراف ومنهم (Millan) في فرنسا نهج (بنيت) فأصدر في سنة ١٨٦٥ (Le Petit Journal) وأصدر (C Oouner) في سنة ١٨٨٨ (Star) التي نشأت الطريقة الأمريكية، وشجع (star) القراء بالمباريات والجوائز القيمة، ثم ظهر في الميدان لورد نورثكليف.



الفصل الثاني

رسالة الصحافة

يقول الفيكونت دافنل، (وهو مفكر فرنسي): إن الجريدة في نشأتها الأولى عند بدء اختراع الطباعة، كانت تطبع في ورقة واحدة في كل أربع وعشرين ساعة حاوية كل الأخبار المهمة، وكان نشر الأخبار عن الفكرة الأولى لإنشاء الصحف. ثم تطورت الصحافة حتى أصبحت الجريدة الصلة بين الزعماء والشعب، والوسيلة لنشر الدعايات والأفكار الجديدة، فالصحيفة بمثابة ملك أو ذي نفوذ وسلطان لها جمهورها الذي يتلهف على قراءتها.

والجريدة القوية ذات المحرر الماهر الذي يعرف كيف يجتذب القراء هي قوة هائلة لا شبيه لها في الدولة الديمقراطية. ثم إن دافنل قد

أورد هذا حواراً ظريفاً بين جريدة وكتاب ليدلل على أهمية الصحيفة وتفوقها على الكتاب.

قال الكتاب للجريدة: إنك تنعمين بمائة ألف قارىء، ولكنك لا تمكثي إلا ساعة واحدة ثم لا تلبثين أن تتمزقي، ويلقي بك أو يكون منك غلاف واحد للحاجيات، إنك تختفين دون أن تتركي أقراً كالذي أتركه أنا.

فأجابت الجريدة: – أنني أعترف أنك تعمر أكثر مني ولكنك تعيش في عالم من الظلام وفي زوايا النسيان لذا فأنا أفضل حياة يوم أراه مشرفا على مائة عام تقضيها مجهولا مهملا على الرفوف التي يعلوها التراب، لا يبحث عنك أحد ولا يجري في أثرك مخلوق اللهم الفئران!

ويضرب لنا مثلاً أعلى في النقد الصحفي الصحيح (مولفيك) الصحفي الفرنسي فيقول إنه كان كما يقول التاريخ الطبيعي: عن النسر لا ينقض إلا على الفريسة الحية فإذا لم توجد هذه القرية فإنه لا يلبث أن ينقض على الجثث العفنة)

ولقد كان فولفيك بشراً يمزق أجساد الأحياء بضرباته القاسية ولكن تلك الضربات كانت من آثار النقد الصحيح، الذي يزيل عن الإنسان غبار الاعتداء بالنفس الذي يقعد به عن طلب الكمال. ويروي الأستاذ ديلاين رئيس تحرير التايمز الأسبق أن سفير إنجلترا في فرنسا انتهز فرصة وجوده في باريس وقدمه إلى ملكة هولندا فالتفتت الملكة إلى أحد

رجالها وصرحت له بأنها تعتبر تحرير التيمس هو رابع سلطة في بريطانيا العظمى.

وكانت التيمس في عهد ديلاين قد نشرت مقالا هز الملك ليوبولد، ملك البلجيك السابق، فأوفد اللورد درهام، وكان من عظماء الإنجليز يومئذ ليتوسط الذي رئيس تحرير التيمس لنشر مقال آخر يلطف به وقع المقال الأول.

وشبيه بهذا ما حدث للصحفي الفرنسي فرفيسان فقد كتب فصولا يؤيد فيها السياسة القائمة في عصره، وأرسل إليه الجمهورية السكرتير العام لقصر الإليزيه. يقول: "إن جنابه يود أن يراه ليعبر عن ارتياحه"، فأجابه الصحفي العظيم: "إننى أقبل بسرور مقابلة جنابه ويمكنك أن تبلغه أني موجود دائماً بمنزلي في الصباح، وإننى أستقبل الزوار في إدارة الجريدة من الرابعة إلى السادسة"

قالت جريدة (الأهالي):

"إذا حوسب كل امريء على عمله كان حسابه مجملاً لا مفصلاً، وإذا حوسب الكاتب الصحافي على ما برقش وسر كان حسابه على كل كلمة من كلماته، وتعبير من تعبيراته لأن الكاتب الصحفي مرشد ومؤرخ وقيم وناصح ومعلم. وبمقدار هذه الصفات الجليلة يحاسبه الجمهور عليها حساباً كبيراً"

وفي مجلة (الزهور):

"كان حامل القلم كحامل السيف، في يمين كليهما سلاح ماض"

وأصبح حامل القلم في العصر الحديث كالقابض على الصولجان كلاهما نافذ مهمته، وإدرك شرف مهنته، فإذا لم يكن كل من هز الحسام بضارب، فكذلك ليس كل من هز اليراع بكاتب

"وأبعد حملة الأفلام نفوذاً الآن هم الصحيفون بفضل انتشار الصحف، وإقبال الكبير والصغير عليها. وعليه يجب أن تكون الصحافة – كما قال أحد كبار المفكرين – شجرة الحقيقة يغرد على أفنانها الكتاب الصادقون"

وقال نقولا الثاني قيصر روسيا: " جميلٌ أنت أيها القلم، ولكنك أقبح من الشيطان في مملكتي"

وقال نابليون الأول: "إننى أتوجس خيفة من ثلاث جرائد أكثر مما أوجس من مائة ألف مقاتل"

وقال وليم ستيد: " الكاتب السياسي يرتعد من منظره رئيس مجمع الشياطين"

وحدث أن أرسل دي بلوتير مكاتب جريدة التيمس اللندنية.

في باريس إلى جريدته بصورة معاهدة مؤتمر برلين قبل أن يوقع عليها مندوبو الدول، فلما اجتمعوا في اليوم الثاني للمؤتمر رفع بسمرك غطاء مائدة الاجتماع، فسئل عن ذلك، فأجاب: "لأتحقق مما إذا كان دي لاوتير مختبئة تحت الغطاء ليستطلع أسرارنا"

قال (شانهام) من أقطاب السياسين الإنجليز المعروفين في تاريخ إنجلترا تمام المعرفة:

"الصحافة الحرة قلب الأمة الخافق"، ولقد دافع المفكرون في مختلف العصور التاريخية عن حرية الصحافة، فلـ (سقراط) و(ديموستين) الشأن. وقال شاعر الإنجليز العظيم (ميلتون):

"أعطوني حرية المعرفة وحرية القول وحرية المناقشة التي يرضى عنها ضميري قبل أن تعطوني أي نوع من الحريات الأخرى"

ولما مضى الناقدون في الصحف الإنجليزية ينددون بسياسة الحكومة بين عامى ١٨١٩ و١٩٢٢، عدت أن هذا النقد طعن وقذف ضدها يقصد به إثارة الفتنة، وعلى ذلك فيجب أن يكافح ويجب أن يمنع بسرعة، ويجب أن تخمد ناره على الفور بمنتهى التعسف والقسوة.

وصرخت الحكومة البريطانية يومئذ بلسان الشخص الذي تمركزت في شخصيته الهيئة الحاكمة حينذاك (المستر بارون وود) أنها لا تتردد لحظة في استعمال السياط وسائر وسائل التعذيب التي عرفتها القرون

الوسطى والعصور المظلمة، لمن يرفع عقيرته في وجه الحكومة أو يجرؤ على أن يناصبها العداء أو يكشر لها عن ناب البغضاء.

وقد أذاع ذلك الرجل الذي كانت تهب من أردانه في ذلك الحين ريح السلطة والأمارة وتلوح عليه مخايل الاستبداد والجور منشورا، أو إنذراً رسميًّا جاء في بعض فقراته ما يلي:

"يقولون إن لهم الحق في مناقشة بعض مواد تشريعنا واعتقادنا أن ذلك ضرب من الحرية يجتاز دائرة المعقول!... أيكون سيداً غطريفاً ذلك الذي يقف حجر عثرة في طريق البرلمان، فيعوقه عن السير بالبلاد إلى قمة العظمة المالية! لا فنحن لا نوافق مطلقاً على نشر آراء تثير الرجل ضد الحكومة التي تدير مرافق بلاده، والتي يعيش آمنا مطمئناً تحت ظل نفوذها وسلطانها.

نحن لا نوافق مطلقاً على ذلك لأن عملاً كهذا من شأنه أن يثير الفتنة في أرجاء البلاد. وما من شك في أن الثورات عمل شائن وغير مسموح به لكائن من كان. ومتى سمحت حكومة من الحكومات بنشر ما يثير الفتن بين أرجائها في أي عصر من عصور التاريخ؟!"

ويذكر تاريخ الأمة الإنجليزية ضمن ما يذكر في صحائفه العديدة (سجل كوبيت) الشهير تلك الصحيفة النارية التي كانت أجرأ لسان من ألسنة الثورة التي قامت حينذاك بين العقل البشري وبين خانقيه من طائفة الطغاة المستبدين! و يذكر ذلك التريخ الحافل بالعظات أن صحفاً أخرى

عاشت حياة غريبة منذ ميلادها إلى أن استل العسف بقسوة من جثمانها خيط الحياة

ومن تلك الصحف التي كانت قصة منشئها وحياتها وموتها دراما عجيبة مدهشة ومأساة مروعة (القزم الأسود) التي أنشأها في قلب العاصمة البريطانية (توماس جوناثان دولر) أحد عمال (وركشير) فكانت قذى في أعين رجال السياسة، وشجى في حلوقهم. ولقد قفز ذلك العامل الساذج إلى محل (كويت) ليتولى قيادة الرأي العام وليقف موقف مدرب الجنود في طليعة الراديكاليين المتطرفين في السياسة من أهل بلاده. ومن هنا نستطيع أن نتبين أن العاطفة الوطنية تتأجج على السواء في قلوب المتقلبين بين جدران مكاتبهم، ورجال الشارع الصاخبين في حاناتهم وملاهيهم، كما في قلوب الأغنياء في تصورهم العالية، والفقراء في أكواخهم الحقيرة!

وكانت صحيفة (القزم الأسود) تقذف الرعب والخوف في قلوب الرجال أصحاب المناصب الخطيرة وتثير حولهم عاصفة من الضحك والاستهزاء إذ نجحت نجاحا كبيراً في الاستيلاء على مشاعر العمال وكسب ثقتهم، فكانوا يجتمعون في الأركان السحيقة والزوايا المظلمة لينصتوا إلى واحد منهم يتولى تلاوتها عليهم ويشرح لهم ما التبس عليهم فهمه من عباراتها الغامضة الصارمة. وفي الجهات الشمالية التي تكثر فيها المناجم كان عامل من عمال المناجم الفحم يخبىء واحدة منها بين طيات قبعته.

ولما نالت صحيفة (القزم الأسود) ذلك الحظ من النجاح نهضت إلى جانبها أقزام أخرى ذات ألوان أخرى لتعبر عن نفس الشعور الذي تعبر عنه صحيفة (القزم الأسود) فكانت صحيفة (القزم الأصفر) تجد بين من يعضدونها بالآراء الحصيفة وبالتحرير الكاتبين النيرين (وليم هارليث) و(ولى هنت) وقد حملت حملات شعواء في سبيل حرية الصحافة وحرية الكتابة والنشر. وظهرت أيضاً صحيفة (القزم الأبيض) بيد أنها لم تعش طويلا، بل كانت ضعيفة لم تستطع البقاء أمام بطش الاستبداد في ذلك العهد.

وهكذا غمرت البلاد البريطانية بفيضان عظيم من تلك التحف التقريعية التي كان هدفها الأوحد تحرير الفكر الإنسانى تحريراً مقيداً بالقانون الطبعي الذي قصد إليه (جان جاك روسو) والقانون الدستوري لإنجلترا. وقد ظهرت تلك الصحف في (لندن) وفي غير (لندن) من سائر مدن بريطانيا. ويذكر التاريخ من بين تلك الصحف صحيفة (المفزع) تلك الصحيفة التي جعلت شعارها صورة رمزية تمثل وحشاً خرافياً! وكذلك صحيفة (بني يوليتيشان) التي جعلت شعارها العبارة التالية:

(والدعوة إلى نظام الحكم الجمهورى) و(حرية الفكر) و(البساطة). وصحف (مسجا الشعب) و(قلنسوة الحرية) و(القبعة البيضاء) كانت أيضاً نشرات قوية تقصد كلها إلى تسويغ الإنسان لأن يستمرىء حلاوة الحرية التي هتف بالدعوى إلى استنشاق أريجها

(روسو) العظيم. على أن العظيم ذا الشخصية البارزة الذي كان من أشهر العاملين على إشعال نيران تلك الحرب الشعراء الضروس التي ثارت بين العقل وبين الاعتداء على الحرية كان (كرييت) ثم جاء بعده الكاتب المتمرد الثائر (ريتشارد كارليل) ذلك الكاتب الذي جرع كأس الألم الممض حتى الثمالة حيث زج به في ظلمات السجون وتعذب طويلاً في سبيل حرية الصحافة.

ويعرف تاريخ القرن التاسع عشر الأوربي رجلاً رزح حيناً ليس بالقصير تحت عبء الآلام المبرحة مثل (ريتشارد كارليل) الذي كان في صدر حياته عاملاً ساذجاً يكدح طيلة ساعات يومه في عمله الجثماني حتى إذا ما جن الليل وأرخى سدوله السوداء على الكون آوى إلى كوخه الحقير كالحيوان الدنيء!..

ولكن مقالات (القزم الأسود) كانت جرسا قوي الرنين أيقظ النائم السابح في بحر الأحلام فنهض نهضة جبارة عنيفة هائلة وأصبح من أكبر دعاة الثورة الفكرية، ومن ثم انخرط في صفوف المجاهدين في سبيل الحرية ولقد ذاقت زوجته وأخته مرارة السجن معه. وفي أخريات أيامه أنشأ متجراً صغيراً أسماه (معبد التعقل والصواب!) أو معبد (حرية الفكر) في شارع الصحافة الذي كانت فيه تلك الآثار الدبية الخالدة. وفي ذلك المعبد المقدس جعل (كارليل) يبيع نشراته ورسائله، وكذلك رسائل ومؤلفات الكاتب الإنجليزي الكبير (توماس بين) صاحب (عصر

الإدراك والتعقل) و(تعالوا نحتكم إلى المنطق) وغير ذلك من المؤلفات النارية الحامية.

وقد هاجمت اللصوص في ذاك العصر (معبد الحرية) فأنشأ (ريتشارد كارليل) معبدا آخر يحمل اسم (اللصوص الشرعيين) بالقرب من شارع (فليت) أو شارع الأسطول في لندن وعمد ذلك الرجل إلى حيلة طريفة يهرب بها من وجه رجال البوليس الذين كانوا جادين في إثره أنه وضع على باب محله ستاراً بلون الحائط وعليه أسماء جميع المطبوعات فإذا ما أراد شخص شراء شيء أشار بعصاه على اسم الكتاب أو النشرة أو الصحيفة التي يريد، ثم رمى بثمنها من كوة صغيرة فلا يلبث أن يرى ما أريد أمامه في حركة منظمة كحركة الساعة!.

وما من شك في أن ذلك الرجل يعده تاريخ إنجلترا بطلاً عظيماً من الأبطال الذين جاهدوا طويلاً في سبيل حرية الصحافة وفك قيود العقل الإنسانى من سلاسل التقاليد البالية.

هذا وقد ظل المستر ويكهام ستيد يعمل في الصحافة زهاء الخمسين عاماً. وتعلم الاختزال وأتقنه، وتعلم كيف يلج المجتمعات، ويحضر المحاضرات في همة مستمرة ولكنه مع ذلك لم يلق النجاح المنشود فعمد إلى رجل صحفيّ قديم من أساطين الصحافة هو المرحوم ي .ت ستد. يستنصحه فأجمل له النصح باختصار فقال:

"كل ما يحضرك في الكتابة فأسرع واكتبه، وبعد أن تكتبه تصور أنك ستبعث به تلغرافيا، وأنت في إنجلترا، على أستراليا على نفقتك الخاصة بحسبان أن الكلمة تكلفك شلناً مثلاً.. وعلى هذا الأساس استبعد من كتابتك كل مالاً يستأهل الشلن، وستجد أنك استبعدت كلاماً كثيراً، وبقي كلام قليل، هذا الكلام القليل الباقي ابعث به إلى صحيفتك فهو المطلوب!"

الصحافة تتزوج من الجمهور

تقول (جين آبوت) في مقالها الذي نال في سنة ١٩٤٥ (جائزة أحسن مقال في تلك السنة): "إنه لا ريب في أن كل شخص ذكي لبيب سيقر معي بأن لا وجود في العالم على الإطلاق للحرية الكاملة، فليس في وسع أحد أن يتصرف على الدوام على هواه ورغبته دون ضابط أو رقيب. والواقع أن حرية فرد ما أو دولة ما، إنما تنتهي عندما نبدأ حقوق فرد آخر أو دولة أخرى. وعلى هذا النحو يدرك كل فرد ذكي أن حرية الصحافة ينبغي بدورها أن تكون نسبية"

الجواب على ذلك السؤال يسير: وهو أن تتوفر الحرية لكل صحيفة بحيث تستطيع أن تنشر كل ما يقوي القائمون بالأمر فيها على نشره من الأنباء الصادمة، وأن تضمن في الوقت نفسه حرية نشر الرأيين المتناقضين المختلفين لأية مسألة من المسائل التي يدور بشأنها الجدل والنقاش، وأن تتحرر الصحيفة وتقف موقفا نزيهاً مستقيماً من أي موضوع يدور حوله الجدل والبحث. ثم تتخذلها موقفاً ثابتاً مستقراً منه توضحه

في افتتاحيتها. وحرية الصحافة لا يمكن توفرها إلا بالاعتماد على دعامة واحدة وطيدة هي: الصدق!

وعلى الرغم من أن التوراة قد ذكرت منذ دهور طويلة قبل ظهور الصحافة إلى عالم الوجود العبارة التالية: "إعرف الصدق، يحررك ويطلقك من أسرارك" فإن المرء ليتلو توجيهاً صالحاً لرجال الصحافة في هذه الأيام.

بيد أن الصحافة ناقصة في حد ذاتها، تكمن بالجمهور الذي اتخذها زوجة له! والحق أن أيه صحيفة لا تجد لها جمهوراً يطالعها ويقبل عليها ليست سوى أداة معدومة القوى. وهي بحاجتها إلى الفقراء، مسلوبة الأيدي والنفوذ. وإذا نحن سلمنا بهذه الطريقة وجعلناها نصب أعيننا، استطعنا القول بأن القراء عامل مؤثر فعال في حياة الصحف ووجودها. والحق أن ما يقررونه حاسم وقاطع فيما يتعلق بحياة الصحف على اختلافها بإقبالهم على جريدة ما، وإهمالهم شأن أحرى إما يقررون بطريقة قاطعة أي الجريدتين قد كتب لها لنجاح وأيهما الفشل. ومع ذلك فلا نزال نصدم بكثير من الناس الذين يدعون أنهم يعيشون بمنأى عن الصحافة وهم، لو عقلوا، لأدركوا أنهم بقولهم هذا إنما يحكمون على أنفسهم بالموت والفناء، وهم بعملهم هذا يتخلون عن مسئوليتهم في صيانة حرية الصحافة، وهي المسئولية التي تقتضيهم النظر في علاقتهم بالصحافة نظرة مباشرة، ومحاولة جعل الدور يضطلعون به في حياة الصحافة دوراً إيجابيًّا فعالاً.

وعلى الرغم من أن حرية الصحافة تتناول التحرر من قيود مختلفة يفرضها القانون، وقيود تفرضها الظروف الاقتصادية وظروف المهنة، فإن الحرية الأساسية التي ينبغي أن تكون مكفولة موفورة في هذا الصدد هي (حرية القارىء) وقد اتفق أن كان الصحيفة حرة في حين أن قراءها غير أحرار، تمثلت الصحيفة من عبودية قرائها عقبة كأداء تعوق سيرها وتعترض رسالتها من أول الأمر.

وقد يكون نقيض هذه الحقيقة صحيحاً ومفيداً فإن الصحافة التي تؤذيها القيود وتعرقل حركاتها اللوائح والقوانين ربما استطاعت صنع بعض الخير لو أن قراءها كانوا أحراراً قادرين على استنباط ما بين السطور، وإدراك ما حذفه الرقيب، وفهم ما يرمى إليه المحرر اللبق من عبارات كبحت اللوائح من جماحها، وخففت من حرارتها وقللت من جلائها ووضوحها.

أما حرية القارىء فتتفرع إلى حريتين: أولاهما التحرر من الجهل، والثانية التحرر من التعصب المقيت، ذلك أن الجهل والتعصب، كليهما لا يستطيع الاهتداء إلى الحق والصدق مهما كان واضحاً جليًّا أمامهما.

ينبغى أن يعرف القراء كيف تعمل الصحف!!

وثمة مسئولية ثالثة بمسئولية التحرر من الجهل، ينبغي ذكرها ونحن بصدد الحديث عن مسئولية القراء تلك هي مسئولية كل فرد في أن يعرف شيئاً عن طبيعة عمال الصحيفة. ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة

أن الفليسوف اليوناني ايبيكتبتوس كان قد كتب يقول: "تنص قوانين الدولة على وجوب تعليم أحرار الناس فقط، بيد أن الله يقول: "إن الرجال المتعلمين هم وحدهم الذين يصبحون أحراراً" ويكاد يكون من المستحيل على الجمهور أن يصون حرية شيء ما لم يتلق أي علم بشأنه، ولا يعرف عنه سوى القليل التافه، والجمهور في حاجة إلى أن يعرف الوسائل الخاصة بالحصول على الأنباء، وأن يقف على الظروف التي دونت فيها وسجلت، كذلك ينبغي للجمهور أن يدرك كيف أن كثيراً من هذا العمل الحيوي إنما يتم تحت عبء الضغط الباهظ المرهق، وأن الكثير من القرارات الصحفية المهمة يتحقق في ثوانٍ معدودات.

ولكن قد يتساءل المرء، وكيف يتسنى للجمهور العلم بهذه المشاكل؟ والواقع أن بعض الناس قد يعرفون ذلك بالمطالعة، في حين قد يقف عليه آخرون من أصدقائهم الصحفيين. غير أن الوسيلة الوحيدة التي تكفل للجميع معرفة صادقة كاملة بشئون الصحف وأعمالها، هي الالتحاق بإحدى مدارس الصحافة العامة التحاقا عمليًّا مدة كافية من الزمن. وينبغي في هذا المجال أن يتعلم الطلبة الصحفيون كيف يطالعون الصحف، وكيف يستطيعون تفسير ما يقرأون فيها، وكيف تتعاظم حساسيتهم وتتسع مداركهم فيلاحظون مالا يتلونه مدوناً مكتوباً، كأن يستطيعوا تحليل الحقائق التي لم يتسع المجال لنشرها، ومقارنة التفاصيل والروايات والحوادث بعضها ببعض.

ولقد كان من المألوف أن تكون الأنباء التي تسردها الصحف سهلة يسيرة الفهم، ولكن هذا النهج ليس دائماً إذا شاء القراء أن يتجنبوا أنفسهم الغموض والاضطراب، وإذا رغبوا في أن ينأوا بجانبهم عن الافتراضات الكاذبة والظنون والأوهام والنتائج الخاطئة، وجب عليهم أن يروضوا أنفسهم على مواجهة مثل تلك المعلومات والأنباء المتناقضة المعقدة.

غير أن الصحافة لا تستطيع أن تعرض الصدق الكامل على جمهورها ما دامت لا تستطيع الظفر بالحقيقة الكاملة من مصادرها الخاصة، وهنا أيضا تقع على الجمهور المسئولية في الاهتداء إلى الحقيقة الكاملة؛ ذلك أن المصادر التي تعتمد عليها الصحافة في الحصول على حاجتها من الأنباء تختار بالضرورة من بين مصادر الجمهور نفسه إذ أنه من المستحيل على كل صحيفة أن تجعل لها ممثلا، أو مندوباً يوافيها بأنباء كل حادث ذي شأن وأهمية، وعلى ذلك فكل فرد مسئول – متى استدعي للإدلاء بنبأ للصحافة – عن إعطاء كافة المعلومات الكاملة الصحيحة غير المتحيزة، والجمهور مسئول كذلك عن وجوب إعلان مصادر الأنباء والجهات التي استقيت منها المعلومات حتى يمكن التحقق من صدق تلك الأنباء والاعتماد عليها في كافة الأحوال..

ومن واجب الجمهور أن يقدم المصلحة العامة على اعتبار كل شخص آخر ليس له حالة التصريح بأية معلومات أو أنباء لرجال

الصحافة، ولا شبهة في أن نجوم المجتمع الراقي وكبار الموظفين الذين يحاولون الاشتهار بأي سبيل، ورجال الدعاية المحترفين، كل أولئك يفسدون مهمة الصحافة في ترويج الصدق والحق، ومن ثم يقضون على حريتها الحقيقية.

كذلك من واجب الجمهور أن يكون على الدوام يقظاً لما يجري من أمور، ومتشوقاً لأن يرى أن القوانين اللازمة لإزالة مثل تلك القيود موجودة في كتب هذه البلاد القانونية، ولكي تكون الصحافة حرة، وجب ألا تقف في سبيلها عوائق وعراقيل مثل الضرائب الباهظة وصعوبة استصدار الرخص، أو تعاظم ضغط الإعلانات وطغيانها على أنهر الصحيفة، والحق أن الرقابة العسكرية الاختيارية التي التزمتها الصحف الأمريكية من تلقاء نفسها إبان الحرب الأخيرة جديرة بألا تدع في ذهن أحد من الناس شبهة من الشك في أن صحفنا (الأمريكية) لا تحتاج إلى هيئة من الرقباء يمرون بأقلامهم الزرقاء على تقارير وأنباء.. الأمر الذي سيجعل من جمهور القراء الرقيب اليقظ العادل على ما تنشره الصحف ولقد أظهرت هذه التجربة الموفقة أن أفضل الحلول للمشاكل المتصلة بالصحافة ليس في تطبيق القوانين واللوائح وإنما في مناشدة الصحفيين التشبث بمبادئهم والاحتفاظ بكرامة مهنتهم.

وهنالك حرية أخرى لا بد من توفرها لكي تتحقق للصحافة حريتها الكاملة، تلك هي حرية المواصلات، ولقد كانت الحرب العالمية الأولى أول فرصة سنحت لتحويل أنظار الناس بعض الشيء عن الأنباء

والحوادث المحلية، وصرف معظم انتباههم واهتمامهم إلى الحوادث الدولية، وازدادت هذه الحالة توكيدًا ورسوخاً بتقدم المواصلات العالمية، ولقد كانت تسهيلات المواصلات على الدوام عاملاً رئيسيًّا في تقدم الإدارة الصحفية، بيد أنها أصبحت اليوم عامل حياة أو موت إذ لا تستطيع الصحف بدونها أن تنشر الحقائق، وبذلك تكون مسلوبة الحرية، فالصحفى المقيم في الصين الذي يعرف الحق ولكنه لا يستطيع إرسال أنبائه ورسائله إلى أمريكا لا يستطيع بحال من الأحوال أن يتقدم بيد محسنة خيرة على الشعب الأمريكي، فعلى الجمهور إذن متى رغب حقًّا في الاحتفاظ بحرية الصحافة – أن يلح في سبيل اتخاذ تدابير خاصة بعد الحرب – تسمح بتدفق الأنباء والمعلومات من أمة إلى أخرى دون عائق من الحدود أو التخوم الوطنية.

وبعد فهل يمكن أن تظل الصحافة بدون قيود؟

هل ينبغى لها أن تظل دون ما (صمام أمن يكبح جماحها) كلا ! ليس هذا الحل الصواب فليس المقصود بحرية الصحافة أن تكون امتيازا يمنح للناشرين يستخدمونه أداة لمصلحتهم، وإنما المقصود أنها أمانة نيطت بذمم الصحفيين وضمائرهم، ومن واجبهم أن يستخدموها في الصالح العام، ولكن لما كانت الصحيفة يديرها أفراد لهم مصالحهم الخاصة ومطامعهم الشخصية، قابلون لاقتراف الأخطاء والآثام، وجب أن توجد بعض القيود لكبح جماحها.

ولما كان من المرغوب فيه أن تقيم الدولة قيداً ما على الصحافة، فالجهة الوحيدة التي ينبغي أن تكون (صمام الأمن) فيما يتعلق بالصحافة هي: الجمهور! لذلك وجب على جمهور القراء أن يكون يقظاً حريصاً ذكيًّا حتى يكون له أثره الفعال في توجيه الصحف وتسديد خطاها للصالح العام!..كذلك ينبغي أن يكون الجمهور يقظاً لا تفوته مرامي الدعاية وأهدافها، وفي وسع القارىء أن يصبر على الدعاية في حذر إلى أن يطالع ما يقابلها أو يعارضها، وفي مقدوره أن يكشف عن مصدر تلك الدعاية وعن أهمية تفنيدها وتبديدها.

صاحبة الجلالة أو السلطة الرابعة

يقول الأستاذ أميل زيدان بك في مجلة (الهلال)

لكي نعرف قيمة شيء من الأشياء يحسن بنا أن نعمد على طريقة سهلة، وهي أن نفرض أن هذا الشيء قد زال من الوجود؛ فافرضوا أن دكتاتوراً جباراً، بجرة قلم واحدة، ألغى الصحافة عن بكرة أبيها، فلا جرائد في الصباح ولا جرائد في المساء ولا مجلات مصورة أو غير مصورة!

فماذا يكون أثر ذلك في حياتنا؟

لا شك أنها تفقد كثيراً من بهجتها، ولا شك أننا نصبح فجأة كمن خيم عليهم ظلام حالك، إذ تفقد الجانب الأكبر من المعلومات التي نعتمد عليها في حياتنا؛ فالجرائد في عصرنا هي الصلة بين الفرد والعالم

الخارجي. ولولاها لعاش في عزلة عما يجري حوله، ولو صح فرضنا – لا سمح الله – لأصاب المجتمع شلل يتناول أعضاءه جميعاً إذ لا توجد دائرة من دوائر حياتنا الاجتماعية لا تغذيها الصحافة أو نمسها من قريب أو بعيد، ومع ذلك فالصحف هي أرخص شيء في العالم، ليعمل كل منكم قائمة بالأصناف التي يمكن أن يشتريها بنصف قرش أو بقرش – وهي ليست كثيرة في هذا الزمن – وليقابلها بالجريدة أو المجلة التي يحصل عليها بهذه القيمة الزهيدة: "إن الفرق كبير جدًّا بين ما يجنيه من فائدة أو لذة في الحالتين"

وقد يعترض عليّ أحدكم فيقول: "كثيرا ما يحدث أن يمضي يوم أو أيام دون أن أطالع جريدة أو مجلة ولا أشعر مع ذلك بأنه فاتني شيءٌ كثير"

وهذا ردى عليه: "أجل، قد لا تطالع الجرائد والمجلات أياما بل أسابيع، ولكنك على الرغم منك تتأثر بها في كل ساعة، فإن من حولك يطالعونها ينقلون إليك ما فيها من فوائد ومعارف، و لو امتنع الجميع عن المطالعة لعلمت حينئذ ما تفقد من جراء ذلك".

وقد أعجبني تحديد أحدهم للصحافة بقوله: "إنها عقرب الثواني على ساعة التاريخ فكما أن عقرب الثواني يجري مجرى الزمن ويقسمه أقساما صغيرة، كذلك الصحافة تتناول مجرى الحوادث التي يتألف منها التاريخ فتحللها وتشرحها وتدونها واحدة واحدة"

ولا أخال أنني في حاجة إلى الإفاضة في بيان شأن الصحافة في هذا العصر.. سيقول بعضكم: "كل فتاة بأبيها معجبة" أجل. إني ممن يتعشقون هذه المهنة وممن يفتخرون بانتمائهم إلى صاحبة الجلالة كما سماها البعض، أو (السلطة الرابعة) كما سمّاها آخرون. ولكني في ذلك أصغي لوحي العقل بقدر ما أصغي لوحي القلب.

إن الإلمان ينسبون الجانب الأكبر من انكسارهم في الحرب العظمى إلى فعل الصحافة والبروباجندة، فقد قال أحدهم أن القذائف الورقية كانت أفتك في صفوفهم من القذائف المعدنية.

وقد روى لي أحد شيوخ الصحافة في مصر: أن وجيها من وجهاء العصر الماضي غضب على ابنه غضبًا شديدًا بل قاطعه مقاطعة حين علم أنه يريد الكتابة في الصحف. أي يريد أن يكون (جورنالجيا)، ذلك أن الصحافة كانت في نظر بعض الناس غير محترمة وكانت كلمة (جورنالجي) تشف عن شيء من الزراية والاحتقار، و لكننا نحمد الله على أننا عشنا حتى رأينا أمراء البيت المالك لا يستنكفون من الكتابة في الصحف، ولا يرون غضاضة في أن تذيل المقالات السياسية والاجتماعية بإمضاءاتهم إلى جانب إمضاءات الصحفيين العاديين.

قال لورد ملنر: "إن الصحافة أجل حرفة في العالم، وربما استثنيت من ذلك منصب الوزارة"

إن الصحافة، ولا ريب، من أكثر الأعمال جاذبية، ففي كل يوم يفد على مديري الصحف و المجلات شبان يبغون الانخراط في سلكها. ولعل بينكم غير واحد ممن فكروا في دخول هذا الميدان؛ فإلى هؤلاء أقول: "إن باب الصحافة مفتوح على مصراعيه لكل راغب، ولكن إذا كان المدعون كثيرين فالمختارون قليلون.

ولنتبسط الآن قليلاً في هذا الموضوع وننظر إليه من نواحيه المختلفة: هل يخلق الإنسان صحفيًّا –كما يخلق موسيقيًّا – أم يمكنه اكتساب المؤهلات اللازم للعمل الصحفي؟

كاد يجيب عن هذا السؤال بقولي: "إن الصحفي يولد وقد طبع بطابع خاص"، ولكني أعود فأقول: أن التثقيف والمران كفيلان بتكييف الصحفي إلى حد بعيد.

وليس من اليسير أن نحدد الصفات التي ينبغى أن تتوافر في الصحفي؛ فبينما نجد لمعظم المهن – كالطب والمحاماة وغيرهما – شروطا يجب على من يريد الالتحاق بها أن يستوفيها، فلسنا نجد شيئا من ذلك فيما يتعلق بالصحافة؛ فلا موضوعات معينة ولا امتحانات ولاشهادات تخول صاحبتها حق ممارستها على الرغم من كثرة المعاهد.

ومع ذلك فإنه يطلب من الصحفي – وخاصة في هذا العصر – أن يكون واسع الثقافة. فإن قراء اليوم ليسوا قراء الأمس، ومن لم يتخذ للصحافة عدتها فقد قضى على نفسه بالفشل والخذلان. ولقد اقتضى

زمن كان الشباب فيه إذا سدت في وجهه أبواب العمل المختلفة لجأ إلى الصحافة واتخذها مرتزقاً. وغنى القول في غير تردد أنه لا توجد اليوم مهنة تتطلب من صاحبها ما تتطلبه الصحافة من تفكير ومهارة ويقظة واجتهاد.

ومن الأوهام التي كانت شائعة على عهد قريب أن كل من أجاد الكتابة صلح لأن يكون صحفيا، والواقع على نقيض ذلك فقد يكون الإنسان من أبرع الكتاب ولا يفلح في ميدان العمل الصحفي؛ فالصحافة تستلزم أمورا أخرى جليلة الشأن لا يجوز إغفالها.

من هو الصحفي؟

وفي مقدمة ما يطلب من الصحفي أن يعرف نفسية الجمهور، وليس هذا بالأمر الهين، فالسؤال الذي يجب أن يتساءله المحرر كل صباح وكل مساء هو هذا: "ما الذي يستحسنه الجمهور؟ و ما السبيل إلى اجتذابه واستمالته ؟"

ولقد حدث لي غير مرة – كما حدث ولا بد لكثيرين من زملائي – إن أعجبت بمقال حتى إذا ما نشر وجدت أنه لم يحز رضا القراء.

ويحدث أحيانا بعد صدور العدد من الجريدة أو المجلة أن يجيئك أحد القراء فيقول لك: "إن المقال الفلاني جميل وهو أحسن ما في هذا العدد". ثم لا تلبث أن يفاجئك آخر بقوله: "حبذا لو لم ينشر هذا المقال – المقال عينه – فإنه لا يستحق المطالعة"

إن نابغة الصحافة هو ذلك الذي يستطيع أن يجس نبض القراء ويتلمس ميولهم ويتتبع تقلبات تلك الميول وتلوناتها.

على الصحفي بعد أن يلمس نفسية قرائه أن يحصل على المادة التي يود نشرها، وهي على أنواع، باختلاف أنواع المحررين، ولكن هناك عاملا يجب ألا يبرح ذهن الصحفي على الإطلاق وهو السرعة؛ فنحن في عصر كل شيء يتم فيه بسرعة لذا أصبح للسبق أعظم الشأن في العمل الصحفي. ويحتاج المحرر في كثير من الأحيان إلى سعة الحيلة للوصول على غايته. ومن أبرع الحيل التي استخدمها الصحفيون أن أحدهم في أثناء حرب الترنفسال كان يرقب نتيجة معركة خطيرة.

ولم يكن في تلك الجبهة إلا مكتب تلغراف واحد، وكان إلى جانبه زملاء آخرون يرقبوا تلك النتيجة أيضاً، فلكي يسبق سواه طلب إلى موظف التلغراف أن يرسل صفحات من الكتاب المقدس بالتلغراف إلى جريدته حتى يجول دون استعمال زملائه، ولما عرفت نتيجة المعركة تمكن من إرسالها قبل سواء، وأتبعها أيضا بقدر كاف من صفحات الكتاب المقدس ليضمن لجريدته الوقت اللازم لإذاعة الخبر على القراء.

ووفق صحفي آخر إلى عمل باهر ذهل له رجال السياسة على أثر الحرب العظمى، وكان له دوي في العالم كله؛ فقد وسع هذا الصحفي الحصول على معاهدة الصلح ونشرها في جريدته وهي – الشيكاغو تريبون – قبل أن تخرج من أيدي مصنفيها وفي حين كان مجلس الشيوخ

الأمريكي يلح على الرئيس ولسون في نشرها وهو يمتنع ويعتذر. وقد تم ذلك بالتواطؤ مع مندوب إحدى الأمم الصغيرة التي كانت تشكو فداحة شروط الصلح؛ فقد استطاع الصحفي من إقناعه بأن نشر المعاهدة منشأنه أن يسترعي النظر إلى أمته المظلومة ويساعد على الدفاع عن مصالحها.

وقد يحتاج الصحفي، بجانب المهارة وسعة الحيلة إلى الجرأة والشجاعة، فإن الصحفيين البلجيكيين أصدروا أثناء احتلال الألمان لبلادهم جرائد كان محرروها ينشرونها ويوزعونها على الجمهور خلسة ولعل أهمها جريدة (بلجيكا الحرة) التي حيرت الألمان أيما حيرة فقد بثوا عيونهم للاهتداء بها، وجعلوا مكافآت كبيرة لمن يساعدهم على القبض على محرريها وطابعيها، ولكن بلا جدوى. وما ذلك إلا لأن مطبعتها كانت تنتقل دراما على سيارة فإذا طبع العدد وزعت النسخ على بعض الأنصار وهؤلاء يوزعونها على أفراد الشعب.

وإذا حصل الصحفي على المادة التي ينبغي نشرها وجب عليه أن يصوغها في قالب إنشائي مقبول، ولإنشاء الصحفي يكاد يختلف عن الإنشاء الأدبي، ولا بد للمحرر من مراعاة اعتبارات جمة قد لا يحفل بها الأديب الفنان.

وسأسرد الآن نصائح خمساً أعتقد أنها أركان الإجادة في التحرير الصحفي المصري.

أولا: أُنظر.. هل موضوع المقال ملائم للجريدة أو المجلة التي تود نشره فيها، وهل هو موافق لأغراضها. ثم أُنظر هل حجمه متناسب مع أهميته من جهة ومع حجم المقالات التي تنشرها تلك الجريدة أو المجلة من جهة أخرى.

ثانياً: تأكد من صحة المعلومات التي ذكرتها: حقق أسماء الأماكن، وأسماء الأشخاص والأرقام والاقتباسات ولا تتردد في الرجوع إلى المصادر الموثوق بها.

ثالثاً: توخ الوضوح التام بحيث يفهمك القارىء العادي بدون إجهاد؛ فإنك إذا أرهقته في فهم ما تكتب أعرض عنك وعن الجريدة أو المجلة التي تكتسب فيها. واستعمل أسهل الكلمات وأقربها على ذهن الجمهور.

رابعًا: توخ دائما الإيجاز والاختصار واحذف كل كلمة يمكن حذفها، وكل عبارة يمكن الاستغناء عنها، وابدأ مقامك في الموضع ذاته: لا تطل المقدمات والتمهيدات بل ادخل توًّا في الصميم.

خامسًا: إبحث دائما عما يشوق القاريء ويقنص انتباهه. ليكن مقالك متشبعاً بالحياة. توخ الجديد والمبتكر وكل ما يثير التعجب ويستفز العاطفة. ومع ذلك إياك أن تصدم الذوق السليم أو أن تنول عن المستوى الأدبي الواجب الاحترام. أو أن تأتي أمرا من شأنه أن يزعزع ثقة القارىء فيما يقرأ.

ولنفرض الآن أن المقالة قد كتبت فيجب أن تعد للطبع ولكن قبل إعدادها ينبغي أن تعمل لها عملية التنسيق والتجميل المناسبة لكي تسترعي نظر القاريء حالما يتناول الجريدة أو المجلة؛ فإن منظر المقالة يترك في نفسه الأثر قبل أن يتأثر من فحواها.

وإذا كانت واجبات الصحفي دقيقة بوجه عام، فإن واجبات الصحفي في مصر أدق، لأننا لا نزال حديثي عهد بالصحافة، ولأن نسبة المتعلمين فيها أقل منها في سوانا من الأمم، ولأن للكلمة المطبوعة بيننا سحراً يستولي على العقول وأثراً ينطبع في النفوس.

فعلى الصحفي في مصر أن يحفل بأحلامنا الشرقية، وألا يذهب في المناقشة إلى مثل التهور الذي يذهب إليه بعض كتاب الجرائد الغربية، فلكل أمة أخلاقها وتقاليدها. ونحن في أخلاقنا وتقاليدنا أقرب إلى الحشمة والتأدب.

نزوة صحفي

كان (جيمز جوردن بنيت) صاحب جريدة (نيوريورك تربيون) صحفياً عظيماً، وكان لصحيفته مراسل في لندن غير حائز لرضاه، فتلقى المراسل ذات يوم برقية تأمره بالسفر إلى باريس لمقابلة بنيت فيها؛ فداخله الشؤم مما مر به. وكان المراسل يعرف أن بنيت يحب الكلاب ويرى مع من يرون أن الرجل الذي تحبه الكلاب وتأنس إليه لا يمكن أن يكون رجلا لا خير فيه، فعمد قبل سفره إلى شرائح من الكبد ودسها في

جيوب ذيل السترة الرسمية الطويلة التي كان يرتديها؛ فلما وصل إلى دار بنيت في باريس، ظل ينتظر ساعة كاملة، ثم فتح الباب، ودخل الصحفي العظيم ووراءه طائفة من الكلاب تبصبص بذيولها وتتشمم، فلم تكد ترى المراسل حتى وثبت إليه وجعلت تلحس وجهه ويديه. وإذا بوجه بنيت المتجهم قد انفرجت أساريره وشاع فيه الابتسام، وبدلا من أن يهوي على المراسل بالتعنيف والطرد، منحه أجازة أسبوعا يقضيها في باريس على حساب الصحيفة، وأعاده إلى لندن بعد أن زاد مرتبه زيادة كبيرة.

الأمم في نظر الصحف

استعرضت إحدى كبريات الصحف الصينية الدول الخمس الكبرى ولخصت رأيها قائلة:

"الفرنسي يتكلم، ثم يعمل على الفور. والإنجليزي يتكلم، و يعمل في آن معاً. والأمريكي يعمل، ثم يتكلم بعد العمل. والروسي لا يتكلم أبدا، ويعمل فقط. والصيني لا يفتأ يتكلم، ولا يعمل أبداً"

الخيال الصحفي

اشتهرت إحدى الصحف الأمريكية بإطلاق العنان للخيال في شتى الشؤون العالمية، وفي خلال الحرب الماضية نشرت الجريدة عدة مقالات تتضمن تفاصيل دقيقة لمراسلها (في ميدان القتال) وحدث أن تعرضت الجريدة لمعركة خاصة جاء وصفها لها غير مطابق للمعلومات التي لدى وزارة الحربية الأمريكية، فأرسلت الوزارة أحد كبار موظفيها

للاستفسار عن بعض النقط. وقابل الموظف رئيس التحرير وسأله عما نشر في إحدى المقالات، فقال رئيس التحرير: "تفضل بتوجيه أسئلتك إلى مراسلنا في ميدان القتال". وسأل الموظف عن عنوان المراسل، فأجاب:

- "في الغرفة المجاورة لهذه الغرفة!.."

سحر الكلمة المطبوعة

قال اللورد ساتورد رئيس مؤتمر الإعلان الدولي في خطاب ألقاه في اجتماع المؤتمر السنوي الذي عقد في جلاسجو منذ ١٥سنة: "يجب أن نضع نصب أعيننا أن أهم شيء في حياتنا العملية، الشيء الذي يوفر لنا جميعاً السعادة والاطمئنان، هو ضمان استمرار السلام بين الأمم" وأنه لا يزال فوق مستوى قوانا إدراك سبب استمرار تعثر الإنسان في طريق القدر في ذلة حقيرة: استمراره على اقتناء النفس، واستمراره على الاغتواء بمثل هذه السهولة المروعة في غابة الحرب العتيقة. لماذا يستمر ظل الطائرات المدمرة يلوث الأرض الخضراء الزاهية في كل مكان؟ لماذا تستمر هذه الحروب المبيدة على اجتياح جميع آمال البشر؟

إني أعتقد أن في الكلمة المطبوعة، ما دامت الحقيقة حرة حرية مطلقة، قوى أعظم صولة ونفوذاً من المدافع والغازات السامة وأكثر مناعة، وأقوى حرارة من الصلب.

من الواضح الجلى في هذا العالم، في كل مكان من هذا العالم الفياض بدلائل تفوق الإنسان وسيادته، في هذا العالم الذي حولت كل عناصره إلى أغراض مادية، إن واجب الإنسان أن ينهض إلى ذروة الهبة التي حباه بها الله، هبة الذكاء العظيمة؛ فذلك هو أعظم واجباته التي يجب أن يواجهها بشجاعة وعزم . يجب أن يولد في كل مكان فهم جديد لأخوتنا المشتركة. إن الحرب الوحيدة التي يمكن أن تنهي الحرب أن تكون عقيدة يؤمن بها العقل البشري.

الفصل الثالث

الصحافة والأدب

العلاقة بين الصحافة والأدب موضوع قديم متجدد منذ نشأت الصحافة، وقد كانت نشأتها كأثر من آثار الأدب ذاته ، إذ كان الصحفيون الأوائل أدباء من كتاب المقالات الأدبية الرائعة و من ناظمى القلائد الشعرية الغالية.

وبينما كان الأدب تعبيراً بألفاظ جميلة عما يجيش في النفس ويصوره الخيال ويهتف به القلب، ونحس به من الآلام والفقد وأسباب الإصلاح، كانت الصحافة مهنة مهمتها وقف الجمهور على مجريات الحوادث اليومية أو الأسبوعية، فتتناول أنباء الأدب ورسالتها كما تتناول غيرها من أنباء العلوم والجرائم والمال وبحوثها، ومن هنا كانت دائرة الصحافة أعم وأوسع نطاقا من دائرة الأدب، وكان الأدب جزءاً من

الصحافة، جزءاً صغيراً، وقد يكون تافهاً، لأن الصحافة تعني بما على الهامش وبالسهل الميسر، إلا إذا تخصت الصحيفة للأدب دون سواه. وقد استفتت مجلة الهلال حضرات: المرحوم عبد القادر حمزة باشا مؤسس جريدة البلاغ، والمرحوم أنطوان الجميل باشا رئيس تحرير جريدة الأهرام، وخليل مطران بك شاعر العروبة، وأحمد حافظ عوض بك مؤسس جريدة كوكب الشرق؛ فكان مما قاله المرحوم عبد القادر حمزة باشا:

"إن المتعارف عليه هو أن الأدب عنصر من عناصر الصحافة، ولكن الصحافة ليست الأدب. بل هي فن أعم وأوسع، فالأديب قد يكون كاتباً مبرزاً وبحَّاثة لا يشق له غبار، ولكن لن يكفيه ذلك لكي يكون صحافيا، وإنما يكون بأن يجمع إلى الأدب علوماً وفنوناً أخرى ثم بأن تكون له خبرة كافية بالناس وبالأشياء وبالحوادث وبأذواق الهيئات المختلفة ثم بأن يرزق مع هذا كله الملكة الصحافية التي يستطيع بها أن يلفت نظر الجمهور إلى ما يريد أن يبرزه أمامه، فالأدب على هذا بضاعة من بضاعات عدة لابد للصحافي منها ولاريب في أنها بضاعة جميلة، ولكن إذا اقتصر الصحافي عليها أو إذا هو برز فيها ولم يعط البضاعات الأخرى إلا القليل من عناياته، ولم يكن صحافيا. وبالعكس إذا هو أصاب في الآداب نصيباً صالحاً من غير أن يصل فيه إلى التبرير ثم أصاب مثل هذا النصيب في البضاعات الأخرى ثم كن مبرزاً في ملكته الصحافية فهو صحافي"

"ولكنني أعود بعد ذلك فأسأل: هل الأدب الصحيح يمكن أن يتم للأديب من غير إلمام كاف بكثير من العلوم و الفنون العصرية، ومن غير خبرة كافية بالناس وبالأشياء وبالحوادث وبأذواق البيئات المختلفة، ثم من غير أن يرزق مع هذا قدرة على أن يلفت نظر الجمهور إلى ما يريد أن يبرره أمامه؟"

"إن كان معنى الأدب أنه التبرير في اللغة والكتاب وفي معرفة الشعر فهو حينئذ أدب ضار غير منتج. أما إذا كان معنى الأدب أنه التثقيف الكامل علما ولغة وكتابة وخبرة بالناس والأشياء والأذواق، ثم قدرة على الإنتاج، فهذا هو الأدب الواسع المنتج. وهذا الأدب الواسع يكون الفارق بين الأديب والصحافي" إن الأول يبحث ويكتب غير مقيد بوقت، أما الثاني فإنه يكتب ويخرج فيها كتابه مقيداً بالوقت الذي تظهر فيه صحيفته.

"ولكل إنسان أن يقول حينئذ إن إنتاج الأديب أكثر تحقيقاً وأبعد غوراً من إنتاج الصحافي. وهذا صحيح ولكن الأديب ينتهي مع ذلك بأن يتخصص في ناحية معينة يتجه إليها أدبه. لأنه يختار الناحية التي تعجبه من نواحي الأدب فينصرف إليها، أما الصحافي فإن عمله الذي لا ينقطع يوماً ولا ساعة، والذي يطلب منه أن يكون حاضر البديهة حاضر الجواب على كل ما يدعى لأن يكتب فيه، وهو في كل ذلك لا يختار بل الحوادث هي التي تختار له كل يوم ألوانا جديدة وتدعوه لأن يتجه إليها،

هذا الصحافي ينتهي بأن يتسع أفق الأدب والعلم والخبرة عنده، فيكون كأنه الموسوعة بينما يكون الأديب بجانبه كأنه كتاب في فن معين"

أما المرحوم الأستاذ أنطون باشا الجميل رئيس (الأهرام) القراء فكان يرى أن الصحافي بحكم مهنته وعمله ينبغي أن يكون أديباً والعكس، فلقد قال:

"نعم ينبغي أن يكون الصحافي أدبياً، ومن حسن المصادفة أن أتلقى هذا السؤال وأنا أرتب بعض أوراق قديمة عثرت بينها على خطبة ألقيتها منذ بضع سنوات في حفلة تأبين المرحوم سليم سركيس، وقد طلبت عليَّ يومئذ أسرة الصحافة أن أقول كلمة باسمها فعرضت لهذا الموضوع: الأدب والصحافة، وأشرت إلى تلك العصبة المباركة من أعلام حملة الأفلام في القطرين الشقيقين كالشدياق والبستاني وسمير ونديم وعبد الكريم سلمان والمويلحى ومحمد عبده وأديب إسحق وتقلا والحداد وعلي يوسف ومصطفى كامل وولي الدين يكن، وغيرهم من الذين كانوا في آن واحد من أعلام الأدب المعدودين وفرسان الصحافة المعلمين. كانوا من مؤسسي الصحافة العربية وكانوا أركان النهضة الأدبية في النصف الثاني من القرن الغابر والربيع الأول من القرن الحالي. ومن يكتب تاريخ الصحافة عندنا يكتسب تاريخ الأدب في تلك الحقبة من الزمن".

"وإذا نظرنا إلى رؤساء الكتاب في صحفنا اليوم وإلى كبار معاونيهم نجد الصحافي متلبساً بالأديب"

"نعم ليس كل أديب بصحافي، ولكن ينبغي أن يكون كل صحافي أديباً، لأن الصحافة قد ارتفعت إلى المنزلة التي صارت اليها وأصبحت أشبه شيء بدائرة معارف شاملة عامة، وبات ارتباط وثيق بينها وبين الأدب".

"وبعد.. إذا رجعنا إلى تحديد الأدب ألا تراه أحوج ما يحتاج إليه الصحافي؟"

"قالوا أن الأدب صناعة تعرف بها أساليب الكلام البليغ في كل حال من أحواله".

"وقالوا أيضا عن الأدب علم يتعرف منه التفاهم عما في الضمائر بأدلة الألفاظ والكتابة، ومنفعته إظهار ما في نفس الإنسان من المقاصد وإيصاله إلى شخص آخر حاضراً كان أم غائبا"

"وهل مهمة الصحافي غير هذا وهو يحاول إيصال ما في نفسه كل يوم إلى عشرات الألوف من قرائه؟. وهل يستطيع ذلك إذا لم يكن عارفا بأساليب الكلام البليغ في كل حال من الأحوال؟"

"فعلا إن من الصحافة من الصفحات اللازمة عادة للأديب، وهو فوق ذلك في حاجة ماسة إلى صفحات أخرى خاصة بمهنته، لذلك قلت: ليس كل أديب بصحافي، ولكن ينبغي للصحافي أن يكون أديبا"

* * *

وأنت تعرف صلة الأستاذ خليل مطران بك بالصحافة والأدب فقد اشتغل بالصحافة عدة سنوات، ومارس خبرة واسعة فيها وفي الأدب. ولكنه يرى أن الصحافة شيء آخر، على أنه يمكن الجمع بينهما: "فهناك صحافي أديب وصحافي ليس بأديب؛ فالصحافة الأديب هو الذي تعلم تعليما وافياً وتمكن في لغته وأخذ حظاً من البيان ثم زاول الصحافة وتصرف في الموضوعات تصرفاً لا ينسى الأساس الذي قام عليه علمه وأدبه من إتقان اللغة وحسن الديباجة ومراعاة الأصول. أما الذي تعلم تعليما بسيطاً ودخل الصحافة لتلقط الأخبار، أو أن عنده فطنة خاصة لفهم بعض الأمور التي تتعلق بالجماهير، فهذا لا تستطيع أن تقول إنه أديب"

وفي أوربا يتحتم عادة أن يكون الصحفي أديبا، لأن هناك وسائل للإعداد في الصحافة، وعندهم تنافس شديد يضطر الصحفي أن يكون مطلعا في اللغة والأدب، خبيرا بهما الخبرة كلها. ولهذا يكثر عندهم الصحافي الأديب.

أما أحمد حافظ عوض بك فعنده أن الصحافة قسمان: قسم مالي، وقسم يعتمد على العقيدة والمبدأ، ومن هنا كان الصحفيون قسمين: قسم مالي أي تاجر، وقسم مبدئي أي صاحب رسالة. أما المالي فليس بلازم أن يكون أديبا، بل يكفي أن يكون على دراية بما حوله من الشئون العامة وإن كان له لأي في توجيه جريدته مثل اللورد بيفربروك في إنجلترا، وكوتيه صاحب الفيجارو الذي يملك معامل العطور المشهورة.

أما الصحفي ذو العقيدة، فيجب أن يكون أديباً مثقفاً، أعني مثقفاً ثقافةً واسعة، متتبعاً للحركة الفكرية والعلمية والأدبية خبيراً بالشئون العامة. ولذلك أقول إن الأدب لا ينفك عن الصحافة وهو أحد عناصرها وإن الصحفي أديب أو يجب أن يكون أديبا متى كان من القسم الثاني الذي يحمل القلم.

يقول الصحفي البريطاني الكبير (ويكهام استيد): المعروف أن الجريدة تعتمد على الجمهور وتتوقف عليه، ومن ثم يجب أن تخلص له ومصلحته، وينبغي لها ألا تنشر ما يلائم ذوق الطبقات المنحطة لكي تزيد من عدد قرائها، وإن أحسن رد على السؤال سمعته في حياتي، هو أنه يجدر بالجريدة أن تعنى بنشر الأصلح، بطرق ممتعة جذابة، تجعل الجمهور يتذوق ما يقرأه ويستوعبه، وهنا تأتي أسمى الصفات التي يجب أن يتحلى بها الصحفي. وليست الصحافة النافعة المجدية، كالسكر الذي يغطي حبة، ربما لا يستساغ طعمها لو كانت بدونه، بل أن الصحافة النافعة المجدية، تشبه أكثر مما تشبه الطعام الذي يعده طاه قدير،

يستطيع أن يتفنن في المواد التي يستعملها في إعداد ذلك الطعام، بطريقة تجعل ما يقدمه منه شهياً ولذيذاً ومغذياً.

هذا هو الفرق الصحيح بين الصحفي والأديب، فالأديب يختار مواده، ثم يعدها كما يعد الطعام بالطريقة التي تلائمه، وإذا رغب الجمهور عما يقدمه إليه، ولم يشتر كتبه، فإن الخسارة تعود عليه (أي على الأديب) وحده، أما الصحفي فعليه أن يستعمل المواد التي ترد على سوق الأخبار يوماً بعد يوم، فإذا أساء استعمالها، فإن جريدته قد تخسر بأن يقل عدد المشتركين فيها، وتضيق دائرة ذيوعها وانتشارها، وربما يضر غيره أكثر مما يضر نفسه. ومن ثم ينبغي على الصحفي أن يفكر دائماً في جريدته، وفي خير الطرق التي تمكنه من خدمتها، والعمل لصالحها. وفي الكثير من الأحايين، قد لا يوافق على المنهج الذي تسلكه جريدته أو الخطة التي تتبعها، فيريد أن يقرر ما إذا كان الأجدر به أن يترك الجريدة، أم يقبل وجهة نظر رئيس تحريرها أو صاحبها، باعتبارها أقرب إلى الحق من وجهة نظره الخاصة، وقد تصبح المسألة مسألة ضمير يضطر معها الصحفي أن يختار بين أن يفقد وظيفته، أو أن يتظاهر بالموافقة على شيء أنه خطأ، وقد يفضل الصحفي النافع أن يفقد وظيفته، ولكن ينبغي عليه قبل أن يفعل ذلك، أن يتأكد تماماً من أنه ليس مغترا فقط بآرائه، أو مخطئا في ظنه أنه أرجح عقلا من جريدته.

الجوائز الأدبية والصحفية

عرفت الجوائز بأنها رمزاً للجمهور ومكافأة للبطولة وإشادة بالنبوغ، وتشجيع للطلاب على المزيد والاقتداء. وقد عرفت مصر هذه الجوائز على صورة غير نظامية؛ فقد توضع في برنامج المباريات الرياضية والأناشيد، وقد تقررها الجمعيات والمجامع، وقد تعمد إليها الجرائد والمجلات وأصحاب الإعلانات فيها ترويجاً للصحف والسلع. وقد وضعت جوائز في سنة ١٩٢٦ لأحسن الرسائل في موضوعات معينة كرسالة الأزهر في القرن العشرين، على أن أشهر الجوائز على الإطلاق جائزة نوبل العالمية التي تقررها الأكاديمية السويدية، فطالما تطلع إليها فحول العلماء والكتاب والمؤلفين والشعراء ورصدوا جهودهم الفكرية في سبيل الظفر بها. ليس لفائدتها المادية فحسب وإنما لأنها اعتراف صريح بنزعة الكاتب إلى تحقيق المثل الأعلى فيها وإنما لأنها اعتراف صريح بنزعة الكاتب إلى تحقيق المثل الأعلى في إنتاجه والخروج برسالته من الحيز المحلي الضيق إلى المحيط العالمي، وبث روح الإنسانية المشتركة التي ينشدها أنصار السلام، وهذه هي التي أملت على ألفريد نوبل في شيخوخته أن يوقف ريع ثروته الكبيرة على العاملين في سبيل السلام والدفاع عن الإخاء الإنسانى تكفيراً للمانح عما نزل بالعالم من نكبات واختراعات، وقد خصصت لأحسن البحوث في العلوم والفنون والآداب.

ومن أشهر الجوائز الفرنسية جائزة جونكور، وجائزة يتوفراست رينودو، وجائزة التحالف الدولي، وجائزة جريدة الأنترانسيجان، وجائزة

الأدب الكبرى التي تمنحها سنويًّا الأكاديمية الفرنسية. وقد قررت جامعة فؤاد الأول منذ سنة ١٩٤٦ منح جائزة لأحسن المؤلفين في الأدب. أما جائزة جونكور فقد أنشأها الكاتبان أدمون وجول دي جرنكور والقرن التاسع عشر، وهي تمنح للكاتب القصصي في (المذهب الواقعي) وقد فاز بها من الكتاب: مارسيل بروست، وجورج دوهاميل، ورولان دورجليس. أما المحكمون في هذه الجائزة نيوفراست رينودو، فإنها تمنح إلى الكاتب الذي يسعه تغليب الجانب الإنساني الشعري في القصة على الجانب الواقعي الشائع.. أما الجائزة الثالثة فهي في الحقيقة أعظم الجوائز الأدبية على الإطلاق لأنها لا تمنح إلا للكاتب القصصي المجدد حقاً، للكاتب الذي يجدد في الأسلوب وفي طريقة وضع القصة وفي مراميها الاجتماعية والخلقية في اللغة الفرنسية ذاتها. وكثيراً ما تمنح لكتاب متطرفين جداً من حيث مذهبهم السياسي والاجتماعي.

والأعضاء المحكمون الذين يمنحون هذه الجائزة لا يهابون الرأي العام ولا يخشون سيطرة التقاليد، ويعتقدون أن غايتهم هي البحث عن القصص المجدد الصادق مهما تعارضت نزعاته وميوله وأفكاره مع النزعات والأفكار المسيطرة على الأدب التقليدي وعلى عقلية الشعب؛ والدليل على ذلك أن هذه الجائزة منحت مرة للكاتب لويس فريناند سيلين عن قصته (رحلة إلى أقصى الليل) وهي قصة تكاد تكون موضوعة باللغة الدارجة وتكاد تكون صرخة منطلقة من صدر رجل فوضوي، ولكن الأعضاء المحكمين تلمسوا حركة التجديد الصحيحة الأدب بين ثنايا هذه القصص.

أما جائزة الأدب الدولي الكبرى وقيمتها ثلاثمائة ألف فرنكا؛ فهي تمنح لأي كاتب أجنبي يكتب بلغته القومية، ويجوز أن تمنح لأي كاتب مصري يستحقها. ومن أروع الأعمال الأدبية التي ظفرت بهذه الجائزة قصة لكاتبة مجرية شابه تدعى يولاند فولدس بعنوان: (شارع القط الصياد) وهو اسم شارع معروف في باريس يأوي إليه الفنانون الغرباء ويعيشون حياة أقرب إلى الصعلكة والفاقة. وفي الولايات المتحدة عشرات الجوائز الأدبية المختلفة، لأن كل ولاية ترصد جوائزها الخاصة وتقصرها على أبنائها. أما الإنجليز فقلما يأبهون لأمثال هذه المظاهرة حتى أن برنارد شو لما منح جائز نوبل رفضها مع أن قيمتها تزيد على ٨ آلاف جنيها. وقد ظفر الكاتب الروائي شارلس مورجان بجائزة هاوتور.

الفصل الرابع

الاستبداد وعدو الصحافة الحرية أساسها

كان المستبدون والديكتاتوريون أي الحكام بأمرهم في العصر الحديث – كما كان في عهد هتلر و موسوليني وكما هو قائم الآن في روسيا السوفيتية والدول البلقانية وهنغاريا وألمانيا إذ تسيطر روسيا جهرة أو خفية على هذه البلاد – كان هؤلاء الأعداء الألداء للصحافة، وقد ضربت الأمثال بعداوة قياصرة روسيا والسلطان عبد الحميد خان الثاني للأحرار وعلى رأسهم الصحفيين.

يقول كاتب فرنسي في مذكرات نشرها عن عهد السلطان عبد الحميد إن وفداً من الصحفيين الفرنسيين زار الأستانة في ذلك العهد، ووسط سفير فرنسا ليسمح له بمقابلة السلطان فسعى هذا سعياً حثيثا حتى نال إذنا بالسماح للوفد بالمقابلة. وجاء الصحفيون في الوقت

المعين فأعلن كبير الأمناء السلطان بوصولهم؛ فتردد في استقبالهم وأمره بأن يعتذر إليهم ويصرفهم وقال له: "إنني أخاف من رجال الصحافة أكثر من رجال السياسة، فمع هؤلاء يجب على المرء أن يردد دائماً يريد أن يسمعهم إياه، وأما الصحفيون فيجعلونك تقول ما يريدون هم أن تقوله"، وهكذا ألغيت المقابلة واعتذر كبير الأمناء للصحفيين بأن جلالته متوعك المزاج.

ويقول الكاتب الفرنسي: أن السلطان كان يخاف من الصحافة خوفاً شديداً، وأنه سعى كثيراً لجذب الصحافة الأجنبية إليه واسترضائها فلم يوفق وأصبحت عهده ناراً حامية.

كذلك كان الحكام بأمرهم يتخذون الصحافة المقيدة، بوقا لستر فضائحهم والإشارة بتصرفاتهم. ومن هنا كانت ورقاً وحروفاً وأوامر، لا صحفاً ولا رأياً.

ومن أمثلة قضايا الحرية الصحفية:

(قال الصحفى الأمريكي رونالد كاروس بيتي): فرض أن صحيفة (نيويورك جورنال) قد نشرت على قرائها أن حاكم نيويورك رجلٌ مرتش، ثم فرض أن محرر الصحيفة ألقي بعد أيام في غياهب السجن، وأن أعدادها جمعت من حيث تباع، وأشعلت فيها النار فلم يبق في البلد سوى صحيفة واحدة هي لسان لحكومة تأتمر بأمرها.

نعم كل هذا من باب الفرض في أيامنا هذه، ولكنه كان حقيقة واقعة قبل أن تقررت في أمريكا حرية الصحافة. وقد كان الموظف المرتشي هو وليم كوسبى حاكم مستعمرة نيويورك البريطانية باسم ملك الإنجليز، وكان مشهورا بقسوته هو وبأنه يمد يده إلى خزينة المستعمرة، ولا يتحرج من ابتزاز المال من أفراد الشعب. أما محرر صحيفة (الجورنال)، أو بالأحرى طابعها، فقد كان جون بيتر زنجر، وقد كان ذلك في سنة ١٧٣٥.

وفي اليوم الرابع من شهر أغسطس ازدحمت غرفة المحكمة بجمهور متلهف، أو بتلك الفئة من الشعب التي أدركت أن قضية هذا الطابع المجهول هي قضية الشعب كله. وكان الرجال الذين جلسوا على منصة القضاء من أتباع الحاكم، وكان الحاكم نفسه قد أقال رئيس المحكمة الأمين النزيه، حتى يخلو له الجو ليضطهد الناس كما يشاء، ثم حظر على أبرع محاميين في المستعمرة أن يترافعا حين تقدما للدفاع عن المتهم. وإذن فمن يجرؤ الساعة على الدفاع عنه؟

ذلك بأن حرية المرء في أن يطبع ما يراه، لم تكن يومئذ سوى شعاعا خافتا من الضوء، مع أن أهل الدول الديمقراطية اليوم يعدونها شيئاً مألوفاً. وقد فرض الملك هنري الثامن نظام الرقابة على الكلام المطبوع قبل انقضاء زمن طويل على دخول الطباعة في إنجلترا. بل أنظر إلى هؤلاء الرجال الأحرار الذين هجروا أوربا إلى أمريكا لينشئوا فيها دولة حرة، إنهم كانوا لا يفهمون الحرية إلا في نطاق ضيق – أن يكون المرء

حراً في نشر ما ترضى عنه الأقلية الحاكمة. وما يوافق آراءها ولم يكن في مستعمرة نيويورك في عهد حاكمها كوسبي سوى صحيفة واحدة اسمها (الجازيت) وكان يصدرها رجل كان محتكراً المطبوعات الحكومة، أي أن الحاكم كان يقبض على زمام الصحافة والقضاء بيده القاسية الملوثة.

فلذلك عمد فريق من الأحرار إلى إنشاء صحيفة (الجورنال) لكي يفضحوا في صفحاتها فساد الحكم، وجعلوا مقرها في مطبعة زنجر، وكان زنجر نفسه يكتب بعض مقالاتها اللاذعة. نعم إن زنجر لم يكن كاتباً مجيداً، ولا محدثاً يقيم الكلام على أصوله الصحيحة، ولكنه كان رجلاً كريم النفس أبياً على الظلم. وكان قد رحل إلى نيويورك من ألمانيا وهو في الثالثة عشرة من عمره، وكان حظه من الثقافة قليلا، ولكنه تجرأ على طبع الأصول التي جاءه بها أصدقاؤه الأباة، فلما طبعها وقعت تبعة طبعها على كاهله دون غيره، فلما أمر الحاكم بأن تشعل النار في نسخ (الجورنال) أبى زنجر أن يكف، ذلك بأن الحق لا ينقلب رماداً، وقد كان الجمهور يقف أمام النيران المتأججة، ويقرأ على ضوئها الطبعات الثالثة والرابعة من صحيفتهم التي لا تخاف في الحق شيئاً، وازداد ما يباع من الصحيفة كل أسبوع ازدياداً مطرداً، فضاق الحاكم بها ذرعاً، وقرر في آخر الأمر أن يودع زنجر غياهب السجن، وجعل مبلغ الكفالة لخروجه منه باهظاً يعجز أغنى الناس، ولاسيما بعد أن حظر عليه أن يتصل بالمحامين، أو أن يكلم أحداً من الناس سوى زوجته، وذلك من خلال ثقب في الباب.

كانت (أنة زنجر) زوجة تضاهي زوجها شجاعة وإباء، فمضت في إصدار الصحيفة تلبية لرغبة زوجها، ولم ينقطع عن الظهور سوى عدد واحد منها. ولكن زنجر واقف اليوم في المحكمة وعلى عيون القضاء التي لا ترحم، وهو متهم بجريمة كبرى، وليس له وسيلة للدفاع عن نفسه.

وهكذا ظل الحاكم، ولكن الجمهور المحتشد في غرفة المحكمة الحارة انشق ليفسح الطريق لشيخ أشيب الشعر محني الظهر يسير بخطى وئيدة، فقد سمع بمأساة الطابع المسكين؛ فرحل على الرغم من الآلام التي تنتابه رحلة شاقة مسافة مائة ميل من مدينة فلادلفيا إلى نيويورك، وقد ظل وجوده في غرفة المحكمة مكتوماً، ولعل ظهوره فيها ذلك الظهور الرائع أذهل القضاة. وإذا بالوجوه المتغطرسة قد انقلبت حمراً تحت الشعور العارية البيضاء، وإذا المحلفون، وهم من عامة الناس، قد أخذ بعضهم ينظر إلى بعض نظرات تنبيء باهتمام متجدد.

وقد كان آندرو هملتون مهندساً بناءً، وهو الذي وضع تصميم (دار الاستقلال) المشهورة في تاريخ أمريكا، ولكنه وضع أمتن بناء وأبقاه يوم وضع الأساس لحق من أعز الحقوق على البشر وأثمنها، ومع ذلك كان النائب العام برادلي لا يزال مقتنعا كل الاقتناع بأن القضية التي أعدها لا يأتيها الباطل، ساعة وقف وقال المحكمين قول المتعالي إن الموضوع المعروض عليهم للفصل فيه هو هذا ولا شيء غيره: "هل تولى زنجر طبع الأشياء الكاذبة التي تحتوي على قذف في الحاكم الملكي؟ أما هل

تنطوي هذه الأقوال على صدق وحق؟ فشيء لا يسمح للمحامين أن ينظروا فيه"

كان هملتون الشيخ خبيراً بأساليب المحاكم، فوقف وفي وقفته عزة ووداعة وقال: " حضرات القضاة؛ إنني أوافق النائب العام على أن الحكومة مقدسة، ولكنني أخالفه في أن الشكاوى العادلة التي يتقدم بها الشعب يعاني حكومة فاسدة، تعد قذفا ".

فصاحت النيابة: "هذا كلام سخيف، والقوانين التي أصدرها الملك تشارلز الأول تقضي بأن كل نقد يوجه إلى موظف الحكومة قذف، سواء أصدق أم لم يصدق".

فرد هملتون في لهجة الرجل الرزين: "إن ذلك لا يمكن أن يكون، فالاتهام الذي صدر في حق زنجر ذكر أنه نشر مطاعن كاذبة، فكلمة كاذبة لم تكتب عبثا في دار الاتهام"، قال: " فإذا دعيت الحقيقة قذفا، كان ذلك سيفاً في يد ملك شرير، أو جبان فاسد، يهلك به الأبرياء".

فهاج النائب العام وقال: " كن حذراً يا مستر هملتون فيما تقول، وإياك والشطط "

فقال هملتون وهو يبستم: " حقّاً، حقاً إن رجال الحكم لا يعرفون كم الأخذ بأصول العدالة. وقد يكون في وسعنا أن نقنع الحاكم بأن مصلحته تقتضيه أن يكون عادلا. ولكن ما قيمة هذا كله إذا فرض

السكوت على كل رجل يتظالم، أو إذا اتهمنا بالقذف كل رجل يبث شكواه ومظالمه لجاره؟"

فقاطعه أحد القضاة منتهياً وقال: " إن القانون واضح لا لبس فيه، فالقذف قد يكون قذفا ولو كان صحيحا، والصدق يزيد من فظاعة الجريمة متى قيل في حق موظف من موظفى الملك.. فليلزم هملتون الصمت في هذه المسألة، ولن يصغي القضاة إلى حجته"

فانحنى هملتون وقال: " أشكر لحضرة القاضي ما قال" ثم تحول حتى واجه المحكمين وصاح: "يا حضرات المحكمين، إليكم نلتفت الآن للظفر بشهود على صحة الحقائق التي عرضناها، ثم حظرت علينا حرية إقامة الدليل عليها. إن الحقائق التي نحن على أهمية إقامة الدليل عليها ذائعة مشهورة، فلا ملاذ لسلامتنا سوى عدلكم. ولما كانوا قد أنكروا علينا حرية إقامة الدليل على صحة ما نشرنا فإنني أستأذنكم في أن منع الدليل ينبغي أن يعد أقوى دليل"

وفي وسعنا اليوم، وقد انقضى قرنان من الزمان، أن نسمع صوته الرنان ونحس السكوت الملهوف المخيم على المستمعين، وكانوا قد أصغوا إلى النائب بشعره المستعار، وألفاظه القانونية، وثيابه الموشاة، فلم يغلبهم ما رأوا وما سمعوا على عقولهم، ولكن هذا الشيخ قد استأثر بعنايتهم ساعة قدح الحقائق بالحق فطارت شرارة الحرية.

صاح هملتون: " إن المسألة المعروضة عليكم ليست مسألة قليلة الخطر أو مسألة خاصة، وهي ليست قضية طابع مسكين تحاكمونه الآن لأكرم قضية. إنها قضية الحرية، كل رجل يؤثر الحرية على الاستعباد سوف يجلكم ويكرمكم، لأنكم رددتم عدوان الاستبداد بحكم نزيه، ولأنكم وضعتم أساساً نبيلا يضمن لنا ولذريتنا ولجيرتنا ذلك الحق الذي منحتنا إياه الطبيعة وأقرته لنا الشرائع، حق فضح السلطة المستبدة ومقاومتها بقول الحق وكتابته"!

تأججت النار في صدور القضاة، وإذا برئيس المحكمة يجمل في عبارات مثقلة بالتهديد، خلاصة التهمة للمحكمين؛ فكأنه يوجههم إلى الحكم على زنجر بأنه مذنب.

وخرج المحكمون من مقصورتهم، فلم تكد تنقضي دقائق حتى عادوا وأصدروا قرارهم بالبراءة؛ فهز الهتاف أرجاء المحكمة حتى عجز القضاة عن إقامة النظام. وفي اليوم التالي أطلق سراح زنجر. أما الحاكم كوسبي فقد هاله أن تفسد خطته، وأن يهان، فمرض وما لبث طويلاً حتى مات. وطبعت خطبة هملتون ووزعت في جميع المستعمرات الأمريكية، وكان لها أثر كبير في بلاد كثيرة.

وهذا المجهود الذي بذله شيخ شجاع منذ زمن طويل، أتى ثمره فلما وضع الدستور الأمريكي نص فيه على حرية الصحافة في التعديل الأول لبيان حقوق الإنسان، ومنذ ذلك اليوم إلى يومنا هذا، لم يستطع

أحد من أهل الحكم أن يقضي على حق الصحافة الأمريكية في نقد الحكومة مهما كان النقد مراً لاذعاً.

حرية القول والكتابة

تحدَّث معالي عبد الحميد بدوي باشا عن حرية القول والكتابة في محاضرة له، نجعل ما ورد فيها متصلا بحرية الصحافة والإذاعة والدعاية وما هناك من القيود والعقبات فيما يلي:

حرية القول، وقد يطلق عليها على سبيل المجاز حرية الرأي أو الفكر، لأن القول لا يعدو أن يكون إعلانا لرأى أو جهراً به، ولأن الرأي لا تكون له قيمة أو شأن إلا بقدر ما يجهر به ويتبادل بين الناس، هي أن الإنسان يقول ما يشاء ويعلن ما يعرف أو يرى، والقول هنا يشمل اللفظ باللسان، كما يشمل الكتابة والرسم والصور وغيرها من وجوه أداء الفكر والأحاسيس.

أما حرية الرأي بالمعنى الحقيقي، فهي ألا يكلف المرء رأيا أو عقيدة غير ما يرى ويعتقد. وهي حرية لازمة أي أنها لا تعني إلا صاحب الرأي، أما حرية القول فهي حرية متعدية تعني حق القائل في القول والمستمع في الاستماع وحق الجدل والمناقشة.

وكلا الحريتين جزءان من الحرية الشخصية بالمعنى العام، ولكنهما يتميزان عن الحرية الشخصية بالمعنى الخاص، وهي حرية الإنسان في شخصه أو بدونه، وحريته في الغدو والرواح، وهي الحرية التي قامت من

أجلها بعض الثورات لتقرير ضمانات تحد من سلطان أهل الحكم فيما يتعلق بالقبض على الناس أو حبسهم وتنظم محاكمتهم. وحرية القول أو الرأي ليست هي الحرية السياسية ولا تختلط بها؛ فالأولى تتعلق بالفرد أصلا وبالذات، وإنما تتعلق الثانية بالشعب في جملته وتقيد حقه في حكم نفسه. على أن بين الحريتين صلة؛ فحرية القول هي التي أتت بالحرية السياسية، وهي نظم الحكم المعروف بالديمقراطية، وحرية القول من جانب آخر من مستلزمات الديمقراطية، فإن النظم الحرة لا تعيش إلا في ظل حرية القول.

والحرية بوجه عام معنى يصف صلات أناس في المجتمع، سواء أكانت الطلاب بين فرد وآخر أم بين الفرد والمجتمع. ولا يمكن أن تكون مطلقة. ولو أنها كانت كذلك لترتب عليها فناء بنى الإنسان وفناء الحرية نفسها، لذلك لا تكون حرية الفرد حرية صحيحة، إلا إذا كانت حريات سائر الأفراد وبقاء المجتمع الذي يتألف منهم؛ فالحرية يجب إذن أن تكون مقيدة، والقيد شرط وجودها والتمتع بها، وتعيين مدلولها ومداها، هو تعريف القيود التي تحدها، إن كثيرة فالحرية ضيقة المجال، أو قليلة فهي رحبة واسعة.

أما حرية القول فتتصل بعنصر الحياة المعنوية؛ فالأديان والأخلاق والسياسة، أو نظر الحكم والعلوم والآداب والفنون، كل ذلك مما أنست المقاصد ما اتخذ في سبيلها من وسائل. فإذا أخفي أثر حرية القول فيما يعتنقه الإنسان من دين أو يتخذه من خلق وقواعد سلوك، أو فيما تدبر

به صلاته بالأفراد والمجتمع وتساس به أمورهم، أو فيما يطالعه من آيات العلوم والآداب والفنون، فلا تبغي تأويل ذلك إلا في أن حرية القول اختلطت بموضوعها، فبرز الموضوع وهو المفسد، وخفي أن الحرية وهي الوسيلة.

لقد كانت الأديان ونظم الحكم والاجتماع والحريات المختلفة والأخلاق، كلها، ثمرة تلك الحرية، وكلما استقرت الحضارة في ناحية من هذه النواحي على حال. لم تزل حرية القول ترقب تلك الحال وتنفذ إلى نقائصها وعيوبها ووجوه سدها وإصلاحها، والدفع بها قدما، أو تغييرها إذا رؤي أن شيئا آخر أفضل وأجدر بالاختيار. وها هو النظام البرلماني.. ألا يقال فيه إنه خير ما اهتدى إليه الإنسان في نظم الحكم؟ أترى حرية القول سكتت عن مدارجة عيوبه وضبط مقوماته من أحزاب أو انتخابات؟ والحريات نفسها ألا تتعقبها حرية القول وتنظر نافذة فيما اتخذ لها من أسباب الحماية والتوفيق بينها وبين نظم المجتمع والأخلاق؟.. ألا تتغير بين جيل وآخر بفعل النقد والتطور؟ وأداة حرية القول نفسها من صحافة وإذاعة وسينما ألا تسلط عليها تلك الحرية نفسها، فتقوم اعوجاجها وتصلح فاسدها وتكشف ما تفعل المصالح بها في بعض الأحيان؟

وقد لا يظن الناس أن العلوم والآداب والفنون إلا أرض تلك الحرية تجول فيها كل مجال، ولكن كم الحرية القول فيها أيضاً من قتال. أطرح جانبا طبعاً الوقت الذي نعيش فيه الآن، فإن الدستور أجاز تعطيل أحكام الدستور أثناء قيام الأحكام العرفية؛ وقد أعلنت هذه الأحكام أنها تجيز

للسلطة القائمة على إجرائها مراقبة الصحف قبل نشرها. وقد كثر الكلام في أمر هذه الرقابة، ولعل أصدق حكم على ما يجب أن تكون عليه هو ما أعلنه القائم عليها في بريطانيا العظمى، من أنها لم تستعمل في تلك البلاد إلا فيما يتصل بشئون الحرب، وظلت حرية الرأي والنقد في كل ما عدا ذلك من الشؤون مكفولة.

ولعل أول واجب بعد زوال تلك الأحكام هو أن يرجع النظر في القوانين، ليدلل ما فيها من عقاب في سبيل تلك الحرية. وربما كانت أكبر عقبة فيها هي تلك الأحكام المبهمة الناقصة التي تؤلف جرائم الرأي، وقد أشرت إلى طائفة كبيرة منها، ولم أذكرها على سبيل الحصر. نقلت هذه الجرائم عن القوانين الفرنسية القديمة، ورأى قانون الصحف الفرنسي الذي صدر في سنة ١٨٨١ من الخير أن يلغيها، وبعض هذه الجرائم له أشباه ونظائر في القانون الإنجليزى، ولكنها كما قلنا لا تطبق إلا في ظروف إستثنائية. والواقع أن هذه الأحكام العرفية قائمة والرقابة تحول دون نشر شيء يمكن أن تكون منه جريمة. ولكني أعني الوقت الذي سبق الحرب، ذلك أن النظام البرلماني بما يقوم عليه من عدم مؤاخذة أعضاء البرلمان على ما يبدون من الأفكار والآراء في المجلسين، تعود على حرية القول خارجهما.

ولقد كانت مواد جرائم الرأي قديما تطبق على وجه لا يتفق كثيراً مع حرية الرأي، ويعاقب بها على عبارات هينة، وكان هذا التطبيق يساير

بطبيعة الحال تطبيق قانون المطبوعات المصري الصادر في سنة ١٨٨١ وهو القانون الذي كان يبيح للحكومة وقف الجرائد وتعطيلها إداريا.

وقد شهدت التجارب بأن قيود حرية القول تحرم أصحاب الرأي مخرجا ومتنفسا لا بد منه، كما تحرم الناس بوقائع وآراء قد يفيدون منها كثيراً، وتقيم مقام الحكم من يجوز ألا يكون أفضل من أصحاب الرأي أنفسهم، أو أدى إلى الصواب، وهي تضفي على القديم حماية بل قداسة لا تخلو من الغلو المسرف، وتوصد دون الجديد منافذ القول، وفي الحق ليست العبرة فيها دائماً بالحق والعدل في ذاته، بل بما يرضي أو لا يرضي أصحاب الحل والعقد، وربما كان أصح فيصل وأضبط في أمر هذه الحرية هو الأمن والسلام، فما يتهدده حقيقة لا ظناً وتقديراً يكون محرماً وما لا يتهدده يكون مباحا، وثمة نقطة تحول فيها حرية القول إلى ما يشبه حرية العمل، وهي هذه السلطة التي لا يجوز أن تبلغها حرية القول المطلقة.

ولقد أصبحت الصحف والإذاعة والسينما من وسائل التربية والتعليم. وصارت الصحافة والسينما تجارة وصناعة في ذاتها. كذلك أصبحت الإذاعة والسينما خاضعتين حتى في البلاد الديموقراطية لرقابة الحكومة. ولكن هذه الوسائل بما لكل منها من ضرورة ومذهب في القول، وبما بينها من تسابق وتنافس وتفاعل وتعارض، لا تزال بالرغم من تلك الضرورات والصلات ومن قيود الرقابة كفيلة بنشر حرية القول وإحيائها إذا هي سلمت من مرض الدعاية (propaganda)

والدعاية نزع من الدعوى هيأته هذه الوسائل الجديدة، وتستخدم فيها كل وسائل التأثير التي يعرفها علم النفس، وهي ترمي بالتكرار والإيحاء إلى خلق رأي عام من غرار واحد يرى بعين واحدة ويسمع بأذن واحدة. وليست الدعاية على هذه الصورة أمراً جديداً، ولكن ما للوسائل الجديدة من الانتشار والنفوذ وهبتها قوة لم تكن لها من قبل.

وفي الدعاية الطيب والخبيث، ولكنها جميعاً تضعف الشخصية وتقتلها وتحول دون إبراز كل ما أودعه الله في العقول والنفوس المتباينة من خصال وملكات، ودون أن يحيا الناس حياة خاصة كاملة. وها نحن الآن نشهد عهداً فعلت فيه هذه الدعاية فعلها، وغلبت فيه حرية القول على أمرها، وتصلى حربا وقودها المدنية نفسها، بعد أن عانت الإنسانية في بلوغها شدائد الأهوال، وقطعت في سبيلها ما لا يعد من الأجيال.

ولكن حرية القول التي قاومت العقاب والاضطهاد، ودكت معاقل الاستبداد، وخرجت من كل ما منيت به من محن وأحيطت به من سلاسل وقيود، ظافرة تفيء على العالم في كل ناحية من حياة الإنسان ظلاً ممدودا، هذه الحرية جديرة بأن تتغلب على هذه المحنة، وأن تكون أشد مما لقيت، وأن تضيء من جديد بنورها وتمده بروحها

الفصل الخامس

التعليم الصحفى ومعاهده

في مصر وأوربا وأمريكا مدارس ومعاهد وكليات، وفي الأخيرة جامعات للصحافة على أنه لا يزال أكثر صحفيي العالم ممن لم يدخلوا الصحافة عن طريق الشهادات الصحفية الفنية. ذلك لأن هذه المنشآت الصحفية حديثة العهد، ولأن الصحافة فن وهواية قبل أن تكون عند العاملين فيها، مهنة وحرفة.

وفي جامعة (فؤاد الأول) معهد للصحافة ينتسب إلى كلية الآداب، وفي (الجامعة الأمريكية) بالقاهرة قسم للصحافة، وقد استطاع أكثر خريجيه الالتحاق بالأعمال الصحفية التحريرية والإدارية والكتابة بالصحف العربية والإنجليزية التي تصدر في مصر والبلاد العربية الشرقية،

وقد أخذت طلائعهم تغزو الميدان الصحفي في مهارة وتنحي العناصر الضعيفة تدريجيًّا. كذلك كانت في ألمانيا قبل انهيارها مدرسة للصحافة في برلين، وكان يشترط فيمن يريدون الالتحاق بها أن يكونوا قد أتموا الدراسة العالية وأدوا الخدمة العسكرية، وقضوا المدة المفروضة على كل شاب ألمانى في فرق العمال المتطوعين.

والمدرسة داخلية . أي أن الطلاب يقيمون بها ليل نهار . والبرنامج يتضمن عدا الثقافة العامة والثقافة السياسية تربية الطلاب تربية رياضية.

وتعقد إدارة المدرسة مباراة سنوية لاختيار الطلاب الذين يصلحون للصحافة، ويستغرق اختيار كل طالب ثمانين دقيقة، يتعين عليه خلالها أن يجيب على ثمانين سؤالا، ويشترط للتفوق ألا تستغرق الإجابة على كل سؤال أكثر من ستين ثانية. وفيما يلي نماذج من هذه الأسئلة:

"– من هو كولبير؟

– من هو فادكيت؟

– من هو صاحب مشروع الانتعاش الاقتصادي في أمريكا؟

– كم عدد المراسلين الألمان في باريس؟

– هل لك اتصال بصحفيين في اليابان؟

– ما هو أهم فارق في اختصاصات رئيس الوزراء في فرنسا ورئيس الوزراء في إنجلترا؟!

– في تونس مسيو بلوتو؟!

– من هو راديك (كارل راديك الصحافى السوفييتي المشهور)

– من هو بيفر بروك؟!

– متى قتل كيروف؟! (سكرتير الحزب السوفييتي)

– أين توجد مدينة شاربورج؟!"

الفصل السادس

عنصر الأخبار مهمة المخبرين

لعل أهم ما في الجرائد اليومية والسبب في رواجها ونفوذها هو عنصر الأخبار، ومن هنا أصبحت أجور المخبرين والمندوبين الخاصين في الكثير من الصحف، أعلى من أجور كتاب المقالات و المترجمين. وقد كتب الصحفي الإنجليزى الكبير والناقد المسرحي المشهور مستر هانن سوافر مقالا ممتعا في إحدى الصحف بعنوان (أنا مخبر صحفى) ذكر فيه أشياء مهمة عن المشتغلين بالصحافة يجدر بكل قارىء أن يعرفها، ونحن نقتطف من مقاله هذا ما يأتي:

"قليلون هم الذين يعرفون شيئا عن رجال الصحافة رغم أنهم يعدون بالآلاف، ورغم أنهم منتشرون في جميع بقاع الأرض وقد خرجوا من مختلف الطبقات ووصلوا إلى مختلف المراكز"

وقد كان مستر رمسى ماكدونالد واحدا منهم، وكذلك (هول كين) و(جون باري)، و(برنارد شو)، و(أرنولد بنيت) بل إن نصف كبار المؤلفين المسرحيين بدأوا حياتهم العملية بالاشتغال في الصحافة وكذلك كانت نشأة الكثيرين من قادة العالم وكبار رجال السياسة والأدب، فمسيو ريان كان صحفيًّا، وكذلك كان موسوليني وكليمنسو وتروتسكي.

ويرى البعض أن الصحافة هي الدرجة الأولى من السلم المؤدي للشهرة، بينما يراها البعض الآخر أحسن وأعلى درجة يصل الإنسان إليها.

وقد نشأ (إدجار والاس) صحفيًّا ثم حاول أن يهرب من المهنة، ولكنه لم يفلح، وظل صحفيًّا في كل شيء إلى أن مات.

واعتزل الكاتب الكبير (فيليب جيبس) الصحافة ولكنه ظل يعود إليها ويدنو منها ما بين حين وآخر، وتراه يفتخر دائما بانتسابه للصحافة الإنجليزية، بينما يفتخر اللورد (نورثكيلف) بأنه كان ولا يزال مخبراً صحفيًّا، أكثر من افتخاره بأنه صاحب أكبر عدد من الصحف الكبيرة المحترمة.

وقد يسمع القارىء ويهتم بالنقاد المسرحيين والنقاد الأدبيين ولكنه لا يهتم بالمخبرين الصحفيين، مع أنهم أهم عنصر في الصحافة ويوجد في (فلين ستريت) – شارع الصحف في لندن – مخبرون صحفيون اختصاصيون في وصف حوادث الحريق، ومن بين هؤلاء واحد يلقبه

زملاؤه برجل المطافيء، لأنه يمتاز بمهارته الفائقة في الوصول إلى مكان الحريق ومعاينته أثناء اشتعال النيران، رغم (الكردونات) التي يقيمها رجال البوليس حول المكان للحيلولة دون اقتراب الصحفيين وغيرهم منه.

وهناك (عصابة القتل) كما سمّي الزملاء أولئك المخبرين المهرة الاختصاصيين في الكتابة عن حوادث القتل والكشف عن معمياتها التي يعجز رجال البوليس عن معرفتها في كثير من الأحيان.ولا تكاد تقع جريمة من الجرائم حتى يكون أفراد هذه (العصابة) أول من يذهبون إلى مكانها قبل رجال البوليس قبل أن يعرف بها الجيران!.

وهناك أيضاً المخبرون الصحفيون الذين يخشون المجتمعات الراقية للكتابة عن أهلها ووصف الأزياء الحديثة الفاخرة التي يظهرون بها، هذا عدا خبيري الأزياء الذين يسافرون إلى باريس لاستكشاف (الموديلات) الجديدة، وعدا خبيري سباق الخيل وخبيري الألعاب الرياضية على اختلاف أنواعها. وعدا المخبرين الآخرين الذين يضطر الواحد منهم إلى الإقامة في محطات السكك الحديدية والموانىء ليراقب المسافرين والعائدين من ذوي الشخصيات البارزة.

وقـد شـاركت أقسـام الصـحافة، الهيئـات الرياضـية والجامعيـة والبوليسية والاجتماعية والجوية والسياسية والاقتصادية والملاحية نشاطها بما عقدت من المؤتمرات والمباريات والجوائز و البحوث.

الفصل السابع

إدارات الصحف

في بداية عهد الصحف في أوربا ومصر والشرق، كانت الصحف ملكاً لأصحابها، وكان صاحب الجريدة هو (الكل في الكل: كان هو المحرر والمترجم والطابع والبائع والمدير والمحاسب. ولا تزال في لبنان وسوريا أسر تقوم بذلك، فيكون الزوج وزوجته وأولاده هم أسرة الجريدة، فيصفون الحروف ويديرون آلة الطباعة ويقيدون الحسابات إلى جانب التحرير والترجمة).

ومما يلاحظ أن الكثير من الصحف قد بدأ عن طريق المطبعة، فأنشئت المطبعة في بداية الأمر ثم رأى صاحبها أن يوجد لها مطبوعات بينها جريدة أو مجلة يصدرها، أما كبريات الصحف والمجلات فقد

أصبحت تنظمها دور كبيرة ذات إدارات واسعة كالحكومات، بها أقسام إدارية وتحريرية.

ففي الإدارية: مكاتب الإعلانات العامة، والإعلانات المبوبة والاختزال والاشتراكات، والتوزيع والبيع، والحسابات، والمستخدمين، والعمال، عدا آلات صف الحروف والطباعة، وقسم الهندسة والرسم.

وفي أقسام التحرير: مدير السياسة، ورئيس التحرير، ونائب رئيس التحرير، ومساعد سكرتير التحرير، ومحررو المقالات، ومحررو الروايات، ومحررو الصفحات الأدبية، ومحررو الشئون المالية، والمندوبون البرلمانيون، والمترجمون على اختلاف أنواعهم، والمصورون العاديون والكاريكاتيريون. وقد يتعدد رؤساء التحرير، فللشئون الداخلية رئيس، وللخارجية مثله وهكذا.

وكانت الصحف تستأجر دوراً فأصبح للكثير منها دورها، كجرائد الأهرام والمقطم والهلال والجورنال ديجيبت وأخبار اليوم وآخر ساعة، والمصري، والبلاغ، والصباح، والبصير. وأصبح لكل من الأهرام والمقطم ومجلة دار الهلال شركة أكثرها من أصحابها أو ورثتهم.

وكان لجريدة المؤيد لمؤسسها شيخ الصحافة الأول المغفور له السيد علي يوسف باشا دار عليها لوحة (دار المؤيد) بشارع محمد علي بالقاهرة، وقد استحالت شركة في آخر أيامها. وكان صف الحروف وإدارة

آلة الطباعة يجري بأيدي العمال، فأصبح لكل منها آلة تدار بالكهرباء ، ولا تزال هذه الآلات مطردة التحسين.

وفي دور الصحف الأوروبية والأمريكية قاعات كبيرة ذات مناضد يجلس إليها المحررون وأمام كل منهم (آلة الكتابة) والتليفون، واللاسلكي، وقد يوجد المئات من العاملين معاً دون أن تسمع ضجيجاً أو همساً. وترسل (أصول الجريدة) من مكتب المحرر الذي يكتبها على الآلة داخل أنبوبة إلى المطبعة فتصف في الحال.

تحول الصحف إلى شركات

وتطور الحال حتى أصبحت الصحف تجارة، يقصد منها توظيف المال من أجل الربح، وأصابها ما يصيب كل تجارة من عوامل الكسب والخسارة. واستغلت الصحافة على وجهين: الأول أنه نظر إليها كأداة لترويج منتجات الشركات والثاني أن تصبح هي شركات بذاتها.

وحسبنا أن نذكر أن صحف المرحوم اللورد نورثكليف في إنجلترا قد استحالت إلى شركة تضامن ثم انتهت إلى شركة مساهمة رأس مالها ثلاثة ملايين من الجنيهات. وما كادت أسهم هذه الشركة تطرح في السوق، حتى بلغ رأس المال الذي اكتتب به خمسة وعشرين مليون جنيها، وذلك في مدة ربع ساعة فقط حتى اضطر أصحاب المشروع أن يقفلوا باب الاكتتاب بعد فتحه بربع ساعة.

وكان معظم أسهم شركة نورثكليف بيد اللورد روذرمير (شقيق المرحوم اللورد نورثكليف) وقد نشر في جريدته (الديلي ميل) يومئذ مقالة أشار فيها على المشروع الجديد فقال: "إن الذين عندهم إلمام في مقتضيات الصحافة البريطانية قد كانوا يشعرون منذ عهد قريب أن صحافة الأرياف في إنجلترا ليست في المستوى الراقي الذي هي فيه صحافة المدن الكبيرة، وأن هذا نقص يجب تلافيه لمصلحة الأمة نفسها، فالصحف التي تصدر في القرى ويدعمها رأسمالي قوي ونظام وافٍ هي قليلة جدًّا، وقلما تجد بينها صحفاً تنشر أنباء العالم وصور الحوادث المهمة"

من أجل هذا بات الكثيرون من أصحاب الصحف الفردية يخشون على مستقبل الصحافة بسبب تلك الشركات، لأن الصحف المتصلة بها هي في الواقع مشروعات مالية قبل كل شيء، مع أن الصحف وجدت في الأصل للدفاع عن مبادىء معينة، ولإذاعة الأنباء بين طبقات الأمة.

وتلي شركة صحف نورثكليف شركة أخرى لا تقل عنها شأنا وهي نقابة (بري وأخيه) أي الصحف التي يمتلكها السير وليم بري وأخوه وفي مقدمتها جريدتا المورننج بوست سابقاً والديلي تلغراف وهما من أشهر الصحف الإنجليزية. وقد كانت جريدة (الوستمنستر غازيت) من أشهر تلك الصحف ولكنها أدمجت في جريدة (الديلي نيوز).

وقد نشرت جريدة سبكتاتور الإنجليزية مقالة في هذا الشأن جاء فيها: "إن تحويل الصحف الإنجليزية إلى شركات ليس عرضاً جديداً من أعراض الصحافة في إنجلترا بل هو يرجع إلى بعض سنوات مضت، ولكنه قد ازداد وضوحا وبسرعة منذ الحرب العظمى الأولى، والأرجح أنه سيكون من أخطر المشاكل التي ستواجه الديمقراطية في هذه البلاد (يعني إنجلترا)" وفي الواقع إن ما هو حادث اليوم بيننا قد حدث في الولايات المتحدة أيضاً لأن الصحافة هنالك، نظرا لاتساع البلاد، ليست خاضعة لنيويورك خضوع الصحافة الإنجليزية للندن. وإذا كان لابد للصحف من اعتبارها مشروعات مالية قبل كل شيء فمن الصعب جدًّا أن نجتنب تحولها إلى شركات. وليس ثمة حل لهذه المشكلة في الوقت الحاضر ولا يسعنا إلا الإعراب عن مدى تخوفنا عندما تقابل الصحافة البريطانية الحاضرة بما كانت عليه منذ خمسين عاما؛ فالصحف الناجحة التي يمتلكها أفراد قد أصبحت نادرة جدًّا لأن النفقات التي تقتضيها تلك الصحف عظيمة جدًّا تكاد تخرج عن طاقة الأفراد ويكاد أكابر الأغنياء يعجزون عن تقديم كل ما تتطلبه الصحف من النفقات. وفي الواقع أن الصحافة في الوقت الحاضر ليست بالمورد الذي كان الناس يظنونها إياه في السنين الماضية.

"وليس غرضنا التحامل على الشركات التي تملك الصحف البريطانية ولا نحن نرمي على انتقاد تلك الإدارات، وإنما نحن نتكلم عن نظام الشركات الصحافية بوجه الإجمال، وهو النظام الذي ظهر في إنجلترا في العقد الأخير من القرن الماضي ولا يزال مستمراً بثبات، وقد

ظهر على أشده في السنوات الأخيرة. ولا شك في أننا إذا نظرنا إلى مصلحة الجمهور رأينا نشوء الشركات الصحافية في مصلحته، لأن ما تستطيع النقابات نشره من الأخبار تعجز عنه جرائد الأفراد"

ولكن للمسألة وجهاً آخر وهو أن الأنباء والمعلومات والآراء التي تجمعها الشركات وتذيعها على نطاق واسع وبطريقة تكاد تكون ميكانيكية ليست لها القيمة الأدبية التي للآراء التي يذيعها أصحاب الجرائد الفردية والتي يعبرون بها عما يعتقدونه بإخلاص تام. نعم قد تكون آراء صاحب الجريدة ومعتقداته خطأ ولكن لها مزية لا تجدها في غيرها وهي أنها صادرة عن عقيدة وإخلاص.

وإذا نظرنا على (التايمز) و(المانشسر جارديان)، و(السكوتسمان) و (الآيرش تيمس) وأمثالها من الجرائد غير الخاضعة للشركات، رأيناها أحسن مثال للصحافة البريطانية الراقية لأنها تحافظ على أمجد تقاليد تلك الصحافة. والأرجح أن الذي حال دون اندماج جريدة التايمز في إحدى الشركات الصحافية هو عزة (الماجور راستور) ورفاقه وشدة إخلاصهم للمبدأ الصحافي وعلمهم بما لهم من النفوذ في الشعب الإنجليزي بأسره؛ فهم يرون أن الصحف إنما وجدت لبث الآراء والمبادىء قبل الأنباء؛ فهي مشروعات أدبية بقدر ما هي مشروعات مالية، فلا يجوز المتاجرة بها كأنها سلع تباع وتشترى ولا يجوز أن تنتقل من يد إلى يد كأنها في سوق المزاد. وقد أوضحنا قبلاً الاتجاه الجديد في الصحافة المصرية بأن تصبح شركات كبيرة.

طبعات متعددة في اليوم الواحد

تعمد كبريات الصحف في بريطانيا وفرنسا وأمريكا إلى إصدار طبعات متعددة متتالية من أعدادها في اليوم الواحد، ولا تمتاز طبعة عن سابقتها إلا في ناحية من الأخبار المهمة. وحسبنا أن نذكر من أمثال هذه الأهمية، أخبار الانتخاب، ومباريات المصارعة أو الملاكمة أو سباق الجياد، أو سباق االقوارب السنوي بين طلبة جامعة أكسفورد وبين طلبة جامعة كمبردج على نهر التيمس، وأنباء الحرب، وأنباء مؤتمرات الصلح، وأنباء الحرائق، أو الزلازل أو ثورة البراكين أو فيضان نهري هائل؛ ففي كل طبعة يذكر كل جديد من هذه الأنباء ساعة فساعة.

الفصل الثامن

شركات الأنباء من الصحفيين

كان من أثر ازدهار الصحافة واتساع نطاقها أن تم تأليف شركات للأنباء تختلف قوة وضعفاً، مالاً وشحاً، نفوذاً وتواضعاً، وذلك بأن تنشيء الشركة لها في أكثر البلاد أو أهمها وخاصة العواصم مكاتب يديرها مخبرون يتولون الحصول على الأنباء أو يلخصون ما تنشره الصحف المحلية. وفي مقدمة هذه الشركات: شركة رويتر، وشركة هافاس، وشركة وولف، وشركة تاس، والوكالة العربية، وغيرها مما سنفصله بعد.

أما شركات الصحفيين أو مكاتبهم، فإنها تستخدم الكتاب والمندوبين لإعداد الأحاديث والمقالات وبيعها إلى مختلف صحف

العالم، أو إلى صحف معينة، كجريدة واحدة في مصر، وأخرى في لبنان وهكذا.

ذلك أن الصحف لم تعد تعول على مجهود محرريها، بل مضت تستخدم عناصر عديدة من رجال الفن والأدب وتمنحهم المرتبات أو المكافأة عن كل مقال أو خبر.

كانت شركة الأنباء الألمانية الكبيرة (وولف) قبل الحرب العالمية الأولى تابعة لبنك (روتشيلد) الأوروبي الذي كان مركزه الرئيسي في برلين، وكان القيصر غليوم الثاني يسيطر سيطرة تكاد تكون تامة على تلك الشركة ويوجهها على النحو الذي يحلو له، ويجعلها تنشر الأنباء التي تهمه هو شخصيًّا بالكيفية التي يؤثرها والأسلوب الذي يريده، ويتخذ منها أداة لإثارة الحماسة في نفوس الألمان والحيلولة دون وقوفهم على حقيقة الموقف الدولي، وهكذا دفعهم دفعا على إشعال نار الحرب العالمية الأولى.

وبعد عشرين سنة ظهرت في عهد هتلر وكالة الأنباء الألمانية D.N.B وريثة شركة (وولف) وأصبحت وكالة الأنباء النازية الرسمية، وراحت تذيع أنباء فوارة بالأكاذيب والترهات حتى جعلت الشعب الألماني يستعد مرة أخرى للانقضاض على الشعوب المجاورة له!.

وفي إيطاليا استخدم موسوليني شركة (ستيفاني) التلغرافية – وكانت وكالة فاشستية رسمية، لتحقيق الغاية نفسها، وفي اليابان حيث

كانت الصحف ووكالات الأنباء تحصل على إعانات من الحكومات المختلفة، وقد عملت الحكومة على إخضاعها تاما قبل الشروع في الأعمال العدوانية.

لقد كان الأمر دائماً كذلك: كلما أرادت حكومة ما أن تشعل نار الحرب عملت أولا وقبل كل شيء، على فرض سيطرتها على الأنباء، وقد أهملنا، في مؤتمرات الصلح التي عقدت لتنظيم شئون العالم عقب الحرب العالمية الأولى، هذا العامل الأساسي الذي لا يمكن أن يكون السلم ثابتاً مستقراً بدونه، ولهذا ينبغي علينا ألا ننسى هذا العامل في مؤتمرات الصلح التي ستعقد لتنظيم أحوال العالم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في أعقاب هذه الحرب.

وعبارة (حرية الصحافة) تنطوي على حجج عديدة، بيد أن المعنى الذي يجب أن يستخلص من هذه العبارة هو أن تهيأ حرية البحث عن الأنباء والحصول عليها للصحفيين في كافة أرجاء العالم، على قدم المساواة، وأن ترسل الأنباء من مكان إلى آخر دون أن تفرض عليها أية رقابة، وأن تكون جميع الصحف حرة في نشرها، ويجب أن تكون شركات الأنباء حرة في التنافس فيما بينها وفي تبادل الأنباء والبيانات والمعلومات، فإذا تحقق هذا النوع من الحرية فلا يمكن بأية حال أن يظهر (جوبلز) جديدا!.

ولكي نفهم طبيعة هذه المشكلة قبل أن نلم بها ونعالجها، نرى لزاما علينا أن ننظر على ما وراء العالمية لنأخذ فكرة عن الوسائل التي كانت بها الأنباء الدولية في ذلك الوقت. ففي الولايات المتحدة نمت وكالات الأنباء بطريقة طبيعية لا غبار عليها، فكانت هناك صحف عديدة وآلاف من مصادر الأنباء. وعندما اخترع التلغراف أضحى في استطاعة الصحف أن تتبادل الأنباء المحلية فيما بينها، وقد أنشئت شركة الصحافة المتضامنة (أسوشيتدبريس) لتحقيق هذا الغرض في عام ١٨٤٨ وكان مبدؤها (إذاعة أنباء صحيحة لا التواء فيها) وقد جرت على هذه السياسة حتى يومنا هذا، وعندما أنشئت (شركة الصحافة المتحدة) (يونيتدبريس) في عام ١٩٠٧ نسجت على منوال شركة الصحافة المتضامنة (أسوشيتدبريس) واقتفت أثرها.

أما في أوروبا فقد نمت وكالات الأنباء، كل منهما على حدة، فشركة (رويتر) البريطانية مثلاً، لم تكن في بداية الأمر شركة أنباء بمعنى الكلمة، إذ كانت مهمتها مقصورة على نقل الرسائل الحكومية والبيانات والمعلومات الخاصة بالأسواق بين العواصم الأوربية، وعندما اخترع التلغراف أقنعت شركة رويتر مجموعة من صحف لندن بأن تجمع لها الأنباء الخارجية وتمدها بها، وعندئذ أصبحت شركة (رويتر) شركة للأنباء بمعنى الكلمة، وقد عني (رويتر) نفسه بنشر أخبار الملكة في العهد الفيكتورى فمنح لقب (بارون) على الرغم من أنه كان بروسي المولد.

وفي تلك الأثناء كانت شركة (هافاس) الفرنسية وشركة (وولف) الألمانية تصطنعان سياسة واحدة قوامها " إذاعة الأنباء بالكيفية التي تريدها الحكومة، والحصول على أكبر ربح ممكن"

وقد تعاونت هذه الشركات الثلاث، خلال بضعة الأعوام التي تلت عام ١٨٧٠ وكونت جبهة احتكارية (كارتيل) لم ير العالم لها مثيلاً من قبل، فقد بسطت سيطرتها على الأنباء الدولية، وقسمت العالم إلى مناطق نفوذ عدة فيما بينها، فكانت بريطانيا والمملكات المستقلة والمستعمرات البريطانية ومصر وتركيا واليابان والصين من نصيب شركة (رويتر)، وفرنسا وإسبانيا والبرتغال وسويسرا وإيطاليا وبلاد أمريكا الجنوبية من نصيب شركة هافاس، وألمانيا والدول الإسكندنافية وروسيا والدول السلافية والنمسا من نصيب شركة وولف، وكان الغرض من التعامل بالأنباء – كالتعامل بالسلع والبضائع – هو الربح ولا سيما إذا حاولت حكومة من الحكومات أو مصرف من المصارف استغلال نبأ أو مجموعة من الأنباء. وكان البريطانيون يواجهون وقتئذ موقفاً فيه شيء كثير من الشذوذ، فقد كانت صحفهم حرة أما أنباؤهم الخارجية فلم تكن كذلك!

وعندما انضمت شركة الصحافة المتضامنة الأمريكي (أسوشيتد بريس) إلى تلك الجبهة الاحتكارية، نجحت في إبعاد رويتر عن الولايات المتحدة، فقد وافقت على تلقي تلغرافاته، ووافقت شركة رويتر على تلقي تلغرافات الـ (أسوشيتد بريس) بيد أنه اتضح لهذه الشركة الأخيرة أن

تلك الجبهة الاحتكارية لم تكن تتعاون معها تعاوناً صادقاً، قد كانت شركة (رويتر) لا ترسل إلى الولايات المتحدة إلا الأخبار التي يريد البريطانيون أن يطلع عليها الأمريكيون. ولم تكن ترسل مع أنباء الولايات المتحدة إلى بقية أجزاء العالم إلا تلك التي يريد البريطانيون أن تطلع عليها الأمم الأخرى، وكانت شركتا (هافاس) و(وولف) تتبعان هذه الطريقة عينها كل منهما في منطقة نفودها، وكان من جراء ذلك أن الأنباء التي كانت تذاع إذ ذاك عن الولايات المتحدة كانت ضئيلة ومشوهة حتى أن سكان آسيا ظلوا يعتقدون مدة طويلة أن الولايات المتحدة هي بلاد تتحكم فيها قبائل الهنود الحمر وعصابات السفاكين والمجرمين (الجانجستر) ومرد ذلك إلى الترهات التي كانت تضمنها تلك (الجبهات الاحتكارية) الأنباء التي كانت تذيعها من وقت إلى آخر عن الولايات المتحدة.

وكان الأمريكيون يجهلون الشيء الكثير من شئون العالم لا بمحض إرادتهم بل مرغمين، وأبلغ دليل على ذلك أن شركة (رويتر) كانت، حتى بعد أن وضعت الحرب الإسبانية الأمريكية أوزارها، تنقل أنباء الفلبين إلى لندن قبل وصول تلك الأنباء إلى الولايات المتحدة، وحدث في غضون عام ١٩١٢ أن عمد اليابانيون إلى اضطهاد رجال الإرساليات الأمريكية في كوريا. بيد أن شركة (رويتر) التي كانت تربطها بالحكومة اليابانية صلات ودية للغاية أن تذيع تلك الحركة الاضطهادية.

والواقع أن الحرب العالمية الأولى لم تقض على تلك الجبهة الاحتكارية، وكل ما فعلته أنها وسعت نفوذ شركتي (رويتر) و(هافاس) على حساب شركة (وولف) الألمانية، ويقال إن الحكومة البريطانية كانت، إبان تلك الحرب، تملك شركة (رويتر) وفي أعقاب الحرب ابتاعها (رودريك جونس) وشركاه، وكان (رودريك جونس) هذا في أثناء الحرب مديراً للدعاية البريطانية وكان في الوقت نفسه يتولى إدارة شركة (رويتر) .

ولما كانت شركة الصحافة المتحدة بمنجاة من تلك (الجبهة الصحفية الاحتكارية) فقد طفقت تذيع الأنباء الأمريكية في البلدان الأخرى على أوسع نطاق ممكن. وبمضي الأعوام تضاعف عدد مراسلي شركة الصحافة المتضامنة الأمريكية في الخارج، وجعلت هاتان الشركتان تتنافسان ولكنهما كانتا، على الرغم من اشتداد التنافس بينهما، تعملان كخليتين في مضمار الصحافة الشريفة النزيهة، وأخيراً ظفرنا بالنصر التام على (الجبهة الاحتكارية) ولم يكن ذلك راجعا إلى تبدل طرأ على سياسة شركتى (رويتر) و(هافاس) وإنما كان مرده إلى أن هاتين الشركتين الأوربيتين كانتا تخشيان تضاعف نفوذ شركات الأنباء الأمريكية ومنافستها شركات الأنباء الأوروبية في البلدان الأوربية نفسها.

ولكن حدث إبان هذه الحرب أن انتقلت ملكية شركة (رويتر) طوعاً واختياراً إلى صحف بريطانيا الحرة. وقد أفضى مستر – كريستوفر تشانسلور – لمدير العام لتلك الشركة منذ مدة بتصريح قال فيه: "إن

شركة رويتر هي حليفة لشركات الأنباء الأمريكية وقانونها الأساسي يكفل لنا النزاهة والاستقلال عن إشراف الحكومة أو المصالح السياسية أيا كان نوعها"

وفي القارة الأوربية حلت صحف حركات المقاومة محل شركتي (هافاس) التي تولى إدارتها ألمان. وفي أثناء تحرير باريس (ظهرت وكالة الصحافة الفرنسية) بين عشية وضحاها وأعلنت أنها ستكون شركة أنباء أهلية مستقلة، وطلبت إلى شركة الصحافة المتضامنة – الأمريكية أن ترسل لها نسخة من قانونها لكي تهتدي به.

أما وكالات الأنباء المحورية فلم تمكن شركات أنباء بمعنى الكلمة وإنما هي تابعة وخاضعة للحكومات التي تديرها وتنفق عليها ففي اليابان تشرف الحكومة إشرافا تاما على الأنباء الداخلية والخارجية – وترشحها – وتقطرها – قبل أن تسمح للصحف ووكالات الأنباء بنشرها وإذاعتها

وتقول الصحف الإيطالية: لقد كان موسوليني يقبض على زمامها بيد من حديد وكلما سئل عن الصحف ومكاتب الأنباء الإيطالية أجاب في لهجة موسيقية أتولى أنا قيادتها و لا أحب ان أسمع – نشازا – أيا كان نوعه ونحسب أننا في غنى عن القول بأن – النشاز – هنا معناها الحرية.

وفي ألمانيا وضع النازيون أيديهم على الصحف الألمانية وكان كل نبأ يرسل من ألمانيا أو يرد إليها يمر أولا على وكالة الأنباء الألمانية الرسمية D. N. B (الاختصاصيون) في وزارة الدعاية الألمانية حيث

(يغربل) بدقة وعناية وأخيراً يرسل للصحف. ومما يجدر ذكره في هذا الصدد أنه كان يمكن منذ زمن غير طويل الاكتفاء بقراءة صحيفة ألمانية واحدة ذلك أن جميع الصحف الألمانية كانت متشابهة في الأخبار والتعليقات، بل كان يلاحظ في كثير من الأحيان أن مقالاتها الافتتاحية والرئيسية مكتوبة بأسلوب واحد تقريبا. وعلاوة على هذا الدور الذي كانت تقوم به وكالة الأنباء الألمانية الرسمية "كان النازيون يستخدمون طريقتين أخريين لتوجيه الصحف الألمانية على النحو الذي يحلو لهم فكانوا يعنون رؤساء التحرير في وظائف حكومية كبيرة ويدعون كبار الصحفيين إلى اجتماع صحفي يعقد في الساعة الحادية عشرة من صباح كل يوم" وقبيل انعقاد هذا الاجتماع كانت الأنباء ترسل إلى وزارة الدعاية حيث (قطر) بعد عرضها على بعض الوزارات الأخرى.

وهذه أسماء أشهر الشركات والوكالات البرقية الحالية باللغات الأوروبية:

Reuter
The United Press . New york
The British Press , London
The Associated Press , New york
International News
Service . New york
The Arab news Agency , London
Tass Ageney . Moskow
D. A. N. A.   Berlin

اختصاص وكالات الأخبار

تقدم وكالة البريس أسوسيشن الأخبار الداخلية، وقد تألفت الوكالة من جمعية للصحف الإقليمية في سنة ١٨٧٠ أما وكالة رويتر فتختص بالأخبار الخارجية، وقد أسسها بول يوليوس رويتر في آخر سنة ١٨٤٧. ونقلت إلى لندن في سنة ١٨٥١ وفي ١٨٦٥ أصبحت شركة محدودة وفي سنة ١٩٢٥ أصبحت البريس أسوسيشن تملكها كلها، ثم أصبحت تملك نصف أسهمها.

وثمة وكالة اكستشنج تلغراف تقدم الأخبار الداخلية والخارجية، وفي سنة ١٨٨٠ تألفت وكالة سنترال نيوز وكانت تحت سيطرة أمريكية بين سنة ١٩٠٨ و١٩٣٧ فقط، ووكالة الصحف المتحدة البريطانية، ووكالة أسوشييتدبريس وهي وكالة أمريكية، ووكالات صغيرة أخرى.

وقد دار البحث في القاهرة حول إنشاء شركة مصرية لإذاعة الأنباء، ولعل المشروع يدخل قريبا في دور التنفيذ.

الفصل التاسع

الورق والصحف

واجهت الجرائد والمجلات في بلاد العالم وطرأ في مصر أيضا في خلال الحرب الأخيرة، مشكلة قلة الورق، فاحتجبت صحف، أو اندمجت في غيرها، وصغر حجم الباقي منها، ومن ناحية أخرى أثرى صحفيون كانوا من متوسطي الحال أو من الفقراء من وراء حصولهم على ورق لم يكونوا يطبعون سوى أقله وكانوا يبيعون الباقي في السوق السوداء. ولعل هذا أثر من آثار الحرب التي جاءت بالثروة لبعض الناس وبالفقر والخراب للأكثرين.

وليس يخفى أن الورق الذي تطبع عليه الصحف في عصرنا هذا مصنوع من الأشجار وقد قامت بعض الصحف والجمعيات المعروفة باسم (أصدقاء الشجرة) وصرحت على رؤوس الأشهاد بأن الصحافة ستقضي يوما ما شهيدة نهمها. وقد هالها ما شاهدته من انقراض الغابات. ومما لا مشاحة فيه هو أن صناعة الورق هي السبب المهم في القضاء على الغابات وقد بدأ الناس يشعرون بهذه النكبة من نحو ثلاثة أرباع القرن.

إن الصحف تفترس الأشجار افتراسا ولا تشبع منها؛ ففي أوروبا نحو ثلاثين ألف صحيفة وتعد النسخ المطبوعة بالملايين منها. والورق المستعمل لطبعها يؤخذ من خشب الحراج الذي تصنع منه (عجينة) الورق. وثمة – ما عدا الصحف في أوروبا – نحو ألف كتاب تصدر في اليوم من المطابع. ويصنعون أيضا ورقا لغير الصحف والكتب كورق اللف وورق الكتابة والنشرات على اختلاف أنواعها والمقوى (الكرتون) وغير ذلك.

وقدروا قبل الحرب بسنوات قليلة – استنادا إلى الاحصاءات – أن متوسط ما تستهلكه الصحف في أوروبا كل يوم نحو ألف طن من عجينة الخشب أو ٣٥٠ ألف طن في السنة، فيكون ما تستهلكه أوروبا من الخشب لصنع الورق في السنة ٣٥٠ مليون مترا مكعبا للصحف وحدها. ففرنسا تستهلك ٦ ملايين ونصف مليونا وإنجلترا ٩ ملايين،

والباقي تستهلكه روسيا والنرويج وكندا والولايات المتحدة. إلا أن هذه الأخيرة تستهلك وحدها نحو ثلاثة أضعاف ما تستهلكه أوربا كلها.

وبدلا من أن تحصر صناعة الورق منتجاتها عند حد معين نراها آخذه في زيادة الإنتاج. أما السرعة التي تستهلك بها المواد الأولية التي تصنع منها الورق فيستدل عليها من التجربة الآتية التي أجريت في ألمانيا قبل الحرب بسنين:

أراد أحد المصانع المجهز بآلات عصرية حديدية الصنع أن يعرف مقدار الوقت اللازم لتحويل شجرة إلى صحيفة مطبوعة فأجريت التجربة أمام صاحب منصب كبير وجيء بثلاثة أشجار كبيرة في منتصف الساعة الثامنة صباحاً وشرعت في الحال إحدى الآلات تعالجها فنشرتها وفصلتها ألواحاً، وتناولتها آلة أخرى وحولتها إلى مسحوق الخشب. وعمدت آلة ثالثة إلى تحويلها إلى عجينة وفي الساعة التاسعة والدقيقة ٣٤ صارت العجينة إلى ملفات إسطوانية فيها ورق معتمد للطباعة.

ولما لم يكن في المصنع الآنف الذكر مطبعة أرسلت ملفات إلى أقرب دار للطباعة ولم تكن تبعد عن المصنع سوى كيلو مترين، وفي تمام الساعة العاشرة أنجز طبع الصحيفة على تلك الملفات. وقد تمت تلك العملية العجيبة في ساعتين ونصف الساعة، وهذا الأمر قد حدث من نحو ثلث قرن فبالوسائل الحديثة التي اخترعت في خلال تلك المدة المذكورة لابد من أن يكون الوقت اللازم لتحويل شجرة إلى صحيفة قد

نقص، فالصحافة والحالة هذه أكل نهم يفترس الورق ومن المهم لاستمرار الحضارة على اطراد السير، ألا تحرم هذه الحضارة غذاءها فالإنسان في أيامنا هذه يحتاج إلى تغذية عقله، كما يحتاج إلى تغذية جسده.

ومعلوم أن صناعة الورق من عجينة الخشب حديثة العهد فقد نشأت من اتساع نطاق الطباعة وإنشاء الصحف الرخيصة الثمن، فقبلا كانوا يتخذون الخرق لصنع الورق ولما صارت الخرق غير كافية استعملوا النباتات التي تكثر فيها مادة (الباغة) كالتبن والولزا وقش الأرز والذرة وغير ذلك، ولكن ما لبثت هذه المواد أن أصبحت غير كافية فحينئذ حولت الأفكار على عجيبة الخشب وشرعوا في استعمالها في سنة ١٨٥٥ في بلاد النرويج ووافق هذا الاختراع اختراع الصحيفة الرخيصة الثمن التي كانت تباع قبل الحرب بخمسة مليمات أو ما يعادلها.

وتملك دور المطابع والصحف الكبرى في أمريكا والسويد غابات ومصانع للورق خاصة بها.

الفصل العاشر

رواج الصحف

يرجع رواج الصحف إلى غزارة مادة الصحيفة وحسن تبويبها وأسلوبها في التشويق والتعليق وسبقها في الأخبار وبراعة تصويرها وانتشار التعليم في الجهة التي تصدر فيها وصلاتها بالحكومة أو معارضتها القوية لها. ولقد كان يجب في الولايات المتحدة، ونفوسها ١٣٠ مليونا أو في الاتحاد السوفييتي، ونفوسه ١٨٠ مليونا، أن تكون الصحف أوسع كثيرا مما في المملكة المتحدة ونفوسها ٤٥ مليونا.

ولكن كثافة السكان أكثر أهمية من مجموعهم من وجهة توزيع الجرائد. وكانت أوسع الجرائد انتشاراً خارج المملكة المتحدة قبل الحرب على وجه التقريب هي: جريدة برافدا (الاتحاد السوفييتى) ١,٩٥٠,٠٠٠ نسخة، وباري سوار (فرنسا) ١,٨٠٠٠٠٠ ثم نيويورك

ديلي نيوز (الولايات المتحدة) ١,٧١٨,٠٠٠ وأوزاكا ما ينيشى شيمبون (البابان) ١,٦٥٠,٠٠٠ وايزفستيا (الاتحاد السوفييتي) ١,٦٠٠,٠٠٠ بينما كانت الديلي إكسبريس أروج الجميع فقد بلغ ما يصدر منها ٢,٥٥٠,٠٠٠ نسخة يوميًّا وتليها الديلي هيرالد بمليوني نسخة يوميًّا وهي بذلك أوسعها انتشاراً أيضاً وفي أيام الأحد كانت جريدة بيوبل توزع أكثر من ثلاثة ملايين نسخة و(نيوز أوف ذي وورلد) أكثر من أربعة ملايين، وهذا أوسع انتشار في العالم طراً ، ولكي يتسنى طبع هذا العدد الهائل يجب أن تقدم الطبعة الأولى إلى المطبعة مساء. وقد بلغ انتشار الديلي إكسبريس حوالي ثلاثة ملايين نسخة في أحد شهور سنة ١٩٤٢

الفصل الحادى عشر

الرقابة على الصحف

الرقابة على الصحف صنفان: صنف يقوم على رقابة مواد الصحيفة قبل طبعها، وصنف آخر يقوم على رقابة ما تنشره الجريدة بعد طبعها. وفي البلاد الديكتاتورية تقوم الرقابة بنوعيها في السلم والحرب على السواء، أما في البلاد الديموقراطية فلا تظهر الرقابة إلا في إبان الحرب.

ومما يذكر أن الجنرال بونابرت قد أصدر في يناير سنة **١٧٦٩** أمراً في ست مواد ينظم به طريقة النشر في مصر ويعين فيه الرقباء المسئولون عن المنشورات التي كانت تطبعها مطابعه العربية، والمحررون الذين وكل إليهم صحيفتيه الفرنسيتين. غير أن عهد الرقابة الفرنسية لم

يحس به المصريون لأن الطباعة كانت شيئاً لا يعرفونه، والصحافة التي أصدرتها الحملة كانت صحافة تخص الفرنسيين وحدهم.

وكان محمد علي الكبير الذي خلق أمة وحكومة، يعد من أهم معاوناته الصحافة التي أرادها لتثقيف الشعب، وكانت جريدة الوقائع المصرية التي أصدرها في سنة ١٨٢٨ شغله الشاغل في الإدارة والتحرير. و قد أثبت الوالي العظيم أنه حفي بطبعه، وأنه يستطيع إلى جانب الحرب والسياسة أن يكون مديراً لمؤسسة صحفية عربية هي الأولى من نوعها في الشرق العربى كله، فقد عين مديرها وربط حساباتها وفرضها على الأغنياء وكبار الموظفين، وأهداها تسلية لزوجاته، وقدمها تحية للعلماء والفقهاء، وبعث بها لتثقيف تلاميذ المدارس وطلاب البعثات، وكان يرى في صحيفته الوقائع " شيئاً رقيقاً لطيفاً وليس بالشيء الذي يعطى بالإكراه بل إنما هو يعطى بتدلل" فإذا تم للباشا تهيئة أسباب الطمأنينة للوقائع المصرية وهي من وسائله الحكومية المدللة، أثبت أنه محرر من الطراز الأول فكان رقيباً على محرريها وهو أول رقيب عرفته مصر، فهو يوعز بالخبر والمقال ويراجع كل موضوع، ولا يستطيع كاتب مهما يبلغ شأنه أن ينشر حرفا من غير موافقة ولي النعم، وكان يعاقب المحرر إذا بدا منه أي تقصير، وهو من أنصار التركيز والاختصار؛ فقد أرسل إلى مدير الوقائع خبراً لينشره فرده المدير على العتاب مبدياً ملاحظة على قصر الخبر فكتب إليه الباشا يقول :

"اطلعت على خطابكم الذي تقولون فيه إنكم استقللتم ما أرسلناه لكم لننشروه في الوقائع وأنكم أعدتموه لنا لنزيد فيه. إنك يا هذا رجل مبتل بالثرثرة".

أما في عهد سعيد باشا فقد وضح موقف الحكومة من الصحافة وخاصة الصحف الأجنبية فصدرت تشريعات كان من أهمها تشريع يظهر على الجرائد نقد الحكومة ويشترط على المحرر أن يقدم لمكتب الصحافة الأصول للموافقة عليها، وذلك تجنباً لإذاعة الأخبار الباطلة، وكان هذا المكتب ملحقاً بنظارة الخارجية غير أنه قد اختلفت معاملة الرقيب للطابعين والناشرين، فقد التزم أقصى الشدة مع الناشرين والصحفيين المصريين، أما الناشرون والصحفيون الأجانب فكان سعيد باشا رفيقاً بهم كل الرفق، ولقد فتح أحدهم مطبعة من غير إذن، ونشر صحفاً من غير تراخيص وأراد البوليس أن يطبق القانون ويغلق المطبعة ويصادر الصحف، فكتب إليه سعيد باشا يقول: "يا مبارك إن الأشياء التي مثل هذا ليست كلها وواحدة مثلما تعلموا. إن أصول لديه الواحدة مرفوع وملغي. افهموا ذلك ؟" وعرف مبارك – أي البوليس – أن للأجانب معاملة خاصة، وفهم المسئولون الإيحاء ونفذوا المطلوب! كذلك كان في عهد العرابيين رقابة ورقيب.

الرقابة في الحرب العالمية الأولى

كان من بين الشركات التلغرافية العاملة بمصر شركة ألمانية هي شركة وولف، وكانت تصدر إذ ذاك جريدة تركية لها خطرها هي جريدة

اللويد العثمانية، وكانت الشركة والجريدة من أنشط مصادر الأخبار قبل وقوع تلك الحرب، أي إبان التطورات السياسية التي أدت إليها. وكان همهما منصرفاً إلى بث الدعاية الألمانية والتركية وإظهار إنجلترا وحلفائها بمظهر الظالم المعتدي.

ولم تكن الرقابة قد ضربت على الصحف المصرية بعد، ولكن قلم المطبوعات رأي في إذاعة هذين المصدرين خطرا على قضية الحلفاء، وخاصة لأن المصريين كانوا يومئذ يعانون من عنت السياسة الإنجليزية وسوء غايتها ما جعلهم يحسون العطف والميل إلى خصوم الدولة المحتلة لبلادهم وذلك قبيل الحرب العالمية الأولى (١٩١٤)

وإذا قلنا إن قلم المطبوعات لم يكن راضيًّا عن أخبار شركة وولف وجريدة اللويد العثمانية، فما نحسب أحداً يغيب عنه أن الإنجليز هم الذين كانوا غاضبين، ومن ثم أصدر قلم المطبوعات المصرى بلاغا رسميا للصحف المصرية هذا نصه:

"حيث ثبت أن أخبار شركة وولف وجريدة اللويد العثمانية عارية عن الصحة ومبنية على الغرض والتحيز وأنها ترمي إلى التأثير في النفوس بما يخالف حقيقة الواقع، وتحدث في البلاد بذلك عدم الثقة وقلق الخواطر، قررت الحكومة المصرية ألا ينشر من الآن في الصحف المصرية شيء ما من الأخبار نقلا عن المصدرين المومأ إليهما" ١٩ – ٨ – ١٩١٤

كان هذا الحادث أول عمل إيجابي في الرقابة على الصحف المصرية أبان الحرب، وقد صاحب هذا الضرب من الرقابة على الصحف نوع آخر إيجابي أيضاً، إذ فرض على الصحف المصرية يومئذ نشر البلاغات الرسمية من الوكالتين البريطانية والفرنسية في مصر، وكانت هذه البلاغات عبارة عن دعاية حارة لقضية الحلفاء.

وفي ٣١ أكتوبر سنة ١٩١٤ نشرت جريدة الإجيبشن غازيت الإنجليزية مقالا عنوانه (حول مراقبة المطبوعات) نوهت فيه بانتشار الأخبار الكاذبة، وطالبت بفرض الرقابة على الصحف لمنع نشر تلك الأخبار المقلقة التي يخشى منها على اضطراب الأمن العام. وقد نشرت بعض الصحف المصرية ترجمة ذلك المقال وأيدت الرأي الذي دعا إليه. وفي اليوم التالي أي في أول نوفمبر صدر الأمر بفرض الرقابة على الصحف وعرض بروفانها قبل الطبع على المراقبين.

وقد نشرت جريدة (الأهرام) في عددها الصادر بتاريخ ٢ نوفمبر سنة ١٩١٤ النبذة التالية:

مراقبة الصحف المصرية

" صدر أمر قائد جيش الاحتلال بمراقبة الصحف المصرية وما تكتبه عن الحرب قبل طبعه، ولم تكن هذه المراقبة موجودة حتى الآن، ولكن نوقن أن إيجادها لا يراد منه غير منع ما يضر ويضل الرأي العام مع احترام الحقائق والحرية المعتدلة، والأهرام التي ورثت منهج الاعتدال عن

مؤسسيها، وورث صاحبها خطة الدفاع عن مصلحة مصر الحقيقة عن أبيه وعمه، لا تدخر ولا يدخر صاحبها وسعاً في مواصلة السير في تلك الطريق القويمة التي انتهجت لها من يوم نشأتها، فكانت أقوم السبل الموصلة إلى الخير والمبعدة عن الصير، وعلى هذا نسير، وبهذا نعمل، غير حائدين يمنة ولا يسرة، والهداية من الله"

ولا يظن القارىء أن الأحكام العرفية كانت معلنة وقت صدور أمر قائد جيش الاحتلال بمراقبة الصحف المصرية، فإن الحكم العرفي لم يعلن في مصر إلا في ٢ نوفمبر من تلك السنة، أي في اليوم التالى لتقرير الرقابة على الصحف.

وبدىء فعلا في تنفيذ الرقابة على الصحف قبل طبعها في أول نوفمبر، وكان على كل جريدة أن ترسل (بروفتين) من كل ما تزمع نشره إلى المراقب المختص فيراجعه ويقر منه ما يشاء ويحذف ما يشاء ثم يوقع على إحدى البروفتين ويحتفظ بالأخرى للمراجعة بعد صدور الجريدة.

وبدأت الصحف تظهر في صورة لم يكن الجمهور يألفها من قبل فكانت المقالات يتخللها مساحات بيضاء من أثر الرقيب. وأول بياض في جريدة الأهرام كان في العدد الصادر بتاريخ ٣ نوفمبر سنة ١٩١٤.

وكان من الأشياء التي تكتمها السلطة العسكرية أنباء اعتقال طائفة من المصريين والأتراك الذين اشتهروا بالعداء لإنجلترا وإعلان ذلك والدعوة إليه، فكانت الصحف تحتال لنشر تلك الأخبار بحيل لطيفة.

ولعل أظرف حوادث تلك الرقابة أن جريدة (الجريدة) التي كان يصدرها الأستاذ الكبير أحمد لطفي السيد باشا، صدرت في ٨ نوفمبر سنة ١٩١٤ ومقالها الافتتاحي محذوف برمته، وكان الرقيب قد ضرب بقلمه الأحمر على جسم المقال دون عنوانه وإمضاء كاتبه وكان ذلك المقال يستغرق عمودين كاملين، فظهرت (الجريدة) في ذلك اليوم وليس فيه من المقال الافتتاحي إلا عنوانه وهو (موقفنا الجديد) وتحته رقم واحد، دلالة على أن المقال مسلسل، وأن هذا أول فصل منه، ثم ظهر في ذيل العمودين الأبيضين توقيع كاتبه وهو الأستاذ عبد الحميد حمدي.

ولم يكد يظهر هذا العدد حتى بادرت السلطة إلى إرسال الإنذار التالي إلى مدير الجريدة وقد أمرت فيه بتعطيل الجريدة يوما، وإليك نص الإنذار:

جناب المحترم مدير جريدة (الجريدة) :

"بأمر جناب اللفتننت جنرال ج. غ. مكسويل قائد جيوش جلالة ملك بريطانيا العظمى بالقطر المصري أبلغكم أنه طلب منكم حذف الفصل الافتتاحي من عدد جريدتكم الصادر بتاريخ ٨ نوفمبر الجاري،

استبقيتم هذا العنوان وإمضاء الكاتب له، فقد تقرر توقيع الجزاء على جريدتكم بتعطيلها عن الصدور يوماً واحداً إنذاراً لكم بعدم العودة إلى ذلك في المستقبل، مع العلم بأنه يجب عليكم نشر هذا الجواب في صدر العدد التالي، وبناءً عليه لا يصدر عدد يوم السبت المقبل من جريدتكم". وأرسل مثل هذا الإنذار إلى جريدة البروجريه الفرنسية.

ولم تقتصر الرقابة على المطبوعات والصحف التي تصدر في مصر، بل كان ما يرد من الصحف الأجنبية من الخارج لا يوزع إلا إذا أقره الرقيب، وكانت الصحف الإنجليزية تنشر أحيانا ما لا تقر السلطة المحلية نشره في مصر، فكان المراقبون يطمسون من تلك الصحف بحبر أسود كثيف مالا يريدون اطلاع قراء تلك الصحف الأجنبية في مصر عليه.

ومما يذكر أنه قد عرفت (الرقابة) أيام قدماء المصريين وفرضت أول ما فرضت على الصور الكاريكاتورية، فقد حرصوا على ألا تمس هذه الصور الأخلاق والدين والسياسة، وكان عقاب المصور الكاريكاتوري الذي يتجاوز الحدود، الجلد.

الرقابة في عهد الحرب العالمية الثانية

كانت هذه الرقابة مصرية، ولكن السفارة البريطانية وهيئة أركان حرب الجيش البريطاني كانتا توعزان بعدم نشر أشياء حرصاً على سلامة الحلفاء وتنفيذا لمعاهدة سنة ١٩٣٦.

ومن بواعث الأسف أن الوزارات المصرية قد استغلت الرقابة – المفروض أنها خاصة بسير الحرب – في التنكيل بخصومها ومنع نشر آرائهم، وفي الترويج للسياسة الحزبية.

وكانت الرقابة يومئذ – على نقيض الرقابة في الحرب العالمية الأولى – تأمر بحذف المقالات والأخبار، ووضع غيرها محلها، ولا ترخص بصدور الصحيفة بيضاء، وكانت تراجع الإعلانات والوفيات وتتناولها بالحذف.

الفصل الثاني عشر

الصحافة في مصر

في عهد الاحتلال الفرنسي

كانت مصر ولاية عثمانية في الدولة العليا التي أنشئت فيها أول مطبعة في القسطنطينية في ١٧٣٨ ولم يفكر أحد من الحكام الباشوات الذين تعاقبوا على حكم مصر في إنشاء مطبعة أخرى في القاهرة أو في الإسكندرية.

ولم يمض ستون يوما على نزول الحملة الفرنسية إلى الأراضي المصرية حتى أصدر نابليون صحيفته الإخبارية السياسية courier de l´Egyrp أي (بريد مصر). وظهر العدد الأول منها في ٢٨ أغسطس سنة ١٧٩٠ في أربع صفحات. وكانت الجريدة تظهر مرة كل أربعة أيام

في الشهر الأول، ثم جاوزت هذه المدة وأصبح صدورها غير منظم. وقد وضعت للجريدة منذ نشأتها سياسة محددة لم تبتعد عنها في يوم من الأيام، فهي لا تتعرض بالنقد لأعمال الحكومة الفرنسية بأي حال من الأحوال، وكان المحرر يخضع لاعتبارات كثيرة عند اختيار الأخبار ونشرها، فمصير الجريدة حتماً إلى أيدي الضباط والجنود الفرنسيين المقيمين بمصر وغيرهما.

وكان قواد الجيش لا يهتمون بشيء مثل اهتمامهم بالروح المعنوية القوية التي يجب أن تسود قوات الاحتلال، ولا يأذنون بنشر أي خبر يمس تلك الناحية قريب أو من بعيد.

وكانت تسرف في وصف ساحات القتال، وتحاول أن تثبت الكلمات الأخيرة لمن يموتون بين قصف المدافع وصليل السيوف، وتكثر من وصف الحفلات التي يحضرها نابليون بونابرت، وتتحدث بإسهاب عن حركات المقاومة التي يقوم بها الأهالي في مختلف البلاد. ولكنها كانت ترمي في الأولى إلى مدح القائد العام ورجاله، وتدعي في الثانية أن الفلاحين يستقبلون الفرنسيين في كل مكان بالفرح والابتهاج، لأنهم يخلصونهم من عسف البدو الرحل وظلم المماليك. وكانت النداءات والتنبيهات التي تصدر للأهالي تجمع بين الثناء على بونابرت والتهديد بالشدة والحزم.

وكانت تترجم وتنشر في الجريدة حتى يطلع عليها الجنود، فيتخيلون مبلغ قوتهم ويتصورون مدى نجاحهم. مثل ذلك ما جاء في إحدى المنشورات من " أن نابليون قد منع القوات من إحراق مدينة القاهرة وسلبها، لأنه حكيم، وخير ورحيم بالمسلمين، فهو حامي الفقراء، و لولاه لما بقي أهل القاهرة على قيد الحياة"

ومضى كليبر ومينو من بعد بونابرت على نفس الطريقة من الدعاية بين الأهالي، وكان مينو خاصة بذكرها في منشوراته بالمظالم التي عانوها وبالدماء التي سالت في القاهرة وبولاق والمحلة الكبرى عندما استمعوا الأهل السوء، ويهددهم آخر الأمر بالنار والحديد إذا ما سولت لهم أنفسهم العودة إلى مناوأة رجال الاحتلال. وختم النداء بما يأتي: " سلام على من اتبع الهدى... والويل لمن ابتعد عن الصراط المستقيم"

وكانت جريدة لوكورييه تعنى عناية خاصة بأخبار الرحلات والبحوث العلمية للبعثة العلمية التي كانت نواة للمجتمع العلمي المصري.

ويقول (الأستاذ إميل غالي) إن هذه الصحيفة كانت تعنى بنشر أنباء الحالة الصحية وحالة الأمن العام، والنزاع الذي كان محتدماً يومئذ بين إنجلترا وأيرلندا، وأنباء السياسة الفرنسية الداخلية والخارجية في حرص على نشر ما يفيد فرنسا فقط.

أما في الناحية الأدبية فقد حرصت لوكرييه على ألا تثير شعوره الحنين للوطن؛ فاهتمت ببعض الشعر الذي يمدح الجيش وقائده،

ونشرت بعض القصائد التي تصف النيل والبلاد والآثار المصرية وصفاً يحببها إلى القلوب ويدنيها من الذوق الفرنسي، ولكن هذا كان يفتقر إلى الوحى الصادق والتعبير الصحيح، فلا عجب إذا ظهرت هذه الناحية ضعيفة مبتذلة سقيمة.

وجاءت الجريدة أيضاً ببعض الإعلانات التي تهم قراءها مثل الإعلان المنتظم عن المجلة الأدبية التي يصدرها المجمع العلمي المصري، وإعلانات أخرى عن بعض الحوانيت أو عن أشياء مفقودة أو عن حفلات ساهرة وغيرها... ومع ذلك فقد ظل هذا الباب ضيقاً وبقي عدد الإعلانات محدوداً طوال مدة ظهور الصحيفة.

هذه بعض النواحي التي اهتمت بها الصحيفة الفرنسية الإخبارية السياسية الأولى التي ظهرت في مصر، ذكرناها على سبيل المثال لا الحصر لكي نعطى صورة واضحة لها بقدر المستطاع. وقد أشرف على تحريرها تباعاً المواطن كوستاز costas ثم المواطن فورييه fovrier ثم المواطن الدكتور ديجنت Desgenettes وقد صدر منها ستة عشر ومائة عددا يحمل الأخير تاريخ ٩ يونيه سنة ١٨٠١

وطبعت الأعداد الثلاثون الأولى في مطبعة مارك أوريل Mark Aurel أما الأعداد الأخرى فقد قامت بطبعها المطبعة التي أحضرها نابليون. وكانت لغتها بسيطة يتخللها الكثير من الأخطاء المطبعية وبعض الغلطات اللغوية، وقد لاقت رواجاً كبيراً بين المواطنين

لأنها حملت لهم أخبار إخوانهم في البلاد الأخرى وأنباء فرنسا موطنهم الأصلي.

وفـــي أول أكتـــوبر ســـنة ١٧٩٨ صـــدر العـــدد الأول مـــن La Decade Egyptienue أي العشرية المصرية وهي أول مجلة فرنسية أدبية علمية اقتصادية تظهر في مصر، وقد تقرر إنشاؤها في أول اجتماع للمعهد العلمي المصري حتى تكون سجلا له تنشر فيه بحوث علمائه وتقارير أعضائه، وقد جمعت الأعداد التسعة الأولى، التي ظهرت بانتظام مرة كل عشرة أيام، في مجلد أهدي إلى نابليون.. ومما كانت تتحدث عنه بحيرة المنزلة ووادي النطرون. وحلل رنيو Régnault غرين النيل ووصف فورييه Foureir الواحات ودرس تاليان Tallien نظام الحكم في مصر قبل الحملة، و أبان طرق جباية الأموال الأميرية، وتحدث عن نظام الأوقاف.

وقد كتب علماء البلاد هذه التقارير باللغتين الفرنسية والعربية.. وكان للترجمة شأن ملحوظ في (لاديكاد) إذ نقل المستشرق حنا يوسف مارسيل Jean Joseph Marcel إلى الفرنسية شعراً . وكانت ترجمة صحيحة ما عدا بعض الألفاظ والعبارات التي اضطر إلى إضافتها لتكوين الشعر، كما ترجم أمثال لقمان الحكيم وشرح قيمتها عند الشرقيين مستشهداً ببعض الآيات القرآنية مثل: (ولقد آتينا لقمان الحكمة)

والخلاصة أنه يمكننا أن نقول إن مجلة (لاديكاد) كانت سجلا قيما يرجع إليه الناس إذا أرادوا أن يطلعوا على مختلف الموضوعات الشائقة التي شغلت نخبة مختارة من العلماء الفرنسيين الذين أقاموا في مصر من سنة ١٧٩٨ إلى سنة ١٨٠١

وبانتهاء الحملة الفرنسية، خلت مصر من الطباعة والصحافة، ولكن لا يمكننا أن ننكر أثر (لوكرييه) و(لاديكاد) في تاريخ بلادنا.

ومع أن المصريين كانوا يجهلون اللغة الفرنسية في ذلك العصر، فإن انتشار هاتين الجريدتين بين العامة والخاصة من الفرنسيين، قد وجه نظرهم إلى تلك القوة الجديدة التي يمكن الانتفاع بها للصالح العام.

في عهد محمد علي

صدر جورنال الخديو ١٨٢٢، وفي السنة نفسها الوقائع المصرية، فالجريدة العسكرية، وفي ١٨٣٣ جريدة لومنيتو إجبسيان بالفرنسية وفي ١٨٤٦ جريدة لبيتاتوري جبسيانو الإيطالية.

في عهد إسماعيل

وانقضت بعد إنشاء (الوقائع المصرية) خمس وثلاثون سنة لم يبعث فيها وجود هذه الجريدة الرسمية في نفوس المصريين رغبة في إصدار جريدة أهلية. وجاء عهد الخديو إسماعيل فتحركت بتشجيعه هذه الرغبة في النفوس فظهرت مجلة (اليعسوب) في سنة ١٨٦٥ وكانت

طبية أنشأها الدكتور محمد علي البقلى باشا إبراهيم االدسوقي، وتلتها في سنة ١٨٦٧ أول جريدة سياسية هي (وادى النيل) لمنشئها عبد الله أبو السعود أفندي وكانت تصدر مرتين في الأسبوع ثم جريدة (نزهة الأفكار) في سنة ١٨١٩ لمنشئيها إبراهيم بك المويلحي، ومحمد بك عثمان جلال. ثم مجلة (روضة المدارس) في سنة ١٨٧٠ أنشأها علي مبارك باشا حينما كان وزيرا للمعارف. وكانت الحكومة تتولى الإنفاق عليها. وكان يتولى التحرير فيها كثير من الأعلام منهم علي مبارك باشا وعبد الله فكري باشا والشيخ حسونه النواوي والشيخ حسين حسونه النواوي والشيخ حسين المرصفي ورفاعه بك رافع، ومحمود باشا الفلكي، ومحمد بدري باشا، والشيخ حمزة فتح الله.

وفي سنة ١٨٧٧ ظهرت جريدة (الوطن) لصاحبها جندي إبراهيم بك ثم جريدة (مصر) لصاحبها تادرس شنودة المنقبادي بك، وكان السيد جمال الدين الأفغاني يكتب فيهما بعض رسائله.

ويطول الشرح إذا نحن إن نذكر جميع الجرائد التي صدرت في عهد إسماعيل فنكتفي بأن نذكر منها جريدة (الكوكب الشرقي) لسليم باشا الحموي، وجريدة (الأهرام) لمؤسسها سليم بك تقلا، وقد صدرت في سنة ١٨٧٥ في الإسكندرية وكانت في أول ظهورها أسبوعية ثم صدرت بجانبها جريدة (صدى الأهرام) يومية، ثم عطلت هذه وبقيت (الأهرام) وانتقلت بعد الثورة العرابية إلى القاهرة، وهي تصدر إلى اليوم.

ونذكر أيضا جريدة (أبو نضارة) وقد صدرت في سنة ١٨٧٧ لصاحبها الشيخ يعقوب صنوع المصري الإسرائيلي. وهي أول جريدة سياسية هزلية مصورة، وسنتحدث عنها فيما بعد.

وفي عدد من جريدة (صدى الأهرام) في سنة ١٨٧٨، وعدد آخر من جريدة (الوطن) في سنة ١٨٨٨ وتجد مجالا واسعا لمن يريد أن يقارن هذه الصحائف الأربع الضئيلة بالصحائف الاثنتي عشرة أو الست عشرة التي تصدر فيها الصحف اليوم ليعرف أي تقدم تقدمته الصحف المصرية ولا سيما في السنين الأخيرة حتى صارت أعظم الصحف في الشرق القريب بعد أن كانت الصحف التركية هي التي لها هذه المنزلة فيه. ونظرة سريعة في هذين العددين نجد:

أولا – أنه كان من المألوف أن تنشر المقالات الافتتاحية والمقالات غير الافتتاحية بغير عنوانات. ولهذا كان على القارىء أن يقرأ المقالة ليعرف الموضوعات ويعرف ما يهمه وما لا يهمه منها.

ثانيا – أن ثلاثة أرباع الجريدة على الأقل خاص بأخبار خارجية والربع الباقي فقط هو الخاص ببلاغات الحكومة وبأخبار مصرية. ولعل السبب في ذلك أن الأخبار الخارجية تنقل من جرائد أجنبية أما الأخبار المصرية فتحتاج إلى مخبرين ومحررين.

ثالثا – إن بعض الصحف كان يلجأ إلى السجع في الكتابة فكان من أجل ذلك يستخدم تعبيرات لا نستطيع نحن الآن أن نقرأها من غير

أن نبتسم. فهذه مثلا جريدة نشرت قصيدة في مدح رياض باشا جعلت عنوانها: (دولتو رياض باشا بلغة الله ماشا) ومنذ سنة ٢٥ سنة فقط كان هذا النوع من الكتابة لا يزال سائغا في بيئة الصحف اليومية الجديدة؛ فقد أرادت صحيفة أن تنتقد قاضيا من قضاة محاكم الأخطاط فكتبت في ذلك كلمة جعلت عنوانها: "قاضى خط بلط في الخط"، وأقول مرة أخرى إن هذه الجريدة لم تكن هزلية بل كانت جدية ويومية. ودارت في حرب البلقان في سنة ١٩١١ معركة في بلدة تسمى قطية فكتبت تلك الجريدة نفسها مقالا عن هذه المعركة جعل عنوانه " معركة قطية وما جرى للترك يا عنيه".. وأرادت هذه الجريدة أيضا أن تمتدح مشروعا نافعا من مشروعات الحكومة فجعلت عنوان ما كتبته في ذلك " كلك منافع يا توم" وصدر قانون للدمغة فشكا منه الصاغة فكتبت: " عريضة الصاغة بعد تلك الغاغة" وكتبت عن البترول " كيف يحل ويزول مشكل البترول". وهناك من أمثال هذا كثير.

وفي القصيدة التي نشرتها جريدة الوطن في سنة ١٨٨٨ في مدح رياض باشا:

قال الشاعر :

يا هنا مصر سناها في الدجى ضا	وإليها الأنس والإسعاد آضا
برياض العدل فيها العز يزكو	بل ويكفي أن للعدل رياضا

على أن أول ما يلاحظه الباحث أن خمساً وثلاثين سنة انقضت على وجود (الوقائع المصرية) حتى وجدت أول جريدة أهلية، ثم توالى صدور أكثر من خمس عشرة جريدة بين سياسية وأدبية وفكاهية في المدة من سنة ١٨٦٥ إلى سنة ١٨١٧. وذلك مع أن المدارس كانت قد فتحت أبوابها للتعليم الحديث منذ عهد محمد علي الكبير، والبعثات المصرية إلى أوروبا كانت قد توالت منذ عهده أيضا، فأخرجت لمصر علماء شاهدوا الصحافة في أوربا وعرفوا قيمتها في تربية الجمهور ولكن تفسير هذا الجمود سهل، وهو يبرجع إلى أمرين: الأول أنه كان من الضروري بعد فتح المدارس وبعث البعثات إلى أوروبا أن يمضي زمن كاف لتربية نشأة حديثة تعيش الصحف من إقبالها عليها، والثاني أن المدة ما بين سنة ١٨٦٣ وسنة ١٨٨٧ فيها حركة فكرية اتصلت بالحركة الأولى فقويت الحاجة إلى الصحافة وظهر حينئذ عبد الله النديم بجريدته (التنكيت والتبكيت) ثم بجريدته (الطائف) فقربت نظارة ذلك العهد جريدته هذه الأخيرة حتى قررت أن تخصها بتدوين أعمال مجالس النواب دون الوقائع المصرية.

وخمدت الحركة الفكرية بعض الشيء على أثر النتيجة التي انتهت إليها الحوادث العرابية، ولكن هذا الخمود لم يكن إلا وقتيًّا، لأنها عادت بعد سنوات قليلة فهبت من مرقدها، وهبت الصحافة معها. وكانت هبة الصحافة في هذه المرة أشد قوة وأوسع ميداناً. وكان من رجالها والمغفور له السيد علي يوسف باشا شيخ الصحافة الأول صاحب المؤيد، أول

صحيفة يومية سياسية مصرية صميمة، ومصطفى كامل باشا صاحب اللواء، وأحمد لطفي السيد باشا مدير الجريدة.

والمرحومون محمد بك فريد والشيخ عبد العزيز جاويش مدير اللواء فالشعب، وسليم بك تقلا صاحب الأهرام، والدكتور فارس نمر أحد أصحاب المقطم، والدكتور يعقوب صروف أحد أصحاب المقتطف، وجورجي بك زيدان صاحب الهلال.

وكانت لكل واحد من هؤلاء الرجال آراء يخالف فيها الآخر، وليس المقام مقام استعراض هذه الآراء، ولكني أقول إن المناقشة المحتدة والتي كانت تصل في كثير من الأحيان إلى أقصى حدود العنف بين هؤلاء الرجال وصحفهم، هي التي ساعدت في وقتها على تكوين الرأي العام، وساعدت في الوقت نفسه على أن تخطو الصحافة خطوة جديدة في سيرها إلى الأمام.

وجاءت بعد هذا الحركة الفكرية القوية التي هبت في سنة ١٩١٨ والسنين التي تلتها فخطت الصحافة خطوة أخرى، بل خطوات، وظهرت قوتها جلية في توجيه الرأي العام، وفي زيادة عدد الصحف وعدد قرائها، وتنوعها وسبقها للصحف الأوربية عدا إنجلترا وأمريكا.

الصحافة الهازلة والكاريكاتيرية

عرفت مصر منذ القرن الماضي، الصحافة الهازلة والكاريكاتيرية مقتبسة ذلك عن الصحف الأجنبية، وبخاصة الفرنسية. ومن أوائل ما

صدر في هذا الصدد، جريدة (أبو نظارة) التي وسعت شهرتها – البلاد التركية والفارسية – إلى جانب مصر وجاراتها العربية. كانت جريدة الخاصة والعامة، وكانت روحها مصرية بلدية حرة أنشأها يعقوب رفائيل صنوع الصحفي اليهودي الهزلي بالإشارة إلى نضارته الزرقاء التي سماه العامة بها، وكان مدرسًا للموسيقى والرسم واللغتين الإيطالية والفرنسية. وكان ممثلاً، وكان ممن يحضرون مجالس السيد جمال الدين الأفغاني.

وكان صاحب أسلوب ونكتة ونقد لاذع صريح مرير. وكان يصدرها في أربع صفحات حافلة بالأدب الرفيع والوضيع والأزجال والمحاورات والمداورات، وبرسوم المحرر نفسه إذ تعلم التصوير والرسم إيطاليا، وكان يترجم بعض نكاته المصرية إلى الفرنسية.

ولغلوه في النقد والتجريح لكبار رجال الدولة والأجانب، صادرت الحكومة جريدته ونفته إلى باريس، وهناك لبث يوالي صدورها إلى ١٩١٢. أي ٣٤ سنة، أي إلى وفاته. وكان دخولها مصر ممنوعًا فكانت تدخلها باسم (أبو زمارة) ثم باسم (أبو صفارة) ثم (الحاوي) أما مبدؤها "الحاوي الكاري، اللي يطلع من البحر الداوي، عجايب النكت للكسلان والغاوي، ويرمي الغشاش في الجب الهاوي"

وعرفت مصر (حمارة منيتي) والسيف والمسامير، والمسامرات، وخيال الظل، والكشكول، والمسرح، وروزاليوسف، وآخر ساعة، والصحف الأخيرة صحف صدرت في أول أمرها كاريكاتيرية ناقدة جريئة.

أما الصور الهزلية فكانت معروفة من عهد فراعنة المصريين، أي قبل ثلاثة آلاف سنة. فقد عني قدماء المصريين بتصوير الحالات النفسية، ولقد صوروا (ست) في صورة وحش وسمّوه (ست الملعون) لأنه قتل أخاه أوزريس وألقى بجثته في النيل كما قتل أخته ومثل بجثتها شر تمثيل. كما صوروا أوزوريس في صورة (قطة).

وتفنن قدماء المصريين في تصوير عظمائهم بأوجه حيوانات صغيرة وكبيرة جميلة وقبيحة بحسب أخلاقهم وميولهم وطباعهم ونفسياتهم وكانت صور قدماء المصريين حافلة بالتشنيع على رجال الكهنوت كما امتازت بتصوير الأسرى وتصوير نفسياتهم على وجوههم. ومعبد (أبو سنبل) بين أسوان ووادي حلفا يحتوي من جانبيه على صور كاريكاتورية مدهشة يقول الفنيون إن الهزل فيها وخاصة في إبراز الشفاه والأنوف والكآبة من أبدع ما وفق إليه الكاريكاتيريون.

وكان قدماء المصريون يمثلون – بالتصوير الهزلي – الحوت والميزان والصراط ومن ثقلت موازينه ومن خفت موازينه ولا تزال هذه الصور في معابدهم. وأخذ الإغريق فن التصوير الهزلى عن قدماء المصريين فاستعملوه – أوّلا – في الآثار والأنتيكات، واستعملوه كثيرا في التشنيع على الآلهة، وعلت في هذا شهرة مسورهم اتفيل الذي خلق من خياله شخصا جعله رمزا ثابتا سماه (جول ليس) أي (خنزير) كما هو الحال في شخص وجون بول!!

ويقال عن الفرس كانوا قبل ألف سنة يجعلون صورا هزلية على المتعة الخزفية والمنسوجات، ولكن لم يبق منها شيء يدل على الصور الكاريكاتورية في ذلك الزمن، ولم يحدثنا العرب عن غير صور قصور الملوك، كما أن الصور الكاريكاتورية كانت على أمتعة الشعب الروماني ولكنها ذهبت لأن الرومانيين والإغريق لم يحافظوا إلا على الصور الدينية والتاريخية العليا، ولم تكن لهم صحافة تبقي مجاميعها للأجيال المتعاقبة، وفي وصف تلك الأشعة يقول عبده بن الطبيب:

حتى اتكأنا على فرش يزينها ... من جيد الرقم أزواج تهاويل

فيها الدجاج وفيها السد مخدرة ... من كل شيء يرى فيها تماثيل

وليس في وسعنا الرجوع إلى الكتب العربية من مؤلفات القدماء، وهذه الكتب العربية لم تعرف إلا في زمن الإسلام وكان المسلمون يحرمون التصوير لأنه يذكر الناس بالوثنية، ولو لم يكن معروفا في الجاهلية ما نهى عنه الرسول عليه الصلاة والسلام.

ولكن العرب لم يعدموا وسيلة للتعبير عن أفكارهم الكاريكاتورية بالكتابة في النثر والنظم كقول الشاعر:

كناطح صخرة يوم ليوهنها ... فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

ولو كان هذا مصورا، أو لو أن مصورا رسم رجلا على هيئة وعلى بطح صخرة خلع أحد قرنيه لكانت من أجمل الصور ولا سيما حين يكون الرجل المرسوم من عظماء القوم.

ومن الصور البديعة ما وصف به ابن الرومي رجلا أحدب قال:

قصرت أخادعه وطال قذاله فكأنه متربص أن يضعا
وكأنما قد ذاق أول صفحة وأحس ثانية لها فتجمعا

ومن الملوك والحكام من أحب التصوير الكاريكاتيري ومنهم من غضب عليه، كلويس السادس عشر. وفي إيطاليا برع الرسامون الكاريكاتيرون وفي إنجلترا تجد رسوم الكاريكاتير قد راجت رواجا كبيراً . وبدأ الكاريكاتير في أمريكا: هون آرت .

صحفيو الرعيل الأول

كان بين صحفيي الرعيل الأول في مصر، نفر من (كتبة العرائض) وصغار الأزهريين الذين تركوا الأزهر والعلم في سبيل الرزق، فكانوا يسودون الصفحات، ويكتبون الغث والسمين، والحق والهراء، وكان أجرهم على هذا قروشا أو مليمات.

ولهم نظائر في أوروبا ذاتها، ففي فرنسا قالوا إن القصصي الكبير إسكندر ديماس كان يدير معملا لصنع الروايات، مستخدما فيه شبانا يعهد إليهم ديماس في إعداد (البضاعة) التاريخية، وفي إيطاليا نفر من هذا الصنف. وقد عرفت مصر فيمن عرفت الشيخ الشربتلى الذي ظل اسمه يرن في جوانب المجتمع القديم زهاء ربع قرن ككاتب لبق وصحفي قدير له مكانته وله رشاقة أسلوبه وتبويبه فقد كان يشرف على تحرير ما ينوب على عشر صحف ما بين يومية وأسبوعية، وكانت قهوة (العلم)

بميدان باب الخلق في ذلك الحين يجتمع كتاب مصر وصحفييها وكان الشيخ الشربتلي يتخذها مكانة المختار، فتجده هناك منذ الصباح الباكر يحمل تحت إبطه محبرته النحاسية وأوراق تحريره وأقلامه في انتظار أصحاب الصحف وكانت طريقة اتفاقهم معه من أفكه ما يروي، إذ كان يبادر بسؤال محدثه عن نوع الكتابة التي يريدها، هل هي من النوع العادي أم المتوسط أم الفاخر؟

أما الأول فمن نوع وأسلوب المؤيد واللواء وهذا ثمن تحريره خمسة قروش للعمود الواحد. والثانى من أسلوب المرحوم الإمام الشيخ محمد عبده والسيد توفيق البكري وهذا بعشرة قروش. أما النوع الفاخر فيشبه كتابات الجاحظ والهمذاني وهذا لا يقبل التحرير به إلا بخمسة قروش.

ومن الفكاهات المستملحة عنه أنه كتب ما ينوب عن عشر مقالات عن (السرطان السياسي) كان يتحدث فيها عن مجاهل أفريقيا وعادات سكانها وعن الهنود الحمر وشذوذ طباعهم فكان يلفق الحوادث ويرتب وقائعها ترتيبا قصصيًّا حتى أنه يخيل إليك أنه زار هذه المناطق ودرسها دراسة وافية.

واحتاج في ذات يوم لأن يملأ نهراً من صحيفة يومية كان يحررها فبدأ يكتب خبر حريق حدث في جهة كذا، وبالغ في الوصف وتقدير الخسائر وأثنى على رجال البوليس والمطافيء في مكافحة النيران، وبعد

أن جمع المقال عاد عمال المطبعة يلحون عليه في تكملة أسطر العمود؛ فأتمه على الوجه التالي:

وبعد كتابة ما تقدم أبلغنا أنه لا صحة لما ذكرنا؛ فحمداً لله على أنه لطف بعباده.

السجع في الصحف

لما كان (السجع) هو اللون الأدبي السائد في المقالات والمؤلفات الأدبية، إلى أوائل القرن الحالي، فقد انتقل السجع إلى الصحافة فعمدت معظم الصحف إلى اختيار العناوين (المجموعة) لا لمقالاتها الأدبية بل للسياسة وأخبار الأقاليم والدواوين. من ذلك أن طلبة كلية الحقوق أضربوا عن الدراسة في إحدى المناسبات فنشرت إحدى الصحف خبر تحت عنوان : (التمرد والعقوق بين طلبة الحقوق) ووقعت بعض جرائم في بنها، فصارت إحدى الصحف تنشرها تحت عنوان: (الفوضى والخلل، في بنها العسل)!

وحدث أن تكاثرت حوادث الاصطدام بمركبة الترام، فنشر الخبر بعنوان: جاي جاي من حوادث الترامواي!.. وكانت إحدى الصحف تنشر أخبار (الباب العالي) أي أخبار سراي يلدز، وذلك قبل تحرر مصر من النفوذ التركي فصارت تنشر الأخبار تحت عنوان: (الجواهر واللآلي في أخبار الباب العالي)

وعتبت إحدى الصحف على زميل له لأنها لم تجاملها في مناسبة ما، فكتبت مقالا بعنوان: (الليالي من الزمان حبالى، أين ذهبت حقوق الزمالة)!..

أما المؤلفات الأدبية، فكان يتحتم على مؤلفها أن يختار لها عنوانا (مسجوعا) وإلا سقطت قيمتها في نظر (الكتبي) الذي يبيعها، فيمتنع عن عرضها!

ولذلك كان معظم الكتب التي أصدرها المطابع في ذلك الحين، تحمل عناوين مجموعة تنطوي على مفارقات طريفة، وبخاصة إذا أراد المؤلف اختيار عنوان لكتابه، يدمج فيه اسمه كمؤلف. كما حدث للأديب المعروف (فارس الشدياق) الذي لم يجد عنواناً لكتابه يتفق مع اسمه سوى: (الساق على الساق، فيما هو الفارياق، لفارس الشدياق)...

واختار مؤلف آخر لكتيب صغير أصدره عنوان: (صيحة الديك، للسيد عبد اللطيف أبي فريك) وأغلب الظن أن المؤلف، لو كان يلقب باسم آخر، لجاءه كتابه بعنوان آخر!...

ويضيق بنا المقام إذا ذكرنا ما تعيه الذاكرة من أسماء أمثال هذه العناوين، ويكفي أن يعرف القراء أن في دار الكتب المصرية وحدها نحو ١٢٠ ألف كتابا جميع عناوينها مسجوعة.

عصر المبارزات والصحافة

رافق عصر المبارزات، أو عصر الفردية، عصر الصحافة، فإذا نشر كاتب مقالاً في أوروبا، طلب المعتدى عليه في المقال، مبارزة ضخمة. وقد حدث في سنة ١٩٠٧ أن نشرت صحف باريس، التي كانت تعني عناية خاصة بحوادث المبارزات، خبراً عن مصر، وضعت له عناوين مثيرة كهذا العنوان: (مبارزة على الطريقة الباريسية في القاهرة!) وكان بطلا هذا الحادث في مصر (مستر رودي) الصحفي الإيرلندي، ونشأت بك. أما الأول فكان يحرر بجريدة اللواء الإنجليزية التي كانت تدار باسم (اجبشيان ستاندارد) وكان يحمل حملات شعراء ليس فقط على الإنجليز بل أيضا على لفيف من المصريين. وأما (نشأت بك) فهو الآن حسن نشأت باشا، الغني عن التعريف. وقد تبادل الخصمان رصاصتين فلم يصب أحدهما الآخر، والصحف الباريسية التي نشرت الخبر بكثير من التفاصيل، أسفت لأن هذه المبارزة انتهت على هذا الشكل السليم.

وبعد الثورة المصرية التي أعقبت الحرب العالمية الأولى، صدرت في مصر جرائد عديدة باللغة الفرنسية، بينها جريدة (لسبوار) لسان حال الوفد المصري. وكانت تظهر فيها مقالات بتوقيع مستعار ونشرت مقالة ذات مرة عدها الصحفي الفرنسي (بوندفو) محرر (جرنال دكبير) مهينة له، فدعا للمبارزة صاحب التوقيع المستعار، وبرز الأستاذ دوماني قائلاً إنه يحل محل الكاتب المجهول الذي لا يريد أن يظهر شخصيته، وكان هو صاحب تلك المقالات وصاحب التوقيع

المستعار. واختار الأستاذ دوماني شاهديه وهما الأستاذ (جوزي كانري) صاحب مجلة (ليجبت نوفيل) والأستاذ حبيب جاءاتي. فاجتمعا بشاهدي الصحفى بوندفو، وهما الأستاذ (جوزي كانري) صاحب مجلة (ليجبت نوفيل) والأستاذ (بيزيا) المدرس بمدارس على أن تكون المبارزة بالسيف. ولكن (أولاد الحلال) تدخلوا في الأمر –كما هدد البوليس بالتدخل فيه – وتم الصلح بين الخصمين على يد الشهود.

ولم يكن الأستاذ كانري، أحد شاهدي الأستاذ دوماني، حديث العهد بحوادث المبارزة، فقد نشب خلاف صحفي بينه وبين الأستاذ (ليون كاسترو) صاحب جريدة (لا ليبرتيه) في ذلك الوقت أيضا، فدعاه إلى المبارزة، والتقى الخصمان في صحراء مصر الجديدة، وأصيب الأستاذ كاسترو يجرح في ذراعه اليمنى، وسلم الشرف الرفيع من الأذى!

عزومة

في خلال الثورة المصرية، قامت بعض السيدات بالاحتجاج لدى دار (المندوب السامي على اعتقال الزعماء ولم يرق اشتراك المرأة في الحركة السياسية أحد أصحاب المجلات المصورة فكتب مقالا ملأه بالطعن والسخرية و(التنكيت).. وثار أحد الشبان من أقارب إحدى السيدات اللاتي جاء ذكرهن في المقال، وكان على معرفة وثيقة بصاحب المجلة، فدعاه إلى تناول الشاى بمحل (صولت) – وكان إذ ذاك بجوار مبنى شيكوريل – ولبي الصحفي الدعوة، ولكنه لم يكد يبدأ بتناول

الشاي، حتى انهال عليه الشاب ضرباً ولو لم يخف لإنقاذه بعض الحاضرين، لقضي عليه!.

زيارة

وحدث أن تناول أحد الصحفيين، كبيراً معروفاً، وأخذ عليه اشتراكه في بعض الحركات السياسية، ثم تتابعت حملاته عليه بما يليق، وبما لا يليق.. وأشار بعض كبار المحامين على (الكبير) أن يلجأ إلى القضاء ولكنه رفض، وأبى أن يأخذ ثأره بيده. وفي ذات يوم قصد الكبير إلى إدارة الجريدة واقتحم مكتب المحرر الذي هب للقائه مرحباً وقد توهم أنه جاء ليسترضيه. وإذا بالكبير يخرج من معطفه (كرباجا) وينهال به على الصحفي، ولم يتركه إلا بعد أن أشبعه ضربا.. ثم غادر دار الجريدة دون أن يجسر أحد على التعرض له... ومن ذلك الوقت كف الصحفي عن التعرض للكبير بالخير أو الشر!

نكتة قاتلة

وعرف أحد محرري الصحف الهزلية، التي كانت كثيرة العدد في ذلك الحين، بشدة وطأته على بعض الأعيان المعروفين، وتناول أدق شؤونهم الخاصة في معرض التنكيت. وحدث أن كتب (نكتة) جارحة ماسة بكرامة أحد أعيان الصعيد، ولم تمض أيام حتى تربص أحد (الفتوات) للصحفي. وفاجأه بضربة قاضية على رأسه، فشجها وسقط

جثة هامدة، وقد اعتقد القاتل والوجيه الذي اتهم بتحريضه، وقضى على الأول بالإعدام على الثاني بالأشغال الشاقة ١٥ سنة

حصار

وعمد أحد أصحاب الصحف الهزلية إلى (التنكيت) على شاب من أهالي الإسكندرية، هو نجل صاحب إحدى شركات النقل. وحدث أن سافر صاحب الجريدة إلى الإسكندرية ونزل في أحد الفنادق وعلم الشاب بنبأ وصوله، وفي ذات ليلة حاصر الفندق زهاء ثلاثمائة عامل تسلحوا بالهروات، وطالبوا بتسليم الصحفي إليهم وخشي أحد بالفندق مغبة الأمر، فأوعز إلى الصحفي أن يهرب من سطح الفندق إلى سطح المنزل المجاور، وبهذه الوسيلة نجا من موت محقق، وعاد إلى القاهرة في أول قطار...

مقلب

وحدث أن منح أحد الوجهاء رتبة (الباشوية) فانتهز أحد أصحاب الصحف الهزلية، هذه الفرصة، ونشر للوجيه صورة كبيرة ومعها مقال كله مديح وإطراء في شخصه الكريم، وذلك ليظفر منه باشتراك كان الصحفي يقدره بخمسين جنيهًا على الأقل وعمد أحد المحررين الخبثاء إلى تغيير المقال، بمقال آخر كله هجو وسب وتشنيع، وطبع المقال مع الصورة دون أن يدري صاحب الجريدة شيئا، إذ كان قلما يهتم بمطالعة جريدته...

ولم يكد ينتهي طبع العدد، حتى هرع صاحب الجريدة إلى دار الوجيه ومعه خمس نسخ أوفدها إليه مع بعض الخدم وجلس في الصالون يترقب الجزاء ولم يطل انتظاره فقد دهمه أربعة من الخدم الأشداء وأوسعوه ضربا وتهشيما وألقوا به في الطريق...

في عماد الدين

وعندما بدأت النهضة التمثيلية وامتلأ شارع عماد الدين بالفرق التمثيلية والغنائية وغيرها ، قامت المعارك الطاحنة بين النقاد والفنانين والفنانات، فكلما قسا أحد النقاد على ممثلة أو راقصة أو مطربة عمدت إلى استئجار أحد (البلطجية) فيوسع الناقد ضرباً حتى اضطر بعض النقاد إلى حمل السلاح للدفاع عن أنفسهم على أن بعض الفنانات كن يأخذن ثأرهن بأيديهن، دون حاجة إلى استئجار (البلطجية) أو الفتوات... من ذلك أن فنانة معروفة، فاجأت أحد النقاد وهو يجلس في (قهوة الفن) بقولها:

– أنا جايبه لك هدية يا أستاذ..

ثم فتحت حقيبة يدها وأخرجت منها (فردة حذاء) وانهالت بها عليه.

عريان أفندى

وهاجم أحد النقاد راقصة أجنبية، واشتدت وطأة حملته عليها فدبرت له مكيدة، واستدرجته إلى الصالة التي تعمل بها، حتى إذا أخذ مكانه، أحاطت به مع بعض زميلاتها ومزقت ملابسه حتى خرج من الصالة شبه عارٍ.. وقد عرف بين الزملاء فيما بعد باسم (عريان أفندى)!..

هجوم

وعرف أحد النقاد بصداقته لفنانة كبيرة، غير أنهما اختلفا وإذا بالناقد يهاجمها في مجلته مهاجمة مقذعة بعد أن كان يرفعها بكتاباته إلى السماء السابعة. وفي ذات يوم، بينما كان الناقد يسير في الطريق، إذا بالفنانة تخلع حذاءها وتهب للقائه، فهرب منها لكنها ركضت خلفه حتى أدركه أمام قسم الأزبكية وأعملت فيه حذاءها. وقد رفع الناقد (المضروب) قضية على الفنانة، لكن المحكمة قضت ببراءتها إذ أعدت ضربها للناقد من باب الدفاع عن النفس.

صفحات من الحوار السياسي

نذكر من ذلك أنه في ١٩ إبريل سنة ١٩١٣ صدر الدستور المصري في عهد وزارة يحيى إبراهيم باشا. وأخذت البلاد تستعد لإجراء الانتخابات لأول مجلس نيابي في تاريخها الحديث.

وقد تمت هذه الانتخابات وعقد البرلمان المصري طبقا للدستور الجديد لأول مرة في يوم السبت ١٥ مارس سنة ١٩٢٤. وكانت معركة الانتخابات حامية، وكانت الخصومة شديدة قبيل المعركة الانتخابية بين سعد زغلول باشا وعبد الخالق ثروت باشا، فوجه ثروت باشا كتاباً إلى سعد باشا في ٢ ديسمبر سنة ١٩٢٣، استهله بالعبارة الآتية:

"السلام عليكم ورحمة الله، وبعد فما زلتم بعد عودتكم إلى مصر توجهون المطاعن القاسية إلى شخص تعلمون فيما بينكم وبين أنفسكم وبينكم وبين ربكم وطنيته ما تعلمون. لستم فرداً عاديًّا فتسوغ له الخصومة ما تسوغه لغير المسئولين؛ فلقد رأيتكم منذ عودتكم لا ترون شيئا مما جرى في غيبتكم يستحق الرضا ويوجب الاغتباط"

وبعد أن استعرض ثروت باشا الكثير من المواقف السياسية التي وقفها لخير البلاد ومنها موقفه في الحصول على تصريح ٢٨ فبراير قال:

"لا أخالك نسيتم زيارتكم لي بمنزلي مع زملائكم أعضاء الوفد إثر قبول استقالة رشدي باشا واعتذاري النهائي لجلالة الملك عن عدم قبول الوزارة ما لم يؤذن للوفد بالسفر إلى الخارج وما وجهتموه لي إذ ذاك من عبارات التقدير والثناء".

إلى أن قال: "نحن الآن أحوج ما نكون إلى أن يقف الزعماء في هذه البلاد المغلوبة على أمرها من قادتها قبل خصومها، موقف الناصح، فكفانا تناحراً، وكفانا تهاتراً."

"لقد اعتذرت لكثيرين ممن دعوني للخطابة رغبة في المحافظة على بقية وحدة تفككت وتجنباً لزيادة الفتنة والانقسام

"وإن عجبت لشيء فعجب أن أراكم – ولم أنافسكم المجد يوماً من الأيام – تجعلون همكم أن تنالوا من وطنيتي، وما كنت إلا جندياً من جنود الوطن. لم أقصد إلا للعمل لخالص خدمة بلادي غير متطلع من وراء ذلك إلى مجد أناله أو فخار أكتسبه. ولقد طالما صرحت بأن الأفضل لي فيما أستوجب عليه شكراً أو جزاءً، وإنما يرجع الفضل فيه إلى توفيق الله تعالى، وتعضيد جلالة مليك البلاد واجتماع كلمة الأمة".

وطلب ثروت باشا في آخر كتابه أن يحتكم هو وسعد باشا في أوجه الخلاف التي بينهما إلى مجلس من الأمراء يضمون إليه رؤساء الوزارات والوزراء السابقين وأعضاء الهيئات النيابية وغيرهم من أولي الرأي في البلاد. يدلي فيه كل منهما بحجته ويبسط ما لديه من الأدلة والمستندات.

ثم قال: "وإنى لأرجو – وأنتم لا تريدون إلا خير البلاد – ألا تجدوا ما يمنعكم من قبول هذا الاقتراح الذي يمهد سبيل الوفاق والوئام إن شاء الله"

رد سعد باشا

وقد رد سعد باشا على خطاب ثروت باشا في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٢٣ وجاء في رده ما يلي:

"حمل إليّ حضرة أمين بك واصف خطاباً منكم تتبرأون فيه من المطاعن التي وجهتها إليكم؛ وتطلبون الاحتكام إلى حضرات أصحاب السمو الأمراء ومن يضمونهم من الوزراء السابقين وغيرهم من أهل الآراء... وأفيدكم أن الأمة رياسة مليكها العادل بعد أن تليت أوراق اتهامكم، واستجوبت شهود أفعالكم وأقوالكم وسمعت دفاعكم ودفاع أنصاركم حكمت ضدكم، وأعلنت هذا الحكم في جرائدها ومحافلها، ثم نفذته بإسقاطكم من الوزارة وإبعادكم عن النيابة، فسقطتم من ذلك المنصب السامي، وأبعدتم عن هذا الشرف الرفيع، فلم يكن لي بعد هذا الحكم الصادر من مصدر كل سلطة تحت أسمى رئاسة؛ أن أتنازل عنه لأقف معكم في مستو واحد، وأصحاب السمو الأمراء أنفسهم يعرفون أن هذا القضاء فوق كل بحث وكل نقض وإبرام"

ثم استطرد سعد باشا فقال: "ما أنت بزعيم في الأمة، ولا رئيس حزب فيها، حتى تكون هناك أهمية لخلافك أو وفاقك. ولكنك فرد اختبرته السلطة الإنجليزية فوجدت فيه آلة صالحة لترويج سياستها ضد بلاده فسلطته عليها فأذاقها عذاب الهون"

وختم خطابه بما يلي:

"وأصبحت بعد ذلك فرداً لا يهم منك إلا التحذير من ماضيك والاعتبار بحاضرك والاحتياط لقابلك"

"أمامك المنابر العامة فأعلنها إن وجدت سميعا، والجرائد السيارة فاكتب بها إن وجدت قارئا، والنوادى الخاصة فتحدث إليها إن وجدت نصيرًا. أما التحاكم إلى الأمراء، فشرف، ولكن لا يحوزه إلا الأكفاء".

تعليق الصحف على ما تقدم

وكتبت جريدة (السياسة) حينئذ تعلق على رد سعد باشا بقولها: "أدر نظرك إلى سعد زغلول يخاصمه عبد الخالق ثروت إلى الأمراء من أهل البيت الحاكم في مصر ليفصلوا بينهما في أمور معينة فيتعالى سعد عن الخصومة"

ثم قالت الجريدة في فقرة أخرى: " وبعد، فقد كان لسعد مندوحة عن أن يركب متن الحماقة والشطط وأن يدرع بهذه االدروع، فقد كان يستطيع أن يجيب ثروت إلى ما طلب قاصراً استكباره على طالب الاحتكام. ولكن سعداً لا يستطيع أن ينطق إلا حمقاً ولن يستطيع أن يفاوض إلا في جريمة. ولن يستطيع أن يعتبر هذا البلد بما فيه إلا موضعاً لغطرسته وكبريائه وفحشه وفجوره"

وكتبت (البلاغ) بتاريخ ٢ يناير سنة ١٩٢٤ ما يلي: "يعرف صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا أن الأمة مجتمعة تحت رئاسة جلالة الملك حكمت عليه حكما لا يقبل النقض والإبرام، ولكنه حاول

أن ينسى ذلك وأن يفر من هذا الحكم فكتب في ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٢٢ خطاباً إلى معالي الرئيس الجليل سعد باشا شحنه بالأكاذيب والمغالطات، وطلب فيه أن يحتكم معه إلى مجلس من الأمراء ورؤساء الوزارات، والوزراء السابقين، والهيئات النيابية وغيرهم من أولي الرأي، أي أن ثروت باشا طلب حكمًا جديداً غير الحكم الذي أصدرته الأمة ووافق عليه جلالة الملك فنفذه، وبديهي أنه ما كان لسعد باشا أن يجيبه إلى هذه الرغبة"

وقالت الجريدة نفسها في عدد آخر:

"في أي شيء يريد ثروت باشا أن يحتكم إلى الأمراء والوزراء وممثلي الهيئات النيابية؟.. أفي ائتماره مع السلطة الإنجليزية على نفي سعد وصحبه، توطئه لمجهود آخر يبذل لإيجاد العلاقات بين مصر وإنجلترا... أم في خديعة الناس وكذبه على الجمهور، إذ يعلن تارة أنه لا يؤلف وزارة. وتارة أخرى أن له شروطا في تأليفها، ثم يظهر أنه كاذب. أو يريد أن يحتكم في خروجه على الإجماع مرة ثانية، وإنكاره على الأمة حق وضع الدستور بواسطة جمعية وطنية تنتخبها الأمة انتخابا حراً، وذهابه في الإنكار إلى حد اتهامها بالثورة بسبب هذا الطلب البريء؟"

"حقاً إنه لغرور من ثروت باشا، وحقاً إنه لم يكن لهذا الغرور إلا جواب واحد هو الاحتقار"

خطبة صدقي باشا والتعليق عليها

وكانت المعركة الانتخابية لبرلمان سنة ١٩٢٤ على أشدها — كما قدمنا — وقد ألقى معالي إسماعيل صدقي باشا خطاباً على المندوبين الثلاثين بدائرة سند بسط الانتخابية قال فيه:

"إني أتقدم إلى البرلمان لأنني من صميم أهل المنطقة، ولا أستند في ترشيحي إلى ما يسمونه بالتضحية، لأنني أعتبر أن مقاعد البرلمان ليست بالجوائز أو المكافآت توزع على من ذاق الحبس والتشريد، بل هي مراكز الحكم والرأي تصلح البلاد أو تتدهور بحسب من يشغلونها، على أن الألم في سبيل الوطن ليس من التضحية في شيء إذا هو اقترن بارتياح الضمير وبشعور المرء أن عمله صادف تقديراً من أهل بلاده — وأن نفيه إلى مالطة كان مثاراً للذة معنوية كبرى

لقد تكلم سعد باشا كثيراً بشأن تصريح ٢٨ فبراير:

ولكنه أهمل بعض الشيء المفيد فيه، فماذا كان يريد معاليه أن نفعل مصر بعد قطع المفاوضات وبعد نفيه؟ أكان الواجب في رأيه أن نلبس الحداد، وأن نقع في دورنا انتظاراً للفرج، إذ لايصح، والوكيل غائب، أن يعمل أحد لاستقلال البلاد، أو أن نعمل مستعمرين في الجهاد لخلاص البلاد"

وقد ردت عليه جريدة (البلاغ) بمقال جاء فيه.

" أما صدقي باشا فقد حانت له فرصة الكلام يوم الثلاثاء الماضي أمام بعض أهالي الدائرة التي هو مرشح فيها فماذا قال؟

"لم يكن في استطاعته أن يفر من التهمة كما فر منها ثروت باشا لأنه متقدم للانتخابات ويجب عليه أن يسعى بكل الطرق لتبديد التهم التي تقوم ضده في أذهان المندوبين، وقد علم أنه اتهم بتهمة الوثيقة السرية، وأن المندوبين الذين يخاطبهم عرفوا هذه التهمة واستبشعوها فليس يفيده أن يفر أمامهم منها، وإنما يحتم عليه الواجب أن يقول لهم كلمته فيها، وهذا هو الذي فعله".

من الشيخ شاويش إلى سعيد باشا

وكتب المرحوم الشيخ عبد العزيز جاويش كتابًا مفتوحاً إلى المرحوم محمد سعيد باشا نشرته (الأهرام) في ٩ يناير سنة ١٩٢٤، وكانت معركة الانتخابات للبرلمان قد حمي وطيسها جاء فيه: "تشهد الأمة في هذه الأيام أعجوبة من أعاجيب التخاصم والتحاكم، أردنا أن نتحاكم إلى المندوبين الثلاثينيين فكان مثلنا في ذلك مثل خصمين عمد كل منهما إلى محكمة خاصة به ثم سرد عليها ما شاء من مدعياته وأدلته، يرمي خصمه بما وسعته جعبته من سهام التهم والمثالب. ثم يريد كل منا مع ذلك أن يحق له القول على خصمه ولم يضمهما بعد مجلس ولا توحدت لها محكمة، أو ليس هذا من أعاجيب التحاكم في قوم يقولون إنهم دستوريون؟!"

"لقد كانت – وما زالت – بفضل الله – في ثروتك وجاهك وضخام ألقابك، كما كنت أنا وأزال – بحمد الله – في قناعتي بالكفاف في كل شيء، لا نطمع من كراسي البرلمان إلى جلال نريده أو مال نستزيده، أو جاه نستفيده، وغنماً كل همنا، كما أقول أنا وتقول أنت، أن نكون لوطننا خداما أمناء، وحماة أكفاء، وأبناء بررة أوفياء.. إذن فلم لا يضمنا مجلس نتحاكم فيه إلى المندوبين الثلاثينيين لقسم الجمرك، بل ويشهد ذلك غيرهم ممن يشاء من ذوي الرأي السديد والعقل الرشيد، ثم ليدلي كل منا خليقاً أن يستمتع بالثقة التي يحرزها، ويضطلع بالأمانة التي يحملها، ذلك يوم الأربعاء ندعوك لشهود ما سيقام فيه من الاجتماع الانتخابي في الساعة الخامسة بمسرح الكونكورديا، فلتأت بما استطعت من أدلتك على إخلاصك لبلادك مبسوط اليدين يما قدمت من الأعمال في وزارتيك وفيما تلاهما من الأعوام"

من هو الشيخ شاويش؟

وكتبت جريدة البلاغ بهذا العنوان ما يلي:

" أو الشيخ قادر على ما لم تستطعه الأوائل. والشيخ يكره (أنا) ويحب (نحن) والدليل على ذلك أنه وحده هو الذي جعل نار الحرب تستمر خمسة عشر عاما في طرابلس (وبقوته غذاها وبهمته قرأها وبعين عنايته يرعاها) أما أنور ومصطفى كمال وعزيز المصري والسنوسي وشيوخ الزوايا الأبطال، أما الأيدي المصرية التي ذللت كل صعب في سبيل المجاهدين ومهدت الطرق أمامهم حتى حصلوا على كل شيء من مصر،

وادخروا بكل شيء من مصر، أما المساعدات الأدبية والمادية التي قامت بها الأمة المصرية، أما الهمة التي بذلتها تركيا سراً وعلانية، كل ذلك لا يعد شيئاً مذكوراً في نظر الشيخ (أنا) بل قل لا وجود ولا أثر لأحد إلا الشيخ، كل هذا ليقال: " لا مجاهد إلا الشيخ "

الصحافة المصرية اليوم

بلغ عدد ما صدر من الجرائد والمجلات والنشرات الدورية منذ صدور العدد الأول من جريدة (لتنبيه) المونيتور التي كان يصدرها جيش الاحتلال الفرنسي في مصر – ألفي صحيفة، احتجب أكثرها، وعاش أقلها على صورة اختلفت قوة وضعفا، فليس مقروءا ولا ذائعاً غير بضع جرائد ومجلات من الجرائد اليومية والصباحية: الأهرام، والمصري، والأساس، وصوت الأمة، والكتلة، والإخوان المسلمون، والسياسة.

ومن الجرائد المسائية: المقطم، والبلاغ، والدستور، والبصير، والزمان.

ومن الصحف التي تصدر بالفرنسية صباحا: الجورنال ديجبت والبروجريه اجبسيان. وبالإنجليزية الاجبيبشيان ميل، والاجبيبشيان غازيت، ومن المسائية: البورص اجيبسيان، ولا ليبرتيه، والباتري. وهناك صحف أجنبية تصدر على الأكثر باليونانية، وعلى الأقل بالإيطالية والأرمينية.

ومن الصحف الأسبوعية: أخبار اليوم، وآخر ساعة، وروزاليوسف، والمصور، والإثنين، ومسامرات الجيب، وكلمة ونص، والنداء، والصباح، وأبو الهول، والجامعة، ورابطة الشباب، واليراع، والعالم العربي، والرسالة، والثقافة، وأخبار الدنيا، وشيخ الصحافة.

ومن الصحف القانونية: الجريدة القضائية، والإدارة، والبوليس القضائي، والمحاكم، والقضاء المصري، والمباحث القضائية، والدوائر القضائية، ومجلة كلية الحقوق، والقانون والاقتصاد، والتشريع، والشرائع.

ومن المجلات الشهرية: المقتطف، والهلال، والمختار، والفصول، والكتاب، والكاتب المصري، وبنت النيل، والدنيا الجيدة، وأنا وأنت، والحسان، والنيل، والمصرية.

وهناك مجلات فنية، للزراعة، وللصناعة، وصحف للتجارة، والرياضة، وسباق الخيل.

الصحف الإقليمية المصرية

يصدر في المديريات المصرية إحدى وأربعون صحيفة إقليمية وكلها تصدر باللغة العربية منها اثنتان وعشرون جريدة في الوجه البحري وتسع عشرة في الوجه القبلي. ومنها صحيفتان يوميتان إحداهما في طنطا والأخرى في بني يوسف. ومنها ٣٥ جريدة ومجلة أسبوعية ومنها ثلاث جرائد نصف شهرية ومنها مجلة شهرية واحدة تصدر في أسيوط، وهي موزعة كالآتي:

١١ في الغربية و٧ في الدقهلية و١ في الشرقية و٢ في البحيرة و١ في القليوبية و١ في الجيزة و٣ في بني سويف و٥ في الفيوم و٣ في المنيا و٤ في أسيوط و ١ في جرجا و١ في قنا و١ في أسوان.

هذا ولا توجد جرائد إقليمية في مديرية المنوفية، وهي المديرية الوحيدة التي لا يصدر بها صحف. وظلت الصحف الإقليمية بغير سجل رسمي معترف به حتى سنة ١٩٠٩ ثم تسجلت بصفة رسمية بعد أن جدد أصحابها الإذن بإصدراها

وكانت أول صحيفة إقليمية تسجلت هي صحيفة (الحرية) أسبوعية سياسية في طنطا وكان تاريخ تسجيلها ٢٩ مارس ١٩٠٩ وتعد (الكمال) على رأس صحف الوجه البحري ويصدرها الأستاذ نجيب يوسف وكيل الأهرام العام في الوجه البحري.

أما جريدة (الإنذار) فهي جريدة أسبوعية يصدرها الأستاذ صادق سلامة عضو مجلس نقابة الصحفيين ومندوبها في مؤتمر الصحافة الدولي في سنة ١٩٤٧، وهي عروس صحف الأقاليم.

الفصل الثالث عشر

التشريع للمطبوعات

في ١٣ يوليه ١٨٣٣ أمر محمد علي بعدم جواز طبع، أي كتاب في المطبعة الأميرية في بولاق – وكانت المطبعة الوحيدة – إلا إذا أذن للمؤلف، بالطباعة.

وفي أول يناير ١٨٥٩ صدر قرار المجلس المخصوص في عهد الوالي سعيد باشا بالشروط التي تتوافر في إنشاء مكتب للمطبوعات والصحافة، وفي ٢٦ اكتوبر سنة ١٨٦٦ أمر الخديو إسماعيل بجعل مكتب الصحافة تابعاً لوزراة الخارجية، وكان يراجع ما تكتبه الصحف.

وفي ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٨١ صدر قانون المطبوعات وكان مؤلفاً من ٢٣ مادة تتصل بشروط إنشاء المطابع والصحف وبحق الحكومة في

تعطيلها ومصادرتها بإنذارين من وزير الداخلية أو بقرار مجلس الوزراء من غير إنذار.

وفي ١٩٣٠ صدر قانون جديد للمطبوعات أما إدارة المطبوعات فهي تابعة للداخلية، وأهم اختصاصاتها، مراجعة طلبات الترخيص للصحف، وتسجيل أسماء الصحفيين المقيدين في الجدول، وصرف الاستثمارات لهم، ومراجعة ما ينشر في الصحف والكتب في مصر والخارج، ومعرفة مدى انتشارها وإطلاع الوزارات على ما يهمها من ذلك

الفصل الرابع عشر

نقابة الصحفيين المصرية

منذ عشرات السنين حاول الصحفيون المصريون والمتمصرون تأليف نقابة لهم، وقد وفقوا بعض التوفيق في إنشاء بعض النقابات الحرة التي لم تعترف بها الحكومة، أو التي لم يصدر في شأنها قانون، وفي ١٩٤١ أصدرت وزارة حسين سري باشا القانون رقم ١٠، بعد أن مهدت إلى ذلك بتأليف لجنة تولت إدارة شئون الصحفيين وقبولهم. وقد انتخب حضرة الشيخ المحترم الأستاذ محمود أبو الفتح أول نقيب للصحفيين في العهد الجديد، وكان جبرائيل تقلا باشا صاحب الأهرام نقيبا في عهد النقابة الحرة، ورئيسا للجنة الممهدة للقانون المشار إليه.

هذا وقد أذاعت محطة الإذاعة في إذاعتين إحداهما صباح الجمعة ٢ مايو ١٩٤٧ والأخرى مساء الأحد منه حديثين على جانب عظيم من

الأهمية أحدهما للشيخ المحترم الأستاذ محمود أبو الفتح والآخر للأستاذ مصطفى سكرتير النقابة، جاء فيهما:

حديث الأستاذ محمود أبو الفتح

"أنشئت نقابة الصحفيين بموجب القانون رقم ١٠ سنة ١٩٤١ ومن أحكامه ونصوصه ألا ينضم إلى النقابة، ولا يقبل بين أعضائها ممن احترفوا الصحافة من قبل أو يفكرون في احترافها إلا من توفرت لهم خبرة فنية أو مؤهلات علمية وأخلاقية. وتؤلف الجمعية العامة للنقابة ممن توفر فيهم هذه الشروط وتوافق على عضويتهم لجنة الدول المؤلفة برئاسة سعادة رئيس محكمة الاستئناف وعضوية سعادة النائب العام مع مستشار آخر من المستشارين ومندوب عن وزارة الداخلية ونقيب الصحفيين.

والجمعية العامة للصحفيين هي التي تنتخب اثني عشر عضوا يؤلف منهم مجلس النقابة. ثم ينتخب المجلس من بين أعضائه الاثني عشر: النقيب الذي يرأس النقابة، والوكيلان، والسكرتير، وأمين الصندوق.

وتمتاز نقابة الصحفيين بأنها تجمع بين أصحاب الصحف والمحررين، وأن مجلس إدارتها يمثل كل فريق من الفريقين بنصف أعضائه. وقد عمل الفريقان منذ إنشاء النقابة إلى الآن بروح التضامن والتآزر والتعاون، فاستطاعت النقابة وضع لائحة لاستخدام أعضائها تضمنت كثيراً من المزايا التي لم ينص عليها في لوائح وقوانين العمل

الخاصة بالطوائف الأخرى، ووضعت لائحة لتنظيم صندوق الإدخار الخاص بأعضائها، ولائحة داخلية للنقابة وفروعها واستصدرت من الحكومة قانونا بربط إعانة سنوية للنقابة، وإعانة مستقلة أخرى للإدخار، كما استصدرت قرارا آخر من الحكومة قانوناً بربط إعانة سنوية للمقابلة، وإعانة مستقلة أخرى للادخار، كما استصدرت قرارا آخر من الحكومة بالتنازل عن نحو ألفي متر مربع في وسط القاهرة تبنى عليها دار خاصة للنقابة تتجاوز مع مبنى نقابة المحامين، ومبنى نادى القضاة.

وقد اشتركت النقابة، وستشترك أيضا في كثير من المؤتمرات الدولية التي عقدت في أمريكا وفي أوروبا وفي مصر، فرفعت اسم مصر، ومثلت النهضة المصرية، والصحافة المصرية أحسن تمثيل.

وتناول نشاط النقابة إنشاء ناد خاص بحضرات أعضائها يتردد عليه رؤساء الهيئات والأحزاب المحلية والأجنبية من أبناء البلاد، أو من ضيوفها الذين يتوافدون عليه من الغرب والشرق، وقام بعض حضرات الوزراء بالتحدث إلى الأعضاء في النادي عن برامج أعمالهم في وزارتهم أو عن رحلاتهم، وتتوافد جميع طبقات الأمة على النادي كذلك لسماع ما يلقى فيه من محاضرات في مختلف نواحي الثقافة والاجتماع والفن والأدب.

ومع أن نقابة الصحفيين لم يمض على إنشائها أكثر من ست سنوات، فقد سبقت في ميادين العمل لمصلحة أعضائها والمصلحة

العامة كثيرا من النقابات التي سبقتها إلى الوجود بعشرات السنوات. على أننا مازلنا بمعاونة جميع الأعضاء، وبفضل التضامن والتآلف بيننا جميعا نعمل لتحقيق كل ما ينشده الجميع لنقاباتهم، وما فكروا أو يفكرون في تحقيقه من مشروعات وآمال لمصلحة المهنة وأبنائها، وإن ما نلقاه من عطف وتشجيع حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم مما يضاعف نشاطنا دائما ويحقق آمالنا. فقد تفضل حفظه الله وشمل النقابة وأعضاءها بعطفة الكريم وفي كثير من المناسبات. ويحظى أعضاء النقابة بشرف الدعوة إلى حفلات القصر العامر، ولهم مكان ممتاز في التشريفات الملكية.. حفظ الله جلالته ذخراً للأمة والوطن"

* * *

حديث الأستاذ مصطفى القشاشي

سكرتير النقابة

أشار حضرة الشيخ المحترم الأستاذ النقيب محمود أبو الفتح إلى أعمال نقابة الصحفيين وإلى أثر نادي الصحفيين في النهضة الثقافية الاجتماعية بالإجمال. ولما كان الكثيرون يجهلون كثيرًا من العمال التي حققتها النقابة منذ إنشائها أو الأهداف التي حققها النادي المتفرع من النقابة، نقول أن نقابة الصحفيين منذ انتخبت مجلس إداراتها الأول في الجمعية العامة الأولى التي عقدت برئاسة سعادة يس أحمد باشا في قاعة محكمة الاستئناف الأهلية جعلت شعارها العمل لمصلحة الصحف

ولمصلحة أعضاء الأسرة الصحافية على اختلاف ألوانهم الحزبية والسياسية؛ فاستطاعت النقابة أن تحقق كثيرا من أهداف ورغبات أعضائها رغم عدم الاستقرار السياسي بسبب ظروف الحرب، وكان انصراف النقابة إلى العمل للمصلحة العامة وحدها من أسباب معاونة الوزارات المختلفة لها، وفحصت من وزارة رفعت النحاس باشا على تنازل عن أرض تشيد عليها النقابة داراً خاصة بها وعلى امتياز بإعفاء تليفونات الصحف من المحاسبة على المكالمات الزائدة على المقرر، كما استصدرت منها قانوناً بربط الإعانة السنوية للنقابة، وقراراً بإعانة خاصة لصندوق الادخار، وامتيازاً بتخفيض ٧٥ في المائة من أجور السكة الحديدية للأعضاء وأمر سعادة فؤاد سراج الدين باشا عندما كان وزيراً للداخلية بالاستيلاء على نادي قصر النيل وتسليمه إلى نقابة الصحفيين وهو النادي الحالي للنقابة.

وفي عهد وزارة المغفور له أحمد ماهر باشا اعتمد معالي مكرم عبيد باشا بصفته وزيراً للمالية إعانة خاصة للنقابة قدرها عشرة آلاف جنيها لمبنى النقابة، وقررت وزارة المعارف مساواة أبناء الصحفيين بأبناء المدرسين في امتيازات التعليم.

وفي عهد وزارة دولة النقراشي باشا زيدت الإعانة السنوية المقررة للنقابة والإعانة السنوية للادخار، وتقررت إعانة سنوية خاصة من وزارة المعارف لنادي النقابة في مصر واعتمدت عبد المجيد بدر باشا بصفته وزيراً للمالية مبلغ خمسة آلاف من الجنيهات لتكملة مبنى النقابة، ووافق

دولة النقراشي باشا كذلك على عدم التصريح بإصدار صحف جديدة أو إسناد رئاسة تحرير صحف قبل استشارة النقابة مع الأخذ برأيها، وعلى أن تشترك النقابة مع وزارة الداخلية في تعديل قانون المطبوعات.

وعندما كان سعادة الأستاذ عبد الرحمن البيلي وزيراً للمالية اعتمد إعانة سنوية خاصة لفرع النقابة بالإسكندرية.

هذا عن الصلة بين الحكومة والنقابة. أما الصلة بين الصحف ومحرريها فقد بذلت النقابة ومازالت جهوداً كبيرة لتخفيف أعباء العمل عن أعضائها مع توفير جميع الوسائل الأدبية المادية للأعضاء بما يتفق وكرامة العمل الصحفي والمظهر الاجتماعي الواجب لأعضاء النقابة في هذا العصر. فكل صحيفة ملزمة الآن نحو عضو النقابة الذي يعمل بها بأن تدفع له مرتبه الشهري المتفق عليه مع علاوات الغلاء المقررة، ومع نسبة قدرها اثنان ونصف في المائة من المرتب تودع من الصحيفة باسم المحرر شهرياً في صندوق الادخار بالنقابة.

هذا وصندوق الادخار في النقابة يؤدي لمشتركيه من الأعضاء خدمات جليلة منها قروض لمدد طويلة جداً بفوائد ٢ في المائة فقط والأعضاء الذين طرأت عليهم ظروف أقعدتهم عن العمل تسرف لهم إعانات تتناسب مع ظروفهم وحالاتهم، وجميع دخل الصندوق من الأرباح أو التبرعات يوزع على مشتركيه في آخر كل عام أو يضاف إلى الأرصدة الخاصة بهم.

وفي المواسم والأعياد تقررت أيام عطلة لأعضاء النقابة فوق العطلة الأسبوعية المقررة الآن أيضاً، وفوق مدة الأجازة المقررة سنوياً. وأخذت المحاكم بما قررته لائحة العمل الصحفي من صرف شهر مكافأة للمحرر عن كل سنة يقضيها بالعمل بالصحيفة.

ويهتم مجلس النقابة الآن بتقريب وجهة النظر أصحاب الصحف مع وجهات نظر المحررين فيما يتعلق بنظام المعاشات والمكافآت المقترح.

أما نادي النقابة فقد بدأ مع النقابة صغيراً في شقة متواضعة بعمارة إيموبليا ثم أصبح الآن من أفخم أندية القاهرة، وفي الأزهر مكان بأكبر شارع من شوارعها، وأعضاء النقابة يعتزون بناديهم ويقضون فيه أوقات فراغهم.

وأعضاء الهيئات الرسمية والاجتماعية والأدبية يتوافدون على النادي لسماع ما يلقى فيه بين وقت وآخر من محاضرات وأبحاث في الأدب والاجتماع والفن. أو الحفلات التي تقام في النادي بمناسبة المواسم القومية أو الأعياد الملكية يترقب الشعب إذاعتها، حيث يشترك فيها مشاهير أهل الفن، ويسودها النظام الكامل والتنسيق الجميل.

وكذلك الحفلات التي يقيمها النادي في الأوبرا الملكية يتفضل حضرة صاحب الجلالة الملك ويشملها برعايته السامية، وتنفد تذاكرها قبل مواعيدها بأسابيع.

ويقيم النادى مآدب شهرية خاصة بأعضاء النقابة لا يحضرها سواهم، وفي هذه الحفلات العائلية يتسامر الأبناء الأعضاء كأبناء أسرة واحدة، وكأنهم يعملون في صحيفة واحدة.

وقد بدأت النقابة بإنشاء دارها الجديدة، وسيكون النادي الجديد في النقابة الجديدة مزوداً بكل ما يحتاج إليه أعضاء النقابة سواء للعمل أو للراحة.

الأسلوب الصحفي

اتخذ الأسلوب الصحفي في مصر، منذ القرن الماضي، صوراً عديدة من الشعر والنثر والزجل واللغة العامية واللغة المصرية، ومحاكاة الأسلوب الصحفي الأوروبي، أعني أن الأسلوب الصحفي المصري قد تقلب تبعاً لنهضة البلاد ونهضة الصحافة نفسها، وللأزمات السياسية، ونشوء الأحزاب والبرلمان، والثورة المصرية، وقد أدى هذا كله إلى طائفة من المهاترات والجدل المقبول والحملات الطائشة، شأن كل نشاط، وكل جديد.

وقد أدى هذا إلى محاكمات صحفية جديدة؛ فحوكم المغفور له السيد علي يوسف باشا شيخ الصحافة الأول لنشره برقيات عن حملة فتح السودان في القرن الماضي، وحكم ببراءته، وحوكم المغفور لهما محمد فريد بك الرئيس الثاني للحزب الوطني، والشيخ عبد العزيز شاويش لمقالاتهما في جريدة اللواء لسان الحزب الوطني. وحوكم بعد

ثورة ١٩١٩ صحفيون عديدون وأغلقت جرائدتهم. وكانت هذه المحاكمات ثأراً لأبلغ مرافعات المحامين المصريين عن حرية الصحافة، كما أبانت عن نزاهة القضاء المصري وميله إلى تقرير مبادىء الحرية الصحافية والنقد البريء، وجنوحه بعدئذ إلى المعاقبة على الحملات الصحافية القاسية، وقد اختلفت الحكومات والأحزاب المصرية ضيقاً وسعة، وخفة وشدة، في تقديم الكُتَّاب للمحاكمة.

الصحافة في السودان

كان السودان منذ عهد الخديوي إسماعيل إلى اليوم يعتمد في غذائه الإخباري والأدبي والصحفي على الجرائد اليومية والمجلات المصرية، فلا تزال خاصة القراء هناك على الأقل تترقب في شوق ما تأتي به صحف مصر ، وبخاصة حين تتناول شئون السودان بسطاً وتنقيباً. وكان أول عهد السودان بالصحف، حين أنشأت حكومة السودان جريدة الغازيتة السودانية، الجريدة الرسمية، ونشرت في أول أعدادها نص اتفاق ١٨٩٩، وكذلك كانت الغازيتة العسكرية للجيش المصر تطبع في الخرطوم حين كان بها الجيش والسردار.

بعد هذه رأت (إدارة جريدة المقطم والمقتطف في القاهرة) أن تصدر صحيفة في الخرطوم، فأنتدبت من تحريرها الأستاذين (خليل ثابت بك) و(لبيب الجريدينى) فصدرت جريدة (السودان) ذات وجهين: عربي وإنجليزي، وكانت صورة ثانية للمقطم في تحريره وامتدادا لنظرته السياسية مستبغة بالصبغة المحلية مطبوعة بالطابع الإقليمى، وقد عنيت

بنشر الثقافة العربية وإفساح المجال لطائفة من الأدباء النازحين والوطنيين، إلى جانب اهتمامها بالشئون الاقتصادية مما كان موضع اهتمام حكومة الحاكم العام على اختلاف رؤسها وتباين أوضاعها، وكانت تصدر في الأسبوع مرتين.

وفي ١٩٠٩ أصدر أسعد أفندي يسى صحيفة (المساح) وقد أجتيحت وشيكا ولحقت بها بعد قليل مجلته الدينية المسيحية (كشكول المساح) وكان المساح قد جاء الخرطوم مراسلا لجريدة (الظاهر) المصرية التي كان يصدرها المرحوم محمد أبو شادي بك.

وفي ١٩١٢ استطاع الأديب السيد عبد الرحيم قليلات، الموظف يومئذ بمصلحة الوابورات، إقناع (صاولو خريستانثو) أصحاب مطبعة فكتوريا وأصحاب (رائد السودان – أو – سودان هرالد) كانت تصدر بالإنجليزية واليونانية. في إصدارها أيضاً باللغة العربية تحت رئاسته إلى جانب (السودان) وقد أشرف الأستاذان: فؤاد الخطيب – وكان مدرساً للآداب العربية بكلية غردون – وجميل الرافعي. لكن السلطات البريطانية هناك لم يرقها مقالاته؛ فأمرت بإبعاده من السودان، وقد خلفه بعدئذ الأستاذ جميل الرافعي، فالأستاذ توفيق وهبي، فالأستاذ حامد سعفان، ثم رؤي من يقوم بتحريريها، وهو السيد حسين الشريف، مدرس اللغة العربية. وكان كاتبا أديبا صريحاً كتب سلسلة مقالات في جريدة (الرائد) التي كان يرأس تحريرها تحت عنوان (شعب بلا جريدة كقلب بلا لسان)، وبعد احتجاب (الرائد) أصدر جريدة (حضارة السودان)

في ٢٧ فبراير ١٩١٩ أي في أتون الثورة المصرية التي أعقبت إعلان عقد هدنة الحرب العالمية الأولى في ١١ نوفمبر ١٩١٨. وقد تم يومئذ إنشاء شركة مساهمة عمادها تجار يرأسهم سعادة السيد عبد الرحمن المهدى باشا، غير أنها أخفقت، واحتجبت الجريدة، لتظهر مرة أخرى ليحمل امتيازها زعماء السودان: سعادة السيد علي المرغني باشا، والسيد عبد الرحمن المهدي باشا، والمرحوم الشريف يوسف الهندي. وكانت (الحضارة) تصدر نصف أسبوعية واقتنت مطبعة جريدة السودان، حين قررت (إدارة المقطم والمقتطف) حجبها عن الصدور، معينة محرررها الأول الشيخ المحترم الأستاذ خليل ثابت بك، رئيسا لتحرير (المقطم) في ١٩٢٥، ثم باعت (الحضارة) هذه المطبعة إذ تعاقدت مع دار الطباعة المعروفة باسم (مكروكوديل) التي كانت تطبع مطبوعات حكومة السودان، ولما مرض الأستاذ حسين شريف ناب عنه الأستاذ عبد الرحمن أحمد الذي كان يومئذ مدرس في مدرسة الخرطوم الابتدائية، إلى أن توفي الأول في ٥ يونيه سنة ١٩٢٧. وخلفه الأستاذ الشيخ أحمد عثمان القاضي الذي كان مدرسا فقاضيًّا شرعيًّا فداعية وطنياً مع مصر؛ ثم رأى –كما يقول – أن يترك الحالة السلبية، وأن يكون عاملاً إيجابيا مساهماً في التحرير. وكان يقوم برحلات إلى مصر ومديريات السودان، على نفقة إدارة الأمن العام. وبعد أن احتجبت هذه الجريدة، سار مراقباً للصحف العربية في خلال الحرب، ثم عضوا مؤسساً لحزب الأمة الذي ينادي بالاستقلال التام عن مصر.

وفي سنة ١٩٢٨ أصدر التاجر سليمان داود منديل أفندي (الجريدة التجارية) الأسبوعية وبدل اسمها في سنة ١٩٣١ إلى (ملتقى النهرين) وكانت مندمجة مع الحضارة في بعض الأعوام منذ سنة ١٩٣٤.

وفي سنة ١٩٣٢ ظهرت مجلة (النهضة السودانية) لمحررها المرحوم محمد عباس أبو الريش، ومجلة دورية كشفية كانت تصدرها (لجنة الكشافة في كلية غوردن) التي أصدرت لنفسها منذ سنة ١٩٣٢ (مجلة كلية غوردن) يحررها أستاذتها وطلبتها. وفي ١٩٣٣ صدرت مجلة مرآة السودان نصف شهرية للأستاذ سليمان كشة. وفي أول يونيه سنة ١٩٣٤، صدرت مجلة الفجر لمحررها المرحوم الأديب عرفات عبد الله، وكان من أعضاء جمعية اللواء الأبيض التي قامت بالثورة الوطنية ضد الإنجليز ولمصلحة مصر ١٩٢٤، ومات عرفات في ١٩٣٦ بذات الرئة.

وفي ١٩٣٤ أصدر الشيخ عبد الرحمن أحمد المدرس سابقا، جريدة (السودان) على مثال (حضارة السودان) تقريبا، وقد احتجبت بعد بضع سنوات، لكثرة النفقة ورفض الحكومة إعانتها.

وفي ١٩٣٥ صدرت للمرة الأولى جريدة يومية في السودان هي جريدة النيل أصدرتها شركة الطباعة والنشر المساهمة بالسودان التي

كانت يومئذ مؤلفة من السيد عبد الرحمن المهدي باشا، ومسيو كونتو مخلوص، والسيد مصطفى أبو العلا.

ثم صدرت جريدة (المؤتمر) وجريدة (السودان) وجريدة الأمة لسان حزب الأمة منذ سنة ١٩٤٥، وجريدة الرأي العام ومجلة السودان الجديد، والرائد، والشباب، وجريدة الأشقاء لسان حزب الأشقاء، وهو الحزب الذي ينادي بوحدة وادى النيل تحت التاج المصري.

تاريخ المطبعة العربية

يبدو أن تاريخ إعداد المطبعة الأولى التي تستخدم الأحرف العربية، لا يزال غامضا فعند بعض المؤرخين أنها ترجع إلى القرن الرابع عشر الميلادي، وثمة من يزعم أن أول مطبعة عربية تأسست في روما سنة ١٥١٤م، وأن هذه المطبعة قد طبعت خلال القرن السادس عشر عدة من الكتب العلمية إلى جانب الكتب الكثيرة المتعلقة بالديانة المسيحية. وكانت من جملة هذه الكتب: الكافية لابن الحاجب، والقانون في الطب لابن سينا، و تحرير أصول إقليدس فى الهندسة لنصير الدين الطاوسي. ولا مجال للشك في أن هذه الكتب المطبوعة كانت ترسل إلى الأسواق الشرقية، وتباع فيها [١]

ومما يؤيد ذلك، أن التواريخ العثمانية تذكر فرماناً صادراً من السلطان مراد الثالث بسنة ست وتسعين وتسعمائة هجرية، أي سنة ثمان

---

[١] الحملة الفرنسية والنهضة المصرية للأستاذ سامح الحصري .

وثمانين وخمسمائة بعد الألف ميلادية – يأمر الولاة والقضاة والحكام والأمراء – في جميع أنحاء السلطنة – بإباحة توريد وبيع (الكتب المعتبرة المطبوعة بالعربية أو الفارسية)، وكان هذا الفرمان قد صدر بناء على عريضة قدمها التاجران المسميان (برانتون) و(أوراسيو ولدباندينى)، ومما يجدر بالذكر أن نص الفرمان مطبوع في ذيل كتاب الهندسة الآنف الذكر، ويستفاد من غلاف الكتاب[٢] أنه طبع في روما سنة **١٥٩٤** ميلادية، أي قبل مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر بمدة تزيد عن قرنين كاملين!

وأما في القرن السابع عشر فقد زاد عدد المطابع العربية في مختلف البلدان الأوروبية، ومن المؤكد أنه كان يوجد عندئذ أمثال هذه المطابع في البندقية، ولندن، وفيينا أيضاً.. ثم إن الطباعة بالحروف العربية كانت قد دخلت عاصمة الدولة العثمانية أيضاً، قبل مجىء الحملة الفرنسية إلى مصر بمدة تقرب من ثلاثة أرباع القرن، وكان بين الكتب التي طبعتها أولا (دار الطباعة) المؤسسة في (البلدة الطيبة قسطنطينية، صانها الله عن الآفات والبلية) المعجم المعروف باسم (صحاح الجوهري)، وقد تم طبع الكتاب المذكور – مع ترجمته إلى التركية – سنة **١١٤١** هجرية أي **١٧٢٩** ميلادية. وكان بين الكتب التي طبعت في السنة التالية (تاريخ) عنوانه (درة اليتيمة في أوصاف مصر القديمة)

---

[٢] صورة فوتوغرافية

وضعه (السهيلى) من كتاب (ديوان مصر القاهرة) [1] وقد طبع هذا الكتاب – مع رساله مذيلة له بقلم لمؤلف نفسه عن (تاريخ مصر الجديدة) سنة ١١٤٢ هجرية، المقارنة لسنة ١٧٣٥ ميلادية.

ويبدو أن السفارة الفرنسية نفسها كانت أسست في القسطنطينية مطبعة تطبع بالحروف العربية، قبل الحملة الفرنسية على مصر بمدة غير قصيرة، وقد طبعت هذه المطبعة – سنة ١٧٨٦ –كتاباً عنوانه (أصول المعارف – في ترتيب الأوردو – وتحصينه مؤقتاً – من تأليف مهندس ده لافيت قلادة المرسل من طرف فرنسا للدولة العلية العثمانية، والمعلم في المهندسخانة الكائنة بدار السلطنة السنية)

وعلى غلاف الكتاب عبارة تصرح بأنه طبع (بدار الطباعة الكائنة في بيت دولة الفرنساوية – في قسطنطينية سنة ١٢٠١[1] ، وكانت توجد مطبعة عربية واحدة في حلب وأخرى في آشور وبعض المكتبات العامة تحتفظ بإنجيل عربى مطبوع في (مدينة المحمية سنة ألف وسبعمائة وستة مسيحية)

يبدو من ذلك أن المطبعة التي أتت بها الحملة الفرنسية إلى مصر لم تكن أول المطابع العربية، حتى في البلاد العربية نفسها. ومما يجدر بالذكر في هذا الصدد أن (فرانسو شارل برو) ألف كتبا عن حكم نابليون

---

[1] Idem – page 70,71

[1] صورة فوتوغرافية Idem 37 in vesika

في مصر، يعترف بذلك صراحة، إذ يقول – عندما يذكر زيارة بعد المصريين إلى المطبعة التي أتت بها الحملة الفرنسية – أن الشيخ محمد الفاسي الذي كان شاهد مطبعة القسطنطينية والسوريين الذين كانوا يعرفون المطبعة الموجودة في دير ماروني بلبنان، سلمه بأن مطبعة القاهرة كانت أرقى منهما

على أنه ينبغي أن نذكر أن المطبعة العربية التي جاءت بها الحملة الفرنسية إلى مصر، كان الغرض منها طبع الأوامر والمنشورات والتنبيهات التي تصدر إلى الجمهور المصري، أي لم تطبع بها أية كتب علمية، وهذا ليس صحيحًا أن المطبعة العربية التي أتت إلى مصر مع الحملة الفرنسية بقيت في مصر بعد جلاء جيوش الحملة وأنها سارت بعدئذ أساساً لمطبعة بولاق الشهيرة في عهد محمد علي الكبير؛ ذلك لأن المطبعة المذكورة لم تبق في مصر، بل إنها أعيدت إلى فرنسا – مع الجيش ومعداته – عند الجلاء[١] .

وأما مطبعة بولاق؛ فمن المؤكد أنها جلبت في عهد محمد علي بإيطاليا، على يد شاب وهو (نيقولا مسابكي) من بيروت [٢] ونعود فنذكر هنا أن تلك المطبعة لم تكن أول مطبعة تطبع بالحروف العربية، ولا كانت أول مطبعة تطبع باللغة العربية؛ فإن الطباعة العربية كانت قد خرجت إلى حيز الوجود في أوربا منذ قرون، حتى أن نابليون نفسه قد نقل المطبعة

---

[١] ابراهيم عبده – تاريخ الوقائع المصرية – ص ١٤

[٢] – ابراهيم عبده – ص ٣٠

المذكورة من روما، كما أن القائم على المطبعة كان من أبناء العرب المقيمين في روما، كان من أهالي ديار بكر، وأما ما اسمه فكان فتح الله.

الفصل الخامس عشر

الصحافة في البلاد العربية

في كل من لبنان وسوريا وشرق الأردن وفلسطين والمملكة العربية السعودية صحف تختلف حجماً وأهمية، والصحف في الجمهوريتين السورية واللبنانية كثيرة جداً ومتزاحمة جدًّا، ومنها: التلغراف، والأفكار، والدبور، ولبنان، وسوريا، والرافدين، والقبلة، وعملة، والأردن، والأرز، والوفاء، وفلسطين، والنهار، والمقتبس، والجامعة، والقبس، والكفاح، وألف باء، ودمشق، والعلم العربي، والرابطة العربية، والرابطة الإسلامية، والنضال، والاستقلال العربي، والفكر العربي، والنذير، والتقدم، والحديث، والعاصي، والشباب، والجمهورية، والضحى، والنواعير، والتمدن الإسلامى، والأيام، والبعث، والفتى العربي. والأستاذ تقي الدين الصلح هو نقيب الصحافة في لبنان، وكان نائبا لوزير لبنان المفوض في القاهرة

في المملكة العربية السعودية

تصدر في المملكة العربية السعودية الصحف التالية: أم القرى، المدينة المنورة، الحج، المنهل، البلاد السعودية. ومما يذكر أن الصحافة هناك قد تقدمت في الأعوام الأخيرة تقدماً محسوساً.

الصحافة في العراق

الرأى السائد أن أول صحيفة عربية في الشرق العربي هي (الوقائع المصرية) كما سبق القول، ولكن هناك رأي حديث يقول إن هناك صحيفة عراقية سبقت الوقائع في الصدور، تلك هي الصحيفة التي عرفت باسم (جورنال العراق) التي أسسها داود باشا الكرجي وزير بغداد وكان ذلك سنة ١٨١٦ م وكانت تطبع في مطبعة حجرة باللغتين: العربية والتركية، وكانت تنشر أنباء العراق وأخبار السلطة العثمانية ووقائع القبائل وقوانين وأوامر الوالي وشئون الموظفين وأخبار الخارجية، وكانت توزع على قواد الجيش وكبار المدينة وأشراف بغداد، وتُعلق على جدران دار الإمارة نسخ منها ليطلع عليها الجمهور[١] ومع أن هذه الصحيفة لم يعثر على نسخة منها إلا أن بعض الرحالين الإفرنج أشاروا إليها في كتبهم.

ومن المعلوم أن نهضة الصحافة اقترنت بنهضة الطباعة، ولهذا يسجل التاريخ المجد لمدحت باشا الذي عينته الدولة العثمانية واليًّا على العراق سنة ١٨٦٨ وكان قد ذهب إلى أوربا وشاهد المدنية الغربية

---

[١] روفائيل بطى منبر الأثير ص ٢٣ ج ٣ السنة الأولى

الحديثة ووقف على كثير من أسباب النهضة الأوربية، ويعبر عهده فجراً لتاريخ نهضة العراق الحديثة. ومع أن مدة ولايته لم تتجاوز ثلاث سنوات إلا أنه قام بمشروعات إصلاحية كثيرة، فأنشأ بعض المدارس العسكرية والمدنية، وأنشأ بعض المصانع، وهو أول من جلب آلة الطباعة إلى بغداد، وسميت (مطبعة الولاية)، وكانت تطبع بها صحيفة (الزوراء) التي يعتبرها جمهور العلماء أول صحيفة عراقية، وكان صدورها سنة ١٨٦٨، وكانت الجريدة الرسمية تصدر مرة واحدة في الأسبوع باللغتين العربية والتركية، وكان يحرر القسم العربي فيها الشاعر الفليسوف جميل صدقي الزهاوي، وفي الوقت نفسه كان مديراً لمطبعة الولاية، وتلتها جريدة الموصل سنة ١٨٨٥، ثم البصرة سنة ١٨٩٥، ثم احتجبت هذه الصحف تدريجا بين عام ١٩١٥ وعام ١٩١٨ على أثر الاحتلال البريطاني.

ولما صدر الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ وتقلص ظل الاستبداد الذي شمل العراق منذ أوائل العهد التركي، أخذ أصحاب الآراء الحرة يهتمون بالصحافة اهتمامهم بألوان الأدب: شعره ونثره، إذ ساد الشعر السياسي والشعر الاجتماعي.

ومن آثار الحرية التي تنفس العراق عبيرها بعد إعلان الدستور العثماني، أن صدرت زهاء سبعين جريدة خلال ثلاث سنوات، وبعد الاحتلال الإنجليزي صدرت جرائد الأوقات العربية. والأوقات العصرية والعرب ودار السلام والنادي العلمي والسليماني.

وفى عهد الحكم الوطني صدرت: الزمان، والشهاب، وصدرت الأهالي، والأوقات العراقية، والأخبار، والشعب، والرأي العام، والساعة، والنداء، والحوادث، والعراق، والبلاد، ومجلات: العلم الجديد، والرابطة، ومنبر الأثير، والحضارة، والزهراء، وعالم الغد.

الصحافة في مراكش

أصدرت الحملة الإسبانية حين احتلت قطون سنة ١٨٦٠ صحيفة باسم El Eco de tetuan (صدى تطوان)، فهي شبيهة بالصحف التي أصدرها الجنرال بونابرت في حملته المصرية، وقد أنشئت لنشر أنباء الحرب وتغذية الجيش بالأخبار، ثم توقفت عن الصدور بعد الجلاء.

ومنذ اتجهت الأنظار إلى مدينة طنجة المواجهة لجبل طارق حيث كثر الأوروبيون في القرن التاسع عشر وانتشرت أساليبهم واستقرت بعثاتهم التجارية وهيئاتهم السياسية، قصدها الصحفيون للاستعلام عن أمر هذه الدولة التي أحدثت كل هذا الضجيج بين دول أوروبا، وكانت مهمة الحصول على أخبارها الصحيحة مهمة شاقة، نظراً لخلوها الصحفي فكانت أخبارها تضيع في أمواج الزمن – كما قال مراسل اسكتلندي – وصارت شؤونها محفوفة بالغموض في صحف أوروبا، التي تهم البلاد معرفتها وتبشر بالدستور والتعليم والإصلاح الحكومي والقضائي والمالي والعسكري وكل الإصلاحات التي تحتاج إليها الدولة والأمة.

وكان السلطان عبد الحفيظ يقدر هذه الصحافة كل التقدير ويحوطها برعايته ويفهم أهميتها وضرورتها، بل إنه أنشأ إلى جانبه مصلحة للصحافة توافيه كل يوم بالمقالات والبرقيات التي تنشرها الصحف الأوروبية فيما يتعلق بسلطته وكانت الصحيفة التي تقاوم هذه الحركة هي صحيفة (السعادة) أنشئت سنة ١٩٠٤ للتبشير بحسن نية الفرنسيين وسمو أغراضهم وعظمتهم في عالم الحضارة وخطورة شأنهم في عالم الحرب والسياسة، وقد كتب للشعب الفرنسي لهذا كله أن يزحف ويتملك ويستعمر، وقد ظلت هذه الصحيفة تصدر وحدها بعد أن عصفت الحماية بالاستقلال وحركة الإصلاح.

وقد تمتعت تلك الصحف الأولى بكامل حريتها، فنشرت ما شاءت دون رقيب ولا إنذار ولا تعطيل، ولا يحفظ التاريخ لنا إلا حادثة بسيطة. ولا تكاد تذكر، وهي أن صحف طنجة هذه لما أسرفت في حملتها على الحكومة الوطنية وممثلي الدول الأوروبية سنة ١٨٨٥ أنذروها وزير الخارجية السيد محمد الطريس بالإغلاق إذا هي لم تقلع عن ذلك وأرسل الإنذار إلى الصحف جميعاً .

وكان العائق الرئيسى في سبيل صدور الصحف باللغة العربية هو ندرة المطابع، فلما جاءت الحماية أصبح العائق شيئاً آخر فهناك دعوة معينة يجب أن تبشر بها الصحيفة إذا أرادت، ولكن لحسن الحظ أو لسوء الحظ لم تصدر بعد ذلك صحيفة عربية في مراكش إلا بعد زمن طويل، مع استثناء الصحيفة الرسمية التي صدرت في أول إبريل سنة

١٩١٣ مفتتحة حياتها بنص الرسالة التي تنازل بها آخر سلاطين مراكش المستقلين عن العرش [١].

وبينما ظلت صحيفة الحماية العربية تصدر وحدها، صدرت إلى جانبها عشرات من الصحف الفرنسية، وعددها حتى أصبح لكل مدينة صحيفة محلية على الأقل باللغة الفرنسية.

ومن بين القضايا العديدة التي واجهت البلاد بعد الحماية قضية حرية الصحافة، وهي قضية لا تزال قائمة إلى اليوم، وتساءل عنها الشعب فقيل له إن ظروف الحرب (١٩١٤) قد أحاطت كل صحف العالم بالقيود، فلما انجلت الحرب طالبت جموع الشعب المتظاهرة بحرية الصحافة التي سلبها النظام الجديد[٢] .

لم تطق البلاد صبراً على هذا الحرمان؛ فبدأت تصدر صحف سرية تنشر مقالات شديدة عنيفة ضاقت بها السلطة دون أن تستطيع العثور على ناشريها، وظل الأمر على ذلك زمناً طويلا إلى أن بدا الصدام الحقيقى بين المحميين والحامين، فانطلقت الثورة من عقالها سنة ١٩٣٠ وانتشر الصحفيون المراكشيون في فرنسا يروون في صحفها ما يشبه الأساطير المخيفة عن حوادث هذه البلاد . ثم أصدروا صحيفة

---

[١] كتاب الدرر الفاخرة للمؤرخ المراكشى عبد الرحمن بن زيدان صفحة ١١٨

[٢] من تقرير سرى رفعه المارشال ليوطى إلى حكومته سنة ١٩٢٠

فرنسية باسم Maghreb في باريس ليلقوا النور على ما يحيط بأمر بلادهم من خفاء.

على أن الحماية الإسبانية المفروضة على جزء صغير من مراكش كانت أرحب صدراً؛ فسمحت بإصدار صحف، وكانت هذه المدينة تتمخض عن حركة إصلاحية واسعة تستدعي أن يكون لها لسان تعد به الشعب لفهم نواحي الإصلاح.

على أن المستر أبرانيز– وأصله من جبل طارق – أخذ على نفسه أن يضع نهاية لهذه الحال، فأسس في المدينة مطبعة سنة ١٨٨٠ وأصدر صحيفة أسبوعية باللغة الإسبانية باسم (المغرب الأقصى) ثم أصدرت المطبعة صحيفة أخرى فرنسية صاحبها ومحررها من أبناء مراكش الإسرائيليين يدعى (ليفى كوهين) وفي ٥ يوليو سنة ١٨٨٤ صدرت أخرى بالإنجليزية، ثم أخرى بالإسبانية وقد صدرت إلى جانب ذلك صحف أخرى هكذا عرفت مراكش الصحافة، وسرعان ما تأثرت اللغة العربية بهذه النهضة الصحفية، فصدرت أول صحيفة فيها باسم (المغرب) سنة ١٨٨٩ كما صدرت صحيفو عربية أخرى سنة ١٨٩١ ذات ميول إسرائيلية..

كانت مدينة طنجة في ذلك الوقت ملتقى لحركتين كبيرتين: الأولى الحركة الوطنية التي كانت تحاول أن تنقذ البلاد من التردي في الهاوية التي كانت توشك أن تبتليها. والثانية: الحركة الاستعمارية التي كانت

تعمل على تقويض دعائم الاستقلال.. وكانت الحركتان قويتين نشيطتين؛ فحاولتا أن تستفيدا من هذا السلاح الجديد الذي وجد في البلاد.

وصدرت صحف وطنية كثيرة نذكر منها جريدة (لسان المغرب) تدعو إلى الإصلاح وتنشر الأخبار.

الصحافة في أوروبا

كان من مآثر اضطهاد الحكام المستبدين في الشرق العربي ومصر في عهد السلطة العثمانية البائدة، أعني إمبراطورية آل عثمان، أن رحل إلى أوروبا – خاصة إلى فرنسا وإنجلترا – نفر من الأحرار، أكثرهم من المثقفين والأدباء، ومنهم من كان يزاول الصحافة، كحرفة أو أداة للدفاع عن المبادىء الصحفية، مبادىء الحرية والاستقلال والخلاص من الظلم والاستبداد، فإلى فرنسا وإنجلترا رحل السيد جمال الدين الأفغاني، وتبعه تلميذه وصفيه المختار الإمام الشيخ محمد عبده، وأصدر جريدة، كذلك أصدر أبو نضارة صحيفة هناك، وكان من مهاجري سوريا ولبنان، وأول من هاجر إلى مانشستر ولندن، كان (رزق الله حسون) الكاتب الأديب، فقد أصدر في ١٨٧٢ في العاصمة الإنجليزية صحيفة أسبوعية باللغة العربية اسمها (آل سام) وهي أول صحيفة عربية تصدر في البلاد البريطانية، وكان حسون يتولى صف حروفها وطبعها بنفسه في داره في قرية واندرورث، وقد كانت رسالته استثارة الرأي العام الأوروبي على الحكم التركي. غير أن (آل سام) لم تلق الرواج المأمول، ومن ثم فقد أصدر (حسون) بديلا منها (مرآة الأحوال) وكان يعاونه الدكتور لويس

صابونجي وعبد الله، وكانت أغزر مادة من سابقتها سياسيًّا وعلميًّا وانتشرت في سائر البلاد العربية، وكانت تحمل في عنف على المستبدين، فخافوها وصادروها، ولكنها كانت تتسلل إلى قرائها في مهارة وجرأة..

وفي ١٨٧٩، أصدر حسون نشرة نصف شهرية سمّاها (حل المسألتين الشرقية والمصرية) من أجل (البحث في سياسة مصر، خصوصاً والشرق الأدنى – أي الأوسط – عموماً) وكانت تطبع على ورق رقيق وعاشت عاماً كاملا ، وكانت ترسل إلى قرائها داخل مظاريف كالخطابات الاعتيادية، لكي لا تصادرها الحكومة العثمانية. وفي سنة ١٨٨٠ مات رزق الله حسون فماتت صحيفته بموته، و قد قفاه زميله الدكتور لويس صابونجي، فأصدر صحيفة (الخلافة) في سنة ١٨٨١ وجعل شعارها: (حرية ، واستقلال، ونجاح، وإقبال) كان من وراء هذه الصحيفة العربية قوة أدبية ومادية اكتتبت بها بمبلغ عشرة آلاف جنيها، وكانت تنشر مقالات نارية ضد الحاكم العثماني ورجاله وعلى الحكام المستبدين لذلك العهد، السلطان عبد الحميد خان الثاني، وكانت مقالاتها تترجم إلى اللغات التركية والإيرانية والأردية، أي لغة مسلمي الهند. وفي طليعة هذه المقالات ما كان بعنوان: مسألة الخلافة، الخلافة والقانون الأساسي، المسلمون والخلافة في آل عثمان، حي على الاستقلال، أيها الأبطال.

وقد ضاق السلطان ورجاله ذرعا بهذه الصحيفة الحزبية، بعد أن عجزوا عن منع وصولها إلى البلاد العربية والتركية، وكان جلالته قد أوعز إلى سفيره في لندن (موزوروس باشا) بأن يرشو صابونجي بمبلغ كبير لكي يوقف صدورها، ولكن صابونجي رفض هذا العرض، ذاكراً أن أمراء العرب يؤيدون صحيفته. وبعد حين أوقف صدورها، وأصدر محلها صحيفة (الاتحاد العربي) وهدفها: "ربط الشعوب التي تنطق باللغة العربية حتى يكون لها كيان واحد مستقل"، ولكن صابونجي أوقف هذه أيضا لقلة رواجها وذلك بعد إصداره ثلاثة أعداد منها. وفي سنة ١٨٨٤ عاد صابونجي فأصدر مجلة أسبوعية أسماها (النحلة) عني فيها بمعالجة المسألة المصرية والسودان في بداية عهد الاحتلال البريطاني، وكانت الصحيفة تنشر خطب الساسة البريطانيين معربة. وكان ما يترجم من مقالاتها يسترعي اهتمام المستر جل آدستون رئيس الوزارة البريطانية في ذلك العهد.

ولما ضعفت صحة صابونجي، غادر إنجلترا إلى لوس إنجلوس في كاليفورنيا الأمريكية، وهناك اغتالته يد أثيمة وكان في الثانية والتسعين.

وفي سنة ١٨٩٢ أصدر حبيب سلموني اللبناني المهاجر إلى لندن منذ عام ١٨٧٨ صحيفة عربية أسماها (ضياء الخافقين)، وكانت أدبية سياسية معتدلة مهادنة. وكان صاحبها صحفيًّا لبقاً، إذ استطاع أن يتعرف باللورد روزبري أكبر ساسة ذلك العصر، كذلك تشرف بمقابلة الملكة فكتوريا وأهدى إليها قاموساً للغتين العربية والإنجليزية أصدره، وكذلك

قابل السلطان عبد الحميد وأمراء العرب وتلقى هداياهم، وكان صحفيا مطلعا. وقد ساعد السير ريتشارد بيرتون في ترجمة مجنون ليلى. وقد توفي في ١٩٠٤ وكان في الرابعة والأربعين، وقد أبَّنته (التيمس) و(الديلي نيوز).

ثم جاء (سليم سركيس) الأديب الصحافي المعروف إلى لندن وأصدر (رجع الصدى) فيها وجه خطاباً إلى السلطان عبد الحميد قال فيه:

"مولاى المعظم: لم يبق من عمري إلا أيام وساعات معدودة أقوم فيها بواجب المصلحة العمومية. وأريد أن أبسط أمام عرشكم آرائى الأخيرة، وهي آراء محزنة اتضحت لي بعد خيبة طويلة تاعسة"

وأصدر (سليم فارس الشدياق) اللبناني جريدة الخلافة.

الفصل السادس عشر

الصحافة في أمريكا

ضخامة الصحافة في الولايات المتحدة الأمريكية من حيث عدد الصحف، وعدد صفحاتها، وأبوابها، وصورها، وعدد إعلاناتها وأجورها، لا يعادلها إلا ضخامة البلاد ذاتها سعة وتجارة وزراعة وصناعة.

كان الأستاذ الدكتور محمد عوض حمد بك بين أعضاء بعض الوفود المصرية الرسمية إلى الولايات المتحدة في مؤتمر سان فرانسيسكو منذ عامين، وحين عاد وصف حالة الصحافة هناك وصفاً نقتطف منه ما يلي:

(لقد شهد مؤتمر سان فرانسيسكو ما لا يقل عن ألفين من رجال الصحافة والمراسلين، ومندوبي شركات الأنباء ورجال الإذاعة. وقد رأى القائمون بأمر المؤتمر وتنظيمه أن ينزل جميع رجال الصحافة والنشر في

فنادق خاصة بهم، وأن تنزل الوفود في فنادق خاصة، وقد طالعت نقداً لأحد الكتاب على هذا الفصل بين الصحافة والوفود، وهذه الحيلولة بين الفريسة وبين الذي يريد أن يفترسها. وكان الواجب يقضي في نظر هذا الكتاب أن ينقضوا عليهم في أية ساعة من الليل أو النهار، وينشبوا فيهم مخالبهم – على غفلة من الرقباء – فينتزعوا منهم دفائن الأسرار.

كذلك ميزت إدارة المؤتمر رجال الصحافة بشارة حمراء (علامة الخطر)، كما ميزت الوفود ومن يتبعها بشارة زرقاء (علامة البراءة وسلامة النية) وكانت اجتماعات اللجان في المؤتمر موصدة أمام رجال الصحافة لا يستطيعون أن يقربوا منها، وكان يقف دون كل لجنة سلسلة متتابعة من الأبواب والحراس الأقوياء الأشداء لكي لا تحدث صحفي نفسه أن يدنو أو يسترق السمع.

وهذه كلها احتراسات وتحوطات عظيمة لمنع هذا الخطر الداهم من انتهاك حرمة اللجان، وإذاعة مداولاتها قبل الأوان، ومع ذلك كان ما يجري في اللجان يسجل في الصحف يوميا، وكانت بعض الجلسات تنقل نقلا، ويعاد ما قيل فيها حرفيًّا في بعض الأحيان"

وهذا جزاء من يحاول أن يمنع صاحبة الجلالة أو يحبسها في فندق خاص بها، أو يقيم دونها الأبواب والأقفال والمتاريس، وأول ما يدهش له الشخص العادي ضخامة الصحف الأمريكية فإنها إلى اليوم، وعلى الرغم من الشكوى المرة من قلة الورق، لا تزال تظهر في جزءين،

وكل جزء في عشرين صفحة. وقد قيل لي: إن هذا ما هو إلا جزء من الحجم الأصلي للصحف الأمريكية، وإن حجمها قد نقص كثيراً. وهذه الصفحات الكثيرة تباع منها النسخة بثلاثة سنتات (أي بستة مليمات) ومعنى هذا بالطبع أنها تقرأ مجاناً تقريباً. والحقيقة أن الصحف الكبرى في أمريكا بوجه خاص تعتمد على الإعلانات التجارية، في إيرادها كله، وليس الثمن الذي يدفعه القارىء سوى جزء تافه من الإيراد.

وليس في أمريكا صحيفة واحدة تسيطر على مساحة كبيرة من الولايات المتحدة، بحيث يتخطفها القراء في كل صباح أو مساء على نحو ما نجده في بعض الصحف المصرية والفرنسية والإنجليزية، فإن ضخامة القطر الأمريكي وتباعد أطرافه، جعل من المستحيل – حتى مع الاستعانة بالطيران – أن تنتشر الصحيفة الواحدة في أكثر من ولاية أو ولايتين أو ثلاثة على أكبر تقدير. فإذا كان هنالك صحيفة تصدر مثلاً في شيكاغو وفيها كل ما تشتهيه الأنفس من أنباء وتحف ومقالات وطرف فإن دائرة انتشارها مع ذلك لن تتجاوز نصف قطر طوله ٢٠٠ ميلا، وذلك في بلاد طولها يزيد على ٣٠٠٠ ميلا! فمن المستحيل استحالة مادية أن ينتفع سكان إقليم بصحف إقليم آخر؛ لذلك نرى في كل بلد أمريكي عدداً من الصحف الصباحية والمسائية يخدم ذلك البلد وما حوله من النواحي، ويغذي السكان في الوقت الملائم بما يحتاجونه من الأنباء والمعلومات.

وقد ترتب على هذا أن الصحف في بلاد العم سام تعد بالآلاف، وأكثرها ذو أهمية محلية، قلما يسمع به خارج الولاية التي يصدر بها، ولو أن معظمها يرى أن ليس له في عالم الصحافة نظير، وأنه ملك الجرائد وسلطانها، ومع ذلك فهنالك بعض صحف قد اكتسبت صفة (قومية) وأصبح لها شهرة دولية، ولا شك أن أهمها الهيرالد تريبيون، والتيمس في نيويورك.

وقد أدى تعدد الصحف وكثرتها في البلاد الأمريكية إلى وجود ما يسمى في أمريكا (سلسلة الصحف) وهي عبارة عن عدد كلي من الصحف قد يتجاوز المائة، منتشرة في جميع أنحاء الولايات، وكلها خاضعة لإدارة وتنظيم مركزي يمكنها من أن تنشر مقالات واحدة في وقت واحد لكاتب مشهور، ومن الجائز في مثل هذه الحالة أن توجه هذه الصحف كلها توجيها سياسيًّا خاصاً، ومعظم المصريين قد سمعوا من غير شك بصحافة شركة هيرسمت، المنتشرة في جميع أنحاء الولايات المتحدة، والتي تتجه في سياستها وجهة لا تخلو من النزعة الرجعية، أو الشديدة المحافظة. ومع ذلك فليست سياستها هي التي تجذب القراء نحوها، بل يستهوي القراء فيها كتابها النابهون، لأن تلك الشركات تستطيع أن تستخدم أبرع الأفلام وأنبه الكتاب.

وتتمتع الصحافة الأمريكية بحرية لا حد لها، وهي تقول ما تشاء من غير قيد ولا حرج، وقد لا تذهب في السباب والتشاتم مذهب بعض جرائدنا، ولكنها مع ذلك تنقد، وتحمل على الأشخاص حملات شعواء،

بالحق أحيانا وبالباطل أحيانا. وقد ترتب على هذه الحرية الهائلة أن القاريء الأمريكي لا يصدق بسهولة ما يطالعه من التهم والحملات، ويفضل أن يحكم على الناس والأشياء بما يراه.

وثمة عادة صحفية طيبة، نشأت وترعرعت في الولايات المتحدة، ولا شك في أنها ستنتشر في جميع الأقطار على مضي الزمن، وهي عادة الاجتماعات الصحفية. والعادة في مثل هذه الأحوال أن يعلن أحد كبار الساسة أنه سيقابل الصحفيين في إحدى القاعات، وفي سان فرانسسكو كان يتخذ لهذا الغرض قاعة تتسع لبضع مئات من الصحفيين والمتفرجين.

ويبدأ الداعي للحفلة – التي لا يقدم لا قهوة ولا شاي ولا ماء – بكلمة يليها ولتكن مثلاً عن سياسة روسيا الخارجية، إذا كان المتكلم مولوتوف، أو عن سوريا إذا كان المتكلم رئيس الوفد السوري. وتستغرق هذه الكلمة الافتتاحية نحو عشرين دقيقة يتعرض الداعي لها لوابل من الأسئلة تلقى عليه من غير قيد ولا شرط، حتى إذا انقضى من الزمن ساعة أو أكثر أخذت حدة الأسئلة تهدأ ويستطيع صاحب الدعوة أن يعتذر بموعد آخر، وينتهي الاجتماع الصحفي.

وقد تكون هذه الاجتماعات الصحفية محدودة لا يشهدها إلا عدد قليل من رجال الصحافة في إحدى الغرف أو المكاتب، على النحو الذي كان يعمله كل أسبوع الرئيس روزفلت. ومن الجائز في مثل هذه

الأحوال أن يفضي المتكلم بمعلومات لا يريد أن تروى عنه فتحترم إرادته، ولا يذاع سره، وهذه تضحية عظيمة من رجال الصحافة تستدعي كل إعجاب.

ومقابلة الصحفيين وشروطها عادة مأثورة منذ أيام الرئيس تيودور روزفلت، ويبلغ عدد المخبرين والمحررين الذين يحضرون هذا الاجتماع نحو ثلاثمائة، ولكن عددهم في العادة أقل من هذا، وهم يدخلون غرفة الرئيس ويلتفون حول مكتبه ويسألونه عن الكبيرة والصغيرة في المسائل العامة، وأولئك الصحفيون الذين تعارض صحفهم خطط الرئيس يحضرون أيضا كزملائهم الذين يعملون في الصحف المؤيدة.

هذا وقد وصف شرايبر الصحفي الفرنسي المعروف، فى كتاب وضعه عن رحلة إلى أمريكا، مقابلة المرحوم المستر روزفلت رئيس الجمهورية الأمريكية يومئذ للصحفيين فيما يلي:

" ولما دخلنا على الرئيس روزفلت ألفيناه يطالع في أوراق أمامه فلما اكتمل عقدنا رفع إلينا عينيه الزرقاوين الصافيتين الطفلتين"

وإنى أعتقد أن الأوروبي الذي يزور الولايات المتحدة يعجب كيف استطاع الرجال الذين يتقلدون مناصب رفيعة أن يحتفظوا بنظرة الطفل، هذه النظرة التي تنم عن حياة مملوءة عظمة حقيقة،

وحيًّا الرئيس الثمانين زائراً بقوله باسماً "جود مورننج" (نهاركم سعيد)؛ فردوا عليه جميعاً بصوت واحد قائلين " جود مورننج مستر بريزدنت"، وكلمة (بريزيدنت) معناها "الرئيس" فتكون التحية نهاركم سعيد يا حضرة الرئيس.

"ومع أن الرئيس كان يبتسم باستمرار ويرد على أسئلة الزملاء بسرعة خاطر عظيمة، فقد لاحظت أنه متعب وفي حاجة إلى الراحة فلما قيل لي بعد ذلك إنه يسافر بعد ثمان وأربعين ساعة بالأجازة قلت إنه يستحقها فعلا". وابتدأت المقابلة يبيان صاف من الرئيس عن الشئون الاقتصادية المهمة، وهنا أتى المسيو شرايبر على خلاصة هذا البيان وقال إن الصحافيين كانوا يصغون إليه بانتباه عظيم وكانوا بملابسهم العادية التي يذهبون بها إلى أعمالهم.

وبعد أن أتم الرئيس بيانه سأل الصحفيين الحاضرين هل عندهم أسئلة يريدون أن يسألوه إياها فخرج أحدهم من الصف الثالث أو الرابع وقال: " هل صحيح يا سيدي الرئيس أن.. "

(وأعقبه زميل ثان بسؤال آخر، فثالث، فرابع، وكذلك ظلت الأسئلة تنهال على الرئيس من كل جهة أكثر من عشرين دقيقة) (وكان المستر روزفلت يرد على كل سؤال بجلاء إلا في أحوال معينة كان يتخلص من الرد فيها بنكتة ظريفة)

(ولما انتهت الأسئلة ابتسم الرئيس للصحافيين وقال لهم: "جود باى " (مع السلامة).. وبينما كان زملائي الأمريكيون ينصرفون، دنا أحد موظفي السكرتارية من الرئيس وأشعره بوجودنا فاستبقاني وزوجتي بالقرب منه بكلمات لطيفة، وقد خاطبنا بلغة فرنسية تكاد تخلو من الأخطاء وبلهجة حسنة ومضى في حديثه معنا دقائق على الرغم من أن الوزراء الذين دخلوا عليه ليعرضوا عليه أوراقهم كانوا يبدون تململا ظاهراً

(ولكى يعوضنا الرئيس عن الوقت الذي لم يتمكن من تخصيصه لنا بسبب قرب مغاردته للعاصمة، قادتنا سكرتيرته الخاصة اللبقة إلى الطابق العلوي الخاص بسكنه فاستقبلتنا المسز روزفلت بعبارة فرنسية صحيحة استقبالاً خاليًّا من كل تصنع وتكلف، ودعتنا إلى التفرج على قاعات الدار وعلى مجموعة الصور الخاصة التي يمتلكها الرئيس وقد جمعها بنفسه وكلها صور بحرية ولما استعرضناها قالت لنا المسز روزفلت: "إن زوجى يحب البحر حباً جماً ولذلك قرر أن تكون إجازته هذه المرة نزهة بحرية، ولن أتمكن من مرافقته مع السفن لأن القانون العسكري الأمريكي يحظر وجود نساء في السفن الحربية"

(وبعد أن طفنا بأرجاء الدار نزلنا إلى الدور الأرضي وشاهدنا حمام السباحة الذي أهداه سكان مدينة نيويورك إلى الرئيس وهو يستحم فيه كل ليلة قبل العشاء لأن هذا هو الضرب الوحيد الذي يستطيع المستر روزفلت ممارسته من ضروب ألعاب الرياضية بسبب العاهة التي أصيب بها في ساقيه)

(ومما قالته لنا المسز روزفلت إن البريد يحمل كل يوم إلى قرينها أكثر من ستة آلاف كتاب وإن السكرتارية ترد على كل كتاب منها وكثيراً ما يتولى الرئيس الرد على بعضها منها بنفسه بعد العشاء.

(و لما عدت إلى السفارة الفرنسية بعد مقابلتنا للرئيس حذرني سفيرنا في واشنطن من أن أنقل شيئا إلى قرائي من حديث فخامته؛ لأنه من المحظور على الصحافيين الأمريكيين والأجانب الذين يقابلون رئيس الجمهورية أن يعزوا إليه حديثاً فاه به؛ فقلت للسفير: ولكن الرئيس لم يقل لي شيئًا خطيراً أو سريًّا، ثم إذا استبعدت كل كلام سياسي فلا يمكنني أن اقول إنه أعرب عن ارتياحه إلى مقابلة مندوب مجلة (الالستراسيون) الذي أكد لي أنه يطالعها باهتمام عظيم كل أسبوع)، فقال السفير: "لا تنشر أقواله بصيغة المتكلم المباشر" فقلت: "لا أفهم تماما" فقال: "يمكنك أن تقول إن الرئيس قال لي إنه يعتقد أن إلخ ... " ولكن لا تقل أن الرئيس قال " إنني أعتقد أن.... إلخ".

واجتمعت بعد ذلك ببعض زملائي الأمريكيين فنصحوني بما نصحني به سفيرنا، وقالوا لي إنهم يعزون أحيانا إلى الرئيس مقتطفات من البيان الذي يتلوه عليهم في بدء المقابلة، ولكنهم لا يعزون إليه مطلقا الأجوبة والبيانات التي يفضي بها إليهم ردا على أسئلتهم بل يقولون " يقال في البيت الأبيض إن ... " و" يقول المتصلون بالبيت الأبيض أن... " والصحافي الذي يخالف ذلك يجرد من التصريح الذي يخوله حرية دخول البيت الأبيض".

هذا وتتألف الصحافة في أمريكا من خمسة وعشرين ألفاً من الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية وسائر النشرات الدورية. وقد عاونت الصحافة الأمريكية في تدعيم الديمقراطية بما قامت به من نشر أخبار العالم وشرحها، وبما سلطته من الأشعة الكشافة على تصرفات الموظفين العموميين وبحملاتها من أجل السلاح ولأجل تغيير الخطط حين كان هذا التغيير مما يرغب فيه.

وفي الولايات المتحدة ٢١٢١ جريدة يومية يصدر منها باللغة الإنجليزية نحو ١٩٠٠، ويشتري الأمريكيون ٤٢ مليون نسخة من الجرائد كل يوم منها ١٦ مليونا ونصف مليون في الصباح و ٢٥ مليونا ونصف في المساء، أي أنه تنشر في المتوسط نسخة واحدة من الجرائد المختلفة لكل ثلاثة من السكان، وفي يوم الأحد يوزع أكثر من ٢٣ مليون نسخة من الجرائد الحافلة بالأخبار والصور (التي يظهر بعضها بالألوان) والمقالات والقصص المسلية والفكاهات، والأمريكي ينفق في المتوسط على صحيفته الصباحية أو المسائية نحو جنيهين ونصف جنيها في السنة، فإذا أضفنا إلى هذا ما ينفقه أيضا على صحف الأحد بلغت نفقاته السنوية نحو أربعة جنيهات.

ثم هناك ثلاث هيئات كبيرة تقوم كل منها بجمع الأخبار والصور الصغيرة دقيقة بعد دقيقة. وهي تقتني الأسلاك التلغرافية وتستخدم ألوف الموظفين في الولايات المتحدة وفي الأقطار الأجنبية، وهذه الهيئات هي: شركة الصحافة التعاونية (أسوشييتدبريس) وشركة الصحافة المتحدة

(يونايتدبريس) وشركة الأخبار العلمية (انترناشيونال نيوزسيرفس)، وهناك هيئة رابعة تسمى شركة الأخبار الراديوفوتية (ترانسريديو نيوز سيرفس) وهي جديدة إلى حد ما وتخدم عددا محدوداً من الصحف.

فأما شركة الصحافة التعاونية فقد تأسست سنة ١٩٤٨ وهي جميعة تعاونية يبلغ عدد أعضائها ١٤٣٧ صحيفة ولها ٩٤ مكتباً في الولايات المتحدة وهي تملك شبكة كبيرة حول العالم لجمع الأخبار وهي توزعها في أنحاء الولايات المتحدة وهي تملك شبكة كبيرة حول العالم لجمع الأخبار وهي توزعها في أنحاء الولايات المتحدة عبر ثلاثمائة ألف ميلا من الأسلاك المؤجرة لها وتتسلم الأخبار ٣٠٠٠ آلة أتوماتيكية ويبلغ ما تتسلمه الجرائد الأمريكية كل يوم أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ كلمة، وقد كان من أثر هذه الشركة التعاونية أن اشتريت صحف أو ارغمت أو ألغيت لأجل الحصول على امتياز النشر لأخبارها.

أما شركة الصحافة المتحدة فهي شركة تجارية تأسست عام ١٩٠٧ وهي تخدم ٩٧٥ صحيفة في الولايات المتحدة وتحت يدها ١٥٠,٠٠٠ ميلا من الأسلاك التلغرافية المؤجرة لها، وهي توزع نحو ١٥٠,٠٠٠ كلمة في اليوم، وقد قامت بخدمة ممتازة في نقل الأخبار بين الولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية والصين واليابان، وإلى وقت كانت أخبارها توزع بين ٧٤ قطراً وتنشر في عشرين لغة منها لغة آيسلندا ولغة جزر الفلبين.

وقد أسس شركة الأخبار العالمية الصحفي الشهير وليم هيرست سنة ١٩٠٩ ولها ٧٥ مكتبا في الولايات المتحدة وهي تستخدم ١٧٠,٠٠٠ ميلا من الأسلاك التلغرافية المؤجرة لها، وتزود نحو ٧٠٠ جريدة بالأخبار، وتصدر منها كل يوم ١٥٠,٠٠٠ كلمة.

وهذه الشركات الإخبارية مهيأة جميعها بما يكفل لها نقل الحقائق التي تعالج في صيغة موضوعية مع الإيجاز والإبراز، وهي تعمل ليلا ونهارا وتخرج من المطابع في جملة طبعات قد تصل إلى سبع طبعات أو ثمان في اليوم.

ولبعض الجرائد مثل (ذي نيويورك تيمس) و(ذي نيويورك هيرالد تريبون) و(ذي شيكاجو دبلى نيوز) و (ذي بلتيمور صن) مكاتب خارجية محترمة في أقطار العالم الكبرى.

ومراسلو الصحف الأمريكية في الأقطار الأجنبية يعدون ركناً عظيماً في النشاط الصحفي الأمريكي، وهم يتنقلون في أنحاء الكرة الأرضية يقاسمون الجنود أخطار القتال وأحيانا يقتلون في سبيل تأدية واجباتهم، وقد كان لهذه الحرب خصائص عالمية زادت في عدد هؤلاء المراسلين كما وسعت نطاق أعمالهم، وقد استحدث (ريتشارد هاردنج ديفز) تقليداً يجري عليه مئات من المراسلين الحربيين الآن، وكثير منهم يلزمون جبهات القتال وينقلون إلى صحفهم في أمانة ودقة التطورات الحربية في جميع أنحاء العالم، وقد ارتفع بعضهم إلى الصيت البعيد بعد أن كان

مغمورا في مكاتب الجرائد وذلك المميزات العالية التي اتسمت بها رسائلهم أو لما أبدوا من شجاعة شخصية، فهم يطيرون مع القاذفات فوق برلين وأحيانا ينزلون في الغواصات أو يقذفهم الطوربيد وهم في البحار، وأحيانا يؤسرون مع أسرى الجيش أو يجرحون في الصحراء، وهم الآن جزء أصيل من الصورة الحربية في جبهات القتال.

والصحافة الأسبوعية وصحافة الريف كلتاهما تعد مظهراً خطيراً في الصحافة الأمريكية، ومع أن هذه الصحف تتناقص مع الزمن فإنه لا يزال هناك نحو سبعة آلاف صحيفة في المدن الصغيرة والقرى ترصد صفحاتها في الغالب للأخبار المحلية وتتصل بقرائها أكثر مما تتصل بهم الجرائد الكبرى. وهناك من المحررين الأمريكيين في المدن الصغيرة من يسمون (محررو جذور الشعب)، والمعنى المقصود من هذه الكلمات هو أنهم يعرفون كل شيء عن المدينة التي يعيشون فيها؛ لأنهم يلزمونها كما لو كانوا كانوا جذور الشعب التي تنمو عند جدران المنازل. وهم قوة لها أثرها في تكوين الرأي العام.

والمجلات تؤلف القسم الأعظم الثالث من الصحافة الأمريكية الحرة بعد صحافة المدن الكبرى ثم صحافة الريف والولايات المتحدة غنية مما تملك من هذه المجلات إذ لديها منها ٤٧٤، ومن هذا العدد يوجد عشرون مجلة تطبع كل منها أكثر من مليون نسخة، وهي في مجموعها تصل إلى ٤٥ مليون نسخة، ثم هناك ١٥٠ مجلة أخرى تنشر في الأغلب القصص تصل في مجموعها إلى عشرة ملايين نسخة.

هذا ويقول أحد الكتاب الأمريكيين: إن المس كاتيلن نوريس تعد اليوم أعظم صحافية وكاتبة في أمريكا وأن دخلها يزيد على دخل أي كاتب في العالم، وأن مجرد وضع اسمها على غلاف إحدى المجلات يزيد في عدد النسخ التي توزعها المجلة مائة ألف نسخة.

ومما يروى عن هذه الكاتبة أنها نشأت فقيرة واشتغلت في شبابها بشتى الحرف، فكانت ضاربة على الآلة الكاتبة فبائعة في المخازن فمدرسة فصحافية. وقد دخلت الصحافة بواسطة زوجها وكان يعمل في مجلة (الأميركان) الأسبوعية فأخذت تساعده في عمله وتكتب المقالات والرسائل، فذاع اسمها واتسعت دائرة شهرتها وأقبل عليها القراء وأصحاب الصحف.

هذا وتعد شركة يونيتد فينيور من أعظم شركات الصحافة الأمريكية، وتعد صحفها من أعظم الصحف في العالم. والفضل في تقدمها السريع وبلوغها مكانتها الحاضرة يعود إلى مديرها الحالي السيد منصور أبو رجيلة، وهو من المهاجرين العرب في الولايات المتحدة فقد غادر هذا الصحفي القدير وطنه لبنان وهو في السادسة من عمره مع والده ووالدته، ومال إلى الاشتغال في الصحافة ونبغ فيها وظل يرتقي ويتقدم حتى أصبح الآن يدير شركة من أعظم شركات الصحافة العالمية. ومما يذكر عنه أنه حصل من كثيرين من مشاهير العالم أمثال موسوليني ولويد جورج وغيرهما على عهود بأن يكتبوا مقالات للشركة التي يديرها دون سواها، وكان يدفع لهم على تلك المقالات أجوراً باهظة. ومن انتصاراته الصحفية

الأخيرة أنه تعاقد مع الجنرال جونسون الأمريكى الشهير على احتكار مقالاته، وعلى أن يكتب له هذا القائد مقالة كل يوم مقابل أجر عظيم والجنرال جونسون هو مدير مشروع الإنعاش الاقتصادى الذي وضعه الرئيس روزفلت والذي أراد منه إنقاذ الولايات المتحدة اقتصاديا.

الصحافة في أمريكا الجنوبية

مما ينبغي ذكره عن الصحافة في أمريكا الجنوبية هو أن (أسيس شاتوبريان) يعد ملك الصحافة هناك، وقدر زار مصر منذ عامين، وهو ربع القامة، أسمر اللون، سريع الخاطر، طلق اللسان.

ذلك هو الرجل الذي يدير شركات تملك في البرازيل ٢٩ جريدة يومية و٥ مجلات أسبوعية و ١٢ محطة للإذاعة اللاسلكية، من مجموع محطات البرازيل التي تبلغ نحو الثمانين! وتصدر صحيفة في مدن عديدة – صباحية ومسائية – في حجم كبير. وكذلك مجلاته التي تزيد صفحاتها على الثمانين . تباع بثمانية سنتات، أي ما يوازي قرشين بالعملة المصرية.

أما أكبر عدد تطبعه جريدة في البرازيل فإنه يتراوح بين مائة ألف ومائة وثلاثين ألف نسخة. والسبب عائد على بعد المسافات بين الولايات وأن لكل ولاية جرائدها ومجلاتها التي تكاد تكون مستقلة – إلى حد ما – عن صحف غيرها من الولايات؛ فالبرازيل لم تسبق مصر كثيرا في هذه الناحية، لولا أن عدد الصحف هناك أكثر منه عندنا، حتى

أن (ريو دي جانيرو) عاصمة البرازيل، تصدر فيها وحدها ٢٣ جريدة يومية رائجة!

وكان السفير شاتوبريان حين زار مصر يقوم برحلة في أوربا والشرق قال عنها:

"... لقد حضرت على أول طائرة تسير على خط جوي جديد انشأته شركة برازيلية يصل بيننا وبين العواصم الكبرى، فانتهزت هذه الفرصة للاطلاع على الحالة خارج البرازيل، خصوصاً في الشرق الأدنى الذي شوقني لزيارته كثير من أصدقائي أعضاء الجالية العربية عندنا، فضلا عن أني قادم على تحقيق مشروع صحفي كبير جديد، آمل أن يقفز بعدد النسخ التي نطبعها من صحفنا إلى نصف مليون نسخة، وسيكون للجاليات العربية في البرازيل نصيبها من هذا المجهود الكبير، فإن هذه الجاليات تعد عندنا في طليعة الجاليات الأجنبية – أو التي من أصل أجنبى – إقداما وثروة ونشاطا، والمهاجرون العرب في البرازيل يبلغ عددهم نحو أربعمائة ألف، معظمهم من اللبنانيين والسوريين ولهم جرائد تصدر باللغة العربية، فهم متمسكون بلغتهم متحمسون للحركة العربية القائمة عندكم . وتدور الآن مباحثات بينهم وبينى لكي أخصص في جرائدي عمودين أو ثلاثة باللغة العربية لشؤون هذه الجاليات الراقية التي أحبها وأعجب بها، فقد حدث مرة أن قمت بحملة في جرائدي لدعوة الناس إلى الاكتتاب للطيران الذي تعلمون أني من أكثر المتحمسين له

في البرازيل، فاكتتب المهاجرون اللبنانيون والسوريون بأكبر حصة، ولذا فإن عندنا في البرازيل طائرات تحمل أسماء عربية!"

وللسنيور شاتوبريان رأي خاص في الصحافة وعلاقتها بالسياسة؛ فهو من القائلين بأن صاحب الجريدة لا يجب أن يخلط بين مهنته وعقيدته السياسية، أو أن تكون جريدته ميداناً للحملة على خصومه السياسيين والنيل منهم. ومما قاله بهذا الصدد: إنني أفتح أعمدة جرائدي للذين لست على اتفاق معهم في الشئون السياسية، كما أفتح لهم أبواب المحطات اللاسلكية التي أديرها، وأعطيهم الفرصة للدفاع عن أنفسهم أو للرد على ما يكتب ويذاع عنهم وعن سياستهم، وقد حدث مرة أن طعن في شخصيًّا بعض خصومى السياسيين ووجهوا إلي أشنع التهم، في جرائدي، ومن محطات الإذاعة التابعة لي، وقد يكون معظم الذين يطالعون جرائدي من الخصوم السياسيين لا من الأصدقاء والمريدين.

الفصل السابع عشر

حي الصحف في لندن

فليت ستريت

يحتل فليت ستريت (شارع الأسطول) قلب لندن، وفيه بالذات دار جريدتي (الديلى إكسبريس) و(الديلي تلغراف) وإلى اليمين دار شركة رويتر ومكاتب الصحف الإقليمية ومراسلي الصحف الأجنبية. وأما دور الصحف الأخرى فتقع في الشوارع المجاورة لهذا الشارع.

وبالرغم من اختفاء جرائد كثيرة في السنوات الأخيرة فلا يزال بمقدور القاريء أن يجد جريدتين أو أكثر تلائم ذوقه ما لم تكن له أذواق خاصة أو شاذة. وتتألف جرائد لندن اليومية الكبرى الثمانية من جريدتين من الطبقة الخاصة وهما: التيمز (تأسست عام **١٨٧٥**)

والديلي تلغراف والمورننج بوست، وأربع جرائد شعبية هي: (الديلي إكسبريس) و(الديلي هيرالد) و(الديلي ميل) و(النيوز كرونيكل) وجريدتين مصورتين هما: (الدبلي ميرو) و(الديلي سكتش). وعلاوة على هذه الجرائد الثمانية توجد جريدتان لها طابعهما الخاص وهما: (المورننج أدفرتازر) (تأسست عام ١٧٩٥) وهي لسان حال (الجمعية المتحدة لأرباب الفنادق) وجريدة (الديلي ووركرز) وهي لسان حال الحزب الشيوعي. وهناك جريدتان ماليتان هما: (الفايننشل نيوز) و(الفايننشل تايمز) وتنشران بعض الأخبار العامة أيضا.

أما (النيوز كرونيكل) فهي وليدة أربع من جرائد الأحرار، وعلى الرغم من أنها مستقلة عن حزب الأحرار من الوجهة الرسمية، غير أنها تعبر عن آراء العنصر الراديكالي وأحيانا تبلغ الناحية اليسارية كالديلي ووركرز الشيوعية.

ومع أن جرائد الديلي تلغراف والديلي ميل والديلي إكسبريس تزعم أنها محافظة مستقلة، غير أن صفة المحافظة تبدو في الديلي تلغراف أكثر من زميلتها. وهناك المانشستر جارديان التي هبطت نسخها إلى ثلاثين ألف، واليوركشير رست. ومن صحف الأحد الرينولدنيوز صحيفة التعاونيات، والأوبزرفر، والصنداي تايمز، ونيوز أف ذي وورلد، وبيوبل.

ملكية الصحافة

تتنوع الملكية في الصحافة البريطانية إلى أقصى حد يتصوره الفكر؛ فإذا أدخلنا في عداد الجرائد (لندن غازيت) حصلنا على جريدة من بينها يمتلكها ويصدرها التاج. وكانت أكثر جرائد لندن ممتلكات عائلية كما لا تزال أكثر الجرائد الإقليمية. ولا يزال في ميدان دار الطباعة (مطابع التايمز) أحد أفراد عائلة والتر التي كانت فيها عام ١٧٨٥ عند تأسيس الجريدة، ولكن الأسهم المسيطرة في التايمز يمتلكها ج. ج. أستور منذ ١٩٢٢. وتمتلك عائلة كادبري الأسهم المسيطرة على جريدتي النيوز كرونيكل، وستار. أما جرائد لندن الأخرى فيمتلكها أو يسيطر عليها أفراد قد يؤسسون بدورهم عائلات مالكة في عالم الصحافة كأسرة والتر.

ويمتلك جريدة الأوبزرفر اللورد أستور، شقيق ج. أستور، وللورد بيفربوك أسهم مسيطرة في جرائد الديلي إكسبريس، والإيفننج ستاندارد، والصنداي إكسبريس.

ويمتلك جريدتي الديلي ميل، والديلي ميرور جمهور متغير من حملة الأسهم، أما جريدة الديلي هيرالد فإن ٤٩ في المائة من أسهمها بيد المجلس العام لمؤتمر نقابات العمال و٥١ في المائة تمتلكها مطابع أودهامز المحدودة، وتعود ملكية جريدة رينولدز نيوز إلى الحركة التعاونية. ولما كان أكثر قرائها من التعاونيين فيمكن القول على سبيل التوسع إنها ملك قرائها. وتمتلك جمعية أصحاب الفنادق (المورنتج ادفرتايزر).

جريدة التايمز

يندر أن يكون لجريدة من جرائد العالم ما لجريدة التايمز – التي تصدر في لندن – من النفوذ في بريطانيا وخارجها، مع أنها ليست أوسع الصحف انتشارا، وحسبنا أن نذكر أنه لم يزد عدد نسختها على مائتي ألف نسخة. ويرجع مقام هذه الصحيفة البريطانية إلى غزارة مادتها، وإلى أن أخبارها أقرب إلى الصدق عن غيرها، وإلى الثقة في كتابة محرريها، وفوق هذا استقلالها من جميع الأحزاب والشركات وسائر جهات النفوذ.

وقد بدأ العمل في هذه الجريدة منذ ١٧٨٥، حين أراد منشؤها (جون والتر) دار للطباعة محتكراً آلة الطباعة اللوجوجراف، وكان أن وفق إلى إصدار صحيفة (السجل اليومي العام) على طريقة اللوجرجراف في أول يناير ١٧٨٥ وكانت تتألف من فرخ من الورق ذي أربع صفحات، وجعل ثمنها أقل من ثمن الصحف الأخرى، إذ حدد النسخة بنسين ونصف البنس. غير أن هذا لم يعد على الجريدة بالربح. ومن هنا جعل اسم الجريدة (التايمز والسجل اليومي العام) منذ أول يناير ١٧٨٨ وفي ١٨ مارس من السنة نفسها اكتفى بأن يطلق عليها اسم (التايمز) ومعناها (الأحوال) لا كما يترجمها خطأ (الأوقات) فللجمع معني غير المفرد Timo

وكانت أولى الأنباء المهمة التي انفردت (التايمز) بنشرها سابقة زميلاتها ما دار في مجلس النواب الإنجليزي في ليلة ٤ مارس ١٧٨٨ عن شركة الهند الشرقية والحكومية بما أدرجته الجريدة في عددها

الصادر في السابعة من صباح يوم ٥ مارس. وفي ٢٥ مارس ١٧٨٨ أعلنت (التايمز) خطتها على النحو التالي:

(١) من أهم أعمال الجرائد تحري الدقة والأمانة في الأخبار على أنواعها، ولهذا الغرض أنشئت التيمز وفي خدمتها طائفة من كبار المحررين والكتاب والمراسلين والمخبرين كل فيما تخصص له من موضوعات الجريدة

(٢) تنشر أبحاث البرلمان بغاية الصحة وبدون تحزب لفريق ما وبأقصى ما يمكن من الإيضاح واجتناب كل ما من شأنه أن يضلل الجمهور في التعبير. وتنشر الحوادث السياسية سواء أكانت داخلية أم خارجية لإطلاع الجمهور على أصح الأخبار وأحدثها. وكذلك الحال في نشر الأخبار التجارية لأن التجارة هي المصدر الأعلى للثروة القومية وكذلك ما يختص بأخبار المسرح والأزياء وغير ذلك من أبواب الجريدة.

(٣) ليس في التايمز مكان للتعبيرات التي تحمل معنى غير ما وضعت له، كما أن تعبيراتها تنطوي على منتهى الأدب والحشمة بعيدة عن كل ما ينبو عنه السمع ويغض له البصر ويندى له الوجه خجلاً.

الجريدة والثورة الفرنسية

ولم تكن هذه الخطة التي رسمتها التايمز لنفسها مجرد كلام للمباهاة، فما إن وضعتها موضع التنفيذ حتى طارت شهرتها. فلما ظهرت الثورة الفرنسية في يوليو سنة ١٧٨٩ وهدم سجن الباستيل كانت التايمز

أول جريدة إنجليزية نشرت في شهرت أكتوبر خبر انتقال الملك لويس السادس عشر والملكة ماري أنطوانيت من فرساي إلى باريس، وأنشأ والتر في باريس وكالة للتايمز لموافاته بالأخبار.

ولقد حوكم مرة في قضيتى قذف أتهم في إحديهما كلا من البرنس أوف ويلز (ولي العهد) ودوق يورك بأنهما فعلا مالا يجعل فعله بمقامهما السامي حتى أنهما لم ينالا إرضاء الملك. وفي الأخرى دوق كلارنس لأنه ترك محطته البحرية من دون أن يستأذن رؤساءه وحكم عليه بغرامة ١٠٠ جنيها في كل من القضيتين والحبس لمدة سنة في القضية الأولى. والواقع أن التهمة التي وجهها إلى ولي العهد كانت مدسوسة عليه (جون والنر) من أحد كبار الموظفين وقد أفرج عنه ولي العهد قبل انتهاء المدة . وأثر السجن في صحته، على أن ذلك لم يفت في عضده بل زاده حزماً وعزماً وثباتاً مما زاد في جرأة التيمز واستقلالها وإحاطتها بجميع شؤون الصحافة.

وفي سنة ١٧٩٦ لما استقال جون والتر الأول، كان عدد ما يوزع من جريدة التايمز أضعاف ما توزعه أي جريدة صباحية أخرى. وخلفه ابنه الأصغر جون والتر الثاني خريج جامعة أكسفورد فتسلم تحرير الجريدة وإدارتها وهو في سن السادسة والعشرين، وكان أكثر حزما وجرأة من أبيه وقضى في خدمة الجريدة أكثر من أربعين سنة بلغت فيها الجريدة من القوة درجة لا يستهان بها حتى لقد قال بعضهم إنها صادرت أكبر قوة في البلاد.

وكان ذلك العصر حافلاً بالحوادث المهمة في تاريخ أوروبا الحديثة، وفيه كانت معاهدة أمبان وحروب نابليون ومعركة ووترلو وإلغاء تجارة الرقيق وتحرير العبيد، ومذابح بثيرلو، وغيرها من الحوادث الجسام، وكانت الحاجة ماسة حينئذ إلى اتباع جادة الاستقلال والنقد القويم والموازنة بين الطغيان والانقلاب، وهذا ما كان يصبو والتر إلى جعله شعاراً للتايمز. ولقد ثابر على اتخاذ مبدأين رئيسين [1] الأول: استقلاله عن الحكومة، والثاني: أن للجمهور الحق في معرفة جميع الأخبار بدون تأخير.. وقد جاهد في سبيل تنفيذ هذه الخطة مستهدفاً للخطر في عصر كانت الحكومات تضيق فيه الخناق على الصحافة.

بدأ ولنر يعضد الحكومة ولكنه رفض قبول ما عرضته عليه من الإعانة المالية. وفي سنة ١٨٠٤ وجه انتقاده بشدة إلى أولي الأمور على ما نسب إليهم من ابتزاز أموال الأمة وعلى تقصير رجل البحرية في نسف البوارج الفرنسية في ميناء تولون.

الرقابة على الجرائد

اعتادت مصلحة البريد في ذلك الوقت أن تحجز الجرائد الواردة من الخارج برسم الجرائد الإنكليزية ومنها جريدة التايمز فكانت تفتحها وتترجم ما فيها من أخبار وتوزعها على الجرائد بأجر معلوم فأذعن ولتر لهذا الحكم الجائر مدة ثم ثار على مصلحة البريد فأقلعت عنه الجرائد

---

[1] صاحبة الجلالة الصحافة – جريدة التايمز : الاستاذ اثناسيوس .

الواردة باسمه ولكنه توصل بواسع حيلته إلى الحصول على ما أراد من الأخبار. وفي سنة ١٨٧٧ انبرى للموضوع وبسطه على صفحات التيمز فقاضته الحكومة وبعد أشهر قليلة عاود الكرة مرة أخرى مقدما الأدلة على صحة شكواه فحاولت الحكومة أن تشتري سكوته فلم تفلح وأخذها الدهش من هذه الجرائد التي لا تشتري سكوته فلم تفلح وأخذها الدهش من هذه الجرائد التي لا تشترى بمال. وفى سنة ١٨١٠ نشر جون والتر بيانا مطولاً بما اتخذته الحكومة من المحاولات لمنع الأخبار الخارجة عنه بحجز الرسائل الواردة باسمه وبعد ذلك أعلنته أنها ستفرج عنها تفضلا منها فرفض.

زعيمة الصحافة الأوربية

واعتبرته الحكومة خصماً عنيداً فتمر عن ساعد الجد وعمل على زيادة التحسين في التايمز ونيل الحرية للصحافة الإنكليزية. ولم يترك وسيلة – كبرت أو صغرت – إلا اتخذها في سبيل التقاط الأخبار الصحيحة. ففي سنة ١٨٠٥ كان أول من أذاع خبر انهزام ماك في مدينة آلم ومعركة الطرف الأغر ومصرع نلسن ومعركة استرليتز. وفي سنة ١٨٠٦ معركة بيتا وأورسدات وفي سنة ١٨٠٧ معركة فريدلاندو وفي سنة ١٨٠٩ خبر الاستيلاء لي فلشنج وهذا نشرته التايمز قبل أن يصل إلى الحكومة من مصادرها بثمان وأربعين ساعة . وعين والتر مراسلين أكفاء للتايمز في جميع مدن أوربا واستمر مجاهداً في سبيل استقلال التايمز وتزويدها بالأخبار وجعلها قائدة للرأي العام ولسان حاله. وقد

ضمت التايمز إلى أسرتها نخبة من كبار الكتاب وفحولهم ومنهم المستر بارتر وقد تولى التحرير من سنة ١٨١٧ – ١٨٤٠ فديت التايمز بحق (زعيمة الصحافة الأوربية)

معاهدة برلين

اعتزل المستر دبلاين العمل في خريف سنة ١٨٧٧ وخلفه المستر توماس وتشينزى وذاعت شهرة مكاتب التايمز في باريس المسيو هنري بلوفتر، وكان عبقريًّا في جلب الأخبار الصحيحة، ومن أهم اعماله التي ظهرت بأكملها في التايمز في صباح اليوم التالي للتوقيع عليها في برلين ومن جملة أعماله نشره حديثاً له مع قداسة البابا ليو الثامن وحديثا آخر مع السلطان عبد الحميد.

وفي سنة ١٨٧٩ أدخل على إدارة مطبعة التايمز تحسينات مهمة واستبدل بجمع الحروف باليد آلة ميكانيكية يمكنها في جمع ٢٧٩ سطرا مجموع حروفها نحو ١٧٠٠٠ حرف في ساعة.

معارضة الجريدة لسياسة غلادستون

وفي فبراير سنة ١٨٨٤ توفي المستر تشينزى رئيس التحرير فخلفه المستر (جورج باكل) وهو أحد خريجي أكسفورد وكان عمره ١٩سنة، واشتهرت التايمز في ذلك العهد بمعارضتها لسياسة غلادستون رئيس الوزارة البريطانية فنددت به في شأن ما اتخذه من الإجراءات الخاصة بالسودان والتي آلت فيما بعد إلى سقوط الخرطوم ومصرع غوردن،

والإجراءات الخاصة بإعطاء الاستقلال (هوم رول) لأيرلندا وفي ذلك العصر ازدادت المنافسات السياسية الحزبية وفي الفساد وكثرت الدسائس فأحرج مركز التيمز وكادت تروح ضحية الأنباء التي كانت تصل إليها مشبوهة فانبرت لإظهار الحقيقة وانتصرت على خصومها.

وحالماً اعتزل غلادستون رئاسة الوزارة عقب فشل مشروعه الخاص (بالهوم رول) لأيرلندا في سنة ١٨٨٦ عادت التيمز إلى سابق سؤددها.

وفي سنة ١٧٦٢ تلبية للسرعة المطلوبة بعثت إلى باريس مراسلا خاصا، وهكذا استطاعت التايمز الحصول على حوادث المذابح التي وقعت في شهري أغسطس وسبتمبر سنة ١٧٩٢ وتنفيذ حكم الإعدام على الملك لويس في شهر يناير سنة ١٧٦٣ وعلى الملكة ماري إنطوانيت في شهر أكتوبر

إشهار فرنسا الحرب على إ . بلترا وهولندا

وفي شهر فبراير سنة ١٧٩٣ كانت التايمز أول من أذاع في إنجلترا خبر إشهار فرنسا الحرب على إنجلترا وهولندا. ورغماً من الصعوبات التي صادفتها فقد أمكنها استيفاء مراسلها في باريس وتعيين مكاتبين لها في جميع المدن الكبيرة الواقعة على الحدود.

وقامت في وجه التايمز عقبات كثيرة من منافسيها الذين لم يقدروا على مجاراتها في الإتيان بالأخبار الصحيحة، ولكنها ذللتها كلها وبلغ عدد ما وزعته من النسخ يوميًّا في أوائل سنة ١٧٤٦ — ٤٣٠٠ ثم

ارتفع هذا الرقم إلى ٤٦٠٠ وفي فاتحة سنة ١٨٠٠ أصدرت كشفاً مطولا بالحوادث المهمة التي كان لها فضل السبق في إذاعتها.

الحكم على مؤسسها بغرامة

وفي سنة ١٨٧٦ وكانت التايمز تعرف حينئذ (بالسجل اليومي العام) حكم على صاحبها جون والتر بغرامة قدرها ١٥٠جنيها لقذفه في حق االلورد لافبورو رئيس قضاة إنجلترا. وفي سنة ١٧٨٦ أذيع في التيمز أن دوق جلوسترو دوق كمبرلند لم يكونا مخلصين فيما أظهراه من السرور لشفاء الملك بعد الاعتداء الذي وقع عليه في سنة ١٧٨٨ فاعتبر ذلك قذفا وحكم عليه بغرامة قدرها ٥ جنيهات والسجن مدة سنة.

وحدث أن ذهب اللورد وردولف تشرشل وزير المالية وزعيم مجلس النواب الإنجليزي يومئذ وهو والد مستر ونستون تشرشل رئيس الوزارة البريطانية السابق، إلى إدارة التايمز وأبلغ رئيس تحريرها أنه قد استقال من وزارة اللورد سالسبورى، مع أنه لم يكن قد قدم استقالته بعد إلى الملكة فيكتوريا ففي الحال أمر رئيس التحرير بإغلاق جميع أبواب الإدارة فبقي اللورد رندولف في أحد المكاتب إلى أن ثم طبع الجريدة وأخرجت للبيع. ولبثت مركبة اللورد تنتظره وكاد جوادها وسائقها يموتان من البرد.

واشتهرت التايمز في خلال حرب البوير (١٨٩٩ – ١٩٠٢) بنشر أصدق أخبارها، وعند ختام الحرب أصدرت (التايمز) تاريخاً لها يعد من أحسن المصادر. وفي ٢٣ يناير سنة ١٩٠٣ توفيت الملكة فكتوريا وقد بلغت التايمز أوج مجدها الصحفي.

وقد أقامت التايمز الوزارات وأسقطتها، ورفعت الملوك ورؤساء الواردات في البلاد الأجنبية وحفضتهم. وهي تحاول دائما أن تجري على سرعة الإنصاف كما نراها، فلذلك تجدها قد ألهبت بسوطها أصحاب المصانع وجماعات العمال على السواء، يوم رأتهم يستحقون ذلك، ولم تخش في يوم من أيامها تنكر الجماهير لها.

ففي الحرب العالمية الأولى هاجمت لورد كتشنر المتخبط المضطرب، وكان يومئذ قائداً عاما للجيش البريطانى، وبطلا عند البريطانيين، فهلل الناس يوم علموا أن نسخة من التايمز قد أشعلت فيها النار في ساحة البورصة في لندن، ولكن الجريدة ظفرت بما تريد، فقد صار لويد جورج رئيسا للوزارة، وأنشئت هيئة أركان الحرب، فعززت بذلك وسيلة الظفر في الحرب، وثبت صدق نظر التايمز، وأن إقدامها على مواجهة الرأي العام المعارض لرأيها حين ترى نفسها على حق، صفة من الصفات التي تميز هذه الصحيفة العريقة. وتستطيع أن ترد عشرات من مشروعات الإصلاح الاجتماعي والبرلماني إلى ما تبديه من الرأي في مقالاتها الافتتاحية.

وقد بدأت منذ سنواتها الأولى تكافح من أجل نشر الأخبار والتعليق عليها تعليقاً حراً دون تدخل من الحكومة، فاقتضى ذلك منها نضالا عنيفاً مع رجال من أمثال (وليم بت)، ومع مصالح في الحكومة مثل مصلحة البريد.

فالصحف الأولى كانت تعتمد على إعانة الحكومة وعلى أجور خاصة تنالها من أجل أن تنشر بعض الأخبار، وأن تحبس أخباراً أخرى، وقد جرى جون ولتر منشيء التايمز على هذا النهج، ولكنه كان برماً به، وكان يخرج عليه في الحين بعد الحين فيسدد سهامه إلى رجال الحكم. وقد حكم عليه مرة بأن يقيد ويعرض ساعة لاحتقار الناس وأن يسجن ستة عشر شهراً، فلما خرج كان أدنى إلى الحذر والعزم جميعاً. وقد حوكم أبوه من بعده لأنه تحدى ما كان للحكومة من سلطان على صحافة.

وقد توسلت الحكومة بقوانين الضرائب واللوائح والرخص لكي تخضع التايمز لإرادتها، وصارت مصلحة البريد ترجيء تسليم مراسلتها، وهددتها بإلغاء حقها في أن ترسل الرسائل بالبريد، ولكن النصر عقد للتايمز في آخر الأمر، فجعل مناصرتها لمبدأ حرية الصحافة مبدأ قائماً على الزمن.

وقد اهتمت التايمز بألوان أخرى من الكفاح ففي سنة ١٨٤٠ مثلاً أنفقت مالاً كثيراً في كشف مؤتمرات الماليين الدوليين مزوري رسائل

اعتماد البنوك، وقد أصابت من وراء هذا نجاحاً ورواجاً، وعوضها تجار لندن أجراً رفضته ثم قبلته على أن يخصص جوائز توزع على طلاب العلم باسم التايمز. وفي ١٩٢٠ منحتها الحكومة البريطانية ترسا كترس النبلاء، وعلى الترس صورة ذراع تتقاذف منها الصواعق، ومن هنا أطلق على التايمز (الرعد). وكانت التايمز تصدر في الحرب الأخيرة في ست صفحات، وفيها باب لرسائل القراء وهو ممتع. وفي الصفحة الأولى إعلانات منوعة دقيقة الحروف. ولم تكن تحفل بالعناوين الضخمة المثيرة للاهتمام. وأنقذ الأمريكيان هوارس أفريث هوبر، ووليم مونجمرى جاكسون التايمز من خطر الإفلاس بجعلهما طبعة دائرة المعارف البريطانية تصدر باسمها.

ثم أقنع هوبر اللورد نور ثكليف بشراء التايمز، وفي سنة ١٩٣٢ اشترى جميع أسهمها جون ولتر الحفيد الأكبر لمؤسسها، والكولونيل جون آستور.

وصحيفة التايمز هي الصحيفة الوحيدة التي تعد مؤسسة قومية، وقد أراد صاحباها أن يضمنا أن لا تكون في المستقبل سلعة تباع لأكبر مزايد، وألا تقع في أيدي غير صالحة؛ فألفا لجنة وجعلا لها حق منع بيعها إذا رأت ذلك، ومن أعضاء هذه اللجنة: قاضي القضاة، ورئيس الجمعية الملكية، ومدير مصرف إنجلترا، وقد ألقت التايمز على الناس دروساً كثيرة وهذه الخطة التي وضعت لكي تضمن استقلال جريدة عظيمة بإقامة وصاية شعبية عليها ليس أقل هذه الدروس شأنا وخطرا.

هذا وقد أصدر (اتحاد الصحافة) بياناً عن قوة صاحبة الجلالة جاء فيه:

تصدر في بريطانيا ١٥٧٧ جريدة يومية و٣١١٩ مجلة وكل مائة أسرة في بريطانيا تشتري:

٩٥ جريدة صباحية، ٧٥ جريدة مسائية، ١٣٠ مجلة من مجلات يوم الأحد، ١٦٥ مجلة أسبوعية وشهرية

ويقول البيان: "إن أصدق مقياس لحضارة أية أمة من الأمم هو مقدار ما تستهلكه من ورق الصحف. وعلى هذا الأساس نجد أن نسبة ما تستهلكه بريطانيا من ورق الصحف تلي مباشرة نسبة ما تستهلكه أمريكا، وإذا قدرنا أن الجزء الأكبر من الصحف الأمريكية يضيع في الإعلانات والصور، وجدنا أن بريطانيا تستهلك أكبر كمية من ورق الصحف المخصص للأخبار والمقالات"

الفصل الثامن عشر

الصحافة في فرنسا

اجتازت الصحافة في فرنسا أربع مراحل:

المرحلة الأولى إلى آخر عهد نابليون، إذ كانت الصحافة تحت سلطة الحكام بأمرهم في العهد الملكي ثم في عهد الثوار وتحت سلطة نابليون الأول. أما المرحلة الثانية ففي عهد الملكية الثانية إذ نعمت بالكثير من الحرية والانتشار والتعدد والتخصص إلى جانب التعميم فقد كانت الصحافة قبل ذلك إما عسكرية وإما فنية وإما أدبية.

وأما المرحلة الثالثة فتبدأ منذ عهد الجمهورية على أثر انتهاء حرب ١٨٧٠، حرب السبعين، التي هزمت فيها ألمانيا فرنسا واحتلت باريس وضمت ولايتى الإلزاس واللورين. كانت الصحافة يومئذ حرة، منتشرة،

كثيرة كثر الأحزاب، طافحة بالانتقاد والحملات على الوزارات وساعية إلى إسقاطها وفضح عيوبها وحسبنا أن نذكر حملة جريدة الفيجارو من محررها مسيو كالميت على مسيو كايو قبل الحرب العالمية الأولى ونشرها فضائحه مما أثار سائرة حرمه مدام كايو ودفعها إلى إغتيال حياة المحرر الهجاء وتبرئة المحلفين لها بحجة دفاعها عن الشرف!

أما المرحلة الرابعة فتبدأ منذ ظهور النازية واستخدمها الكثير من الصحف الفرنسية لترويج الصداقة الألمانية الفرنسية والتنديد بالصداقة البريطانية الفرنسية، مما كان من أثره نشر روح الهزيمة في نفوس الشعب. وهو أحد العوامل في سحق ألمانيا النازية لفرنسا. هذا وقد ظهرت الصحف السرية في فرنسا وكانت بريطانيا وأمريكا تغذيها بالمال وتقوي فيها روح المقاومة.

وقد فقدت الصحافة في فرنسا منذ يومئذ إلى اليوم ثقة الشعب الفرنسي والرأي العام الأجنبى كثيراً، منذ وضح أن كثرة الصحفيين الفرنسيين يمكن أن يصبحوا أداة للألمان والأجانب.

وها نحن أولاء نوضح هنا ما تنعم به صحف فرنسا من مزايا، تتألف الصحيفة الباريسية الكبرى من عدد كبير من محرريها والمخبرين والمصورين وهم على درجات ليتخصص الواحد منهم بالفرع الخاص به فرئيس التحرير يقوم بالإشراف على كل ما يتعلق بتحرير الجريدة. والمدير الفنى ينسق العدد ويعده ويخرجه في الوقت المحدد له،

وسكرتير التحرير يهتم بالرسالات ودرسها والمقابلات وغيرها، والمحرر يواظب على تأدية عمله في مكتبه في تلخيص أقوال الجرائد وترجمة البرقيات والتعليق عليها بحسب أهميتها، والمخبر يتجول من محل إلى آخر يتسقط الأخبار ويلتقط صور الحوادث المحلية. وهناك محررون لكل فرع من فروع الهيئات الاجتماعية والعلمية والصناعية والتجارية والحربية... إلخ . وأما المندوب الخاص هو الذي ترسله رئاسة التحرير في أحوال استثنائية لموافاتها بالمواد المهمة.

والصحفيون في باريس على أنواع؛ فالصحفي الباريسي أي المحرر في إحدى الصحف والمجلات التي تصدر في باريس، له امتيازات كثيرة فيها، وتتنوع هذه الامتيازات باختلاف أنواع صناعته فالناقد السينمائي المسرحي له بطاقة يدخل بموجبها جميع دور المسارح والسينما، ولكل جريدة مخبر في وزارة ومصلحة له حق دخولها، والمخبر البرلماني لا يعترضه أحد في (سياحته البرلمانية) وهكذا كل نوع منهم له بطاقته التي تخوِّل له الدخول في الفرع الخاص به.

والصحفي الإقليمي، أي محرر أو مكاتب الصحيفة الذي تصدر في الأقاليم الفرنسية، يمنح امتيازات أقل شأنا من امتيازات الأول. والصحفي الأجنبي المراسل يتمتع بامتيازات هي دون الأولى والثانية بكثير.

ففي مجلس النواب مثلا شرفة خاصة بالصحافيين الباريسين الإقليمين يؤمونها في كل جلسة، وأخرى للمراسلين لا يسمح لهم بارتيادها إلا بإذن خاص ولمرات معدودة، وللحصول على هذا الإذن على الصحفي أن يقدم طلباً إلى إحدى نقابات الصحافة الأجنبية الثلاث فترسل إليه بعد التحقق منه تذكرة تخوله الدخول لخمس مرات فقط.

ولكي يفرق البوليس بين أنواع الصحفيين الثلاثة منح كلا منهم بطاقة مختلفة الألوان للتميز بينهم، وهي ترجو رجال الأمن العام التسهيلات الممكنة لحامليها وتسمح لهم في اختراق الحواجز في الجرائم والحوادث المهمة ودخول محطات السكك الحديدة بدون رفع الرسوم المقررة، ولسياراتهم بأن تتقدم السيارات الأخرى (إذا أمكن) عند مفترق الطرق وهي تقوم مقام تذكرة تحقيق الشخصية.

أما التنقلات في المترو والترام والأتوبيس فلهذه البطاقة عند إبرازها الأولوية في صرف التذاكر لحاملها وهي تسمح له بأن يتخذ الطريق المعاكس في النزول والصعود في محطات المترو.

أما نقابات الصحف في باريس فهي:

نقابة الصحافيين الفرنسين المؤلفة من المحررين والموظفين

اتحاد الصحافة الفرنسية، وأعضاؤه من الصحف والمجلات.

الجمعية العمومية لنقابات واتحادات الصحافة المؤلفة من المحررين الموظفين وأصحاب الصحف والمجلات، وهي التي حددت

مرتب المحرر العادي بألف ومائتي فرنك، وأنشأت صندوقاً للصحافيين والفرنسيين المتقاعدين ليضمن لهم معاشاً كافياً ويقبل منهم ما يصاب بعاهة أو مرض يقعده عن العمل، ويعتنى بعائلتهم...

نقابة صحافة المقاطعات والأقاليم.

ثلاث نقابات للصحفيين الأجانب تضم ألفي عضو.

الاتحاد الدولي العام للصحفيين المشترك فيه صحافيو أربعين دولة أنشىء للدفاع عن مصالحهم والمحافظة على حقوقهم.ولهم نادي تم حديثاً يجتمعون فيه على اختلاف نزعاتهم

فهل هو قريب ذلك اليوم الذي نفهم فيه أن مهنة الصحافة عندنا هي فوق النزاعات الحسبية؟

وتتمتع صحافة باريس بحرية تحسدها عليها صحافة العالم، تنتقد المسئولين من رئيس الجمهورية إلى أحقر موظف انتقادا تعاقب عليه الحكومات الأخرى بالسجن والتعطيل، غير أنها مقيدة بقوانين المخالفات والجنح والإجرام.

وقد أسس موريس أكوا ولاتوش ونستور روكيلان (الفيجارو) في ١٨٢٥ ثم أصدرها فليسان أسبوعية في إبريل سنة ١٨٥٤ تحت اسم (لي فرانسيه) فراجت رواجاً كبيراً لتنوع مواضيعها الشعبية ثم استعادت اسم (لي فيجارو) سنة ١٨٦٦ وظهرت يومية بإدارة (هنري دي روشفور ولولييس) وكانت أول صحيفة صدرت في ست صفحات غير أنها لم

تستقر على مبدأ ما فبعد أن كانت شعبية انقلبت إلى ملكية وانخذلت في حادثة دريفوس الشهيرة وكان ينتشلها من عثرتها الأجاستون كالميت فأدارها بحزم حتى قبيل الحرب العظمى وأعقبه حموه بريستا إلى سنة ١٩٣٠ (تاريخ تسلمه كاميل غيمار ولويس لاتراروس) ومن يوم حصوله على أغلبية أسهمها وهو يسعى لشراء الأسهم الباقية للتخلص من إشراف بعض (جماعة المجمع العلمي) وكلفته هذه الصفقة عشرة ملايين وستمائة ألف فرنك (١٠٦ آلاف جنيها) وقد أعاد إليها اسمها الأول (فيجارو) وأدخل عليها التحسينات العصرية وتتدرج من طبع اثنين وعشرين ألفا إلى تسعين ألف عدد يوميًّا وأدمج بها جريدة (لى جولوا) التي اشتراها من مدة.

وفي مايو سنة ١٨٣٨ أنشأ جريدة (صديق الشعب) الصباحية فانتشرت انتشاراً هائلاً لرخص ثمنها، وصدرت حديثاً طبعة مسائية لها، ولكل منها مطبعتها الخاصة وإدارتها المستقلة، وبالرغم عن هذا الرواج أنفق عليهما ثمانين مليون فرنكا (مليون جنيه) وفيهما من المحررين والمستخدمين مائتان، ويربو عدد نسخهما اليومية على المليون.

وتمتاز الصحف الفرنسية عن الصحف البريطانية بأن الأولى أكبر حجماً وأكثر اهتماماً بالعالم الخارجي وأوضح وأصدق أخباراً وأكثر إعلانات، وأكبر رأس مال. وهي بصفة خاصة تعنى بتدبيج المقالات وتنويع العناوين والقصص المسلسلة والقصص القصيرة، وبنقد الكتب، وبالأدب والمسرح والسينما، وبالحياة الاجتماعية.

والصحف الفرنسية على أنواع:

صحف الأخبار: ومن أهمها البيتي بارزيان وكانت توزع مليوني نسخة، وهي صحيفة شعبية تطالعها الطبقة الوسطى، والمتان وهي صحيفة رجال السياسة والموظفين وكانت تطبع ٨٠٠ ألف نسخة، والبتي جرنال للمزارعين والريف وتطبع نصف مليون نسخة، والآيكودي باري للمحافظين وتطبع ربع مليون نسخة.

صحف الآراء: ويعنى بقراءتها محبو المناقشة والأهواء السياسية الخاصة. وأهم صحف هذا القسم (الأوفر) صحيفة الديموقراطيين المستقلين وتطبع حوالي ٢٥٠ ألف نسخة. و(الكوتيديان) صحيفة الاشتراكيين المتطرفين و(الاكسيون فرانسين) صحيفة الملكيين. ويلي هذه الصحف أهمية من جرائد الآراء: (الإكلير) و(الأفنير) لسان حال العصبة الوطنية و(الأمانيتية) صحيفة الشيوعيين و(الأيرنوفل) جريدة الاشتراكيين المتطرفين.

الصحف الفاخرة: وهي جرائد أهل الطبقة العالية ومن يقرأون للتلذذ. وأهم هذه الصحف: (الفيغارو) جريدة المحافظين و(الغلوي) محافظة كذلك. و (الاكسلسيور) مستقلة مصورة.

الصحف الخاصة: وهى صحف المسرح، والألعاب الرياضية، والعسكرية والمالية والاقتصادية وأهمها: (كوميديا) المسرح و(الأوتو) و(الأيكودي سبور) للألعاب الرياضية و(فرنسا العسكرية) للجندية،

وللشئون المالية نحو عشرة صحف معروفة عند رجال البورصة ومن يشتغلون بالأسهم المالية والمضاربات.

جرائد الظهر والمساء: وهي متعددة المنازع وأغلبها لا عناية له بالأخبار الخارجية. وبعضها يأتي بأخبار متأخرة ولكنه يعمد بالتدقيق فيها ولا يذيع إلا ما يتأكد من صحته. وكان أهم جرائد هذا القسم: (الإنفورماسيون) و(بارميدي) من ألسنة حال الديموقراطيين و(الطان) صحيفة الجمهوريين المستقلين و(الجورنال دي ديبا) جمهورية حرية. ولكل من الطان والديبا شهرة واسعة بما تنشره من المباحث الأدبية والأخبار الخارجية و(الانترنسيجان) جمهورية وطنية، و(لاكروا) (الصليب) صحيفة الكاثوليك وهي أكثر الصحف الفرنسية مشتركين في فرنسا إذ يبلغون حوالى ٨٠ ألف مشترك. و(بارميدي) وهي ديموقراطية مستقلة.

الصحف الأجنبية: وأكثرها باللغة الإنجليزية وأشهرها جريدة (الدايلي مايل) الإنجليزية (طبعة لندن) ثم (النيويورك هيرالد) و(الشيكاغوتريبون) وأخيراً (باري تايمز) وهي صحيفة مستقلة لجماعة من الأمريكيين المقيمين في باريس و(أمريكا اللاتينية) وهي صحيفة أسبوعية تطبع بالإسبانية والبرتغالية والفرنسية.

وقل أن تخلو مقاطعة من المقاطعات الفرنسية من جريدة يومية، وأكثر هذه الصحف يومية وتصدر في ٦ صفحات أو ٨ صفحات،

والكثيرٍ منها، وعلى الأخص صحف ليون ومارسيليا وبوردو وتولوز ونيس، مراسلون خصوصيون في باريس وبعض مدن أوروبا. وتجمع حروفها كلها باللينوتيب، ويطبع أكثرها على الآلات الرحوية.. ولكثير من جرائد باريس وجرائد الأقاليم ملحقات أسبوعية مصورة للأزياء والزراعة والشؤون النسائية والفكاهية.

وكانت إدارات الصحف الفرنسية محشورة في دور أرضية أو عمارات في الشوارع الضيقة. ولايزال شارع مونمارتر يحوي إدارات الجرائد اليومية الصغرى وكثيراً من إدارات الجرائد الأسبوعية. فإذا حلت ساعة الظهر وجدت المحررين ورؤساء التحرير محيطين بموائد المطاعم يتناولون طعامهم وسط الأحاديث الشائقة وتبادل النكات الطريفة. وأشهر إدارات الصحف اليومية في باريس إدارة (الماتان) وإدارة (الطان) في الجران بولفار وإدارة (البتي باريزيان) في شارع لافاييت. وإدارة (الجورنال) في شارع ريشيليو، وفيها مسرح وقاعة بديعة للتمثيل والمحاضرات في الدور الأعلى.

وآخر المنشآت الصحافية بباريس إدارة جريدة (الانترنسيجان) وقد جهزت بأحدث معدات الطباعة وحفر الكليشهات ومكاتب الإدارة والتحرير.

المجلات الباريسية

يرجع تاريخ إنشاء المجلات في فرنسا إلى مفتتح القرن التاسع عشر، ومنذ ذلك العهد أخذت تتزايد ويتسع نطاقها حتى زاد عددها على ٤٠٠٠ مجلة، والأكثرية الساحقة منها مجلات عامة ترمي إلى تنوير قرائها وتزويدهم أسبوعياً أو كل أسبوعين أو شهر بمعلومات عن الحركة الأدبية والعلمية والاجتماعية.

وقد أدركت جماعة الناشرين ما تتطلبه الجماهير من ضروب المباحث اللينة السهلة، فأرغموا كبار الكتاب والأكاديميين على التنازل إلى ما يرضي السواد الأعظم من الشعب، واستعان هؤلاء الناشرون على نشر مجلاتهم وترويجها بالتفنن في تصويرها. بل عمد بعضهم إلى إصدار مجموعات دورية ليس فيها إلا الصور. وبعد أن كانت مجلة (الإلستراسيون) قاصرة على فريق من الخاصة أصبحت مجلة الفئة المنورة. وقبل أن يخلو منها نادٍ خاص أو قهوة وذلك لجمعها بين الصور الأنيقة والفصول الممتعة التي يدونها كبار الكتاب.

وأقدم المجلات الفرنسية وأرسخها قدماً في المباحث العلمية والأدبية (مجلة العالمين)، وهي تصدر نصف شهرية مطبوعة على الورق الخشن خالية من الصور والرسوم. وفي كل عدد منها خلاصة تاريخية دقيقة للحالة السياسية وأخبار الحركات الأدبية والعلمية والفنية والمسرحية في فرنسا، ونظر نظرة شاملة إلى الأدب في البلاد الأجنبية. ومنذ نشأت مجلة العالمين وهي محتفظة بلون غلافها الأحمر الداكن.

ويلي مجلة العالمين في الأهمية (مجلة باريس) ذات الغلاف الأصفر الذي لا يتغير، ومباحثها أقل عمقاً من مباحث مجلة العالمين، وفي كل عدد منها مذكرات وتأملات ومراسلات وتراجم بأقلام فريق من الكتاب المعروفين بغزارة المحصول والاطلاع.

ثم (مجلة فرنسا) وهي تزين غلافها بصورة فتاة تنثر البذور إشارة إلى الغرض الأصلي من إنشائها وهو نشر العلوم والآداب، وتمتاز على سابقيها بوفرة ما فيها من القصص وإذاعة دخائر التاريخ.

ويقول المسيو فرنان لادو العضو في المجمع العلم الفرنساوي إن القاريء الذي يواظب على قراءة هذه المجلات الثلاث ويكتفي بها عن سواها قل أن يفوته شيء من ضروب الأبحاث الناضجة والوقوف على التطورات العلمية والأدبية في فرنسا والخارج.

وتأتى بعدها مجلة (مركز دي فرنس) من أقدم المجلات النصف الشهرية وهي مشهورة عند قرائها باستقصاء الشؤون الأدبية وأخبار العلم والصحافة والإدارة في البلاد الأجنبية.

والمجلة الزرقاء كانت تصدر أولا باسم المجلة العلمية ومباحثها الآن أدبية سياسية تلذ لمحبي النظر في الشؤون الحاضرة وطلاب المقالات القصيرة ثم (المجلة) ومعظم مباحثها بأقلام جماعة من الكتاب الأجانب وإلى جانبها مقتطفات قيمة من المجلات الأجنبية وصور هزلية

للأعلام الفرنسيين والأجانب الذين تتداول الصحف والأقلام أسماءهم، وشعارها (خير الكلام ما قل ودل).

والمجلة العمومية، وفي كل عدد منها أربع مقالات يعالج فيها مشاهير الكتاب أهم شؤون الحياة الفرنسية الحاضرة. ثم (لايزنال) وهي صحيفة أسبوعية تجمع بين الصور والمقالات القصيرة في ٣٠ صفحة كبيرة. مباحثها شائقة سهلة ترضي من يريد الاطلاع العام والاكتفاء بنظرة أو نظرات للوقوف على الأحوال الحاضرة سواء في عالم الكتاب أو المسرح أو الألعاب الرياضية أو غيرها.

و(المجلة السياسية البرلمانية) مجموعة شهرية تتضمن مباحث تحليلية للشؤون السياسية والتشريعية في فرنسا والخارج. و(المباحث) وهي مجلة كاثوليكية يديرها الآباء اليسوعيون في فرنسا. ومجلة (فرنسا أمريكا) وهي لسان اللجنة الفرنسية الأمريكية وأهم مباحثها دراسة المسائل الأمريكية الاقتصادية والتجارية والمالية. وتغذي قراءها بأخبار حركة المطابع والفنون في فرنسا وأمريكا..

أما أشهر الصحف الفرنسية بعد الحرب العالمية الثانية فهي:

Le monde ; Le combat parisien Libere

وأشهر مجلات فرنسا في الوقت الحاضر لنقد الكتب

,Fontaine , parias ,

Revue de paris LeMode francui , Lu Nef ,

الفصل التاسع عشر

الصحافة في ألمانيا

لم تعرف الصحافة الألمانية الحرية الصادقة إلا في فترة وجيزة هي التي بدأت على أثر هزيمة ألمانيا في ١٩١٨ وإنشاء الجمهورية والأحزاب السياسية العديدة. أما قبل ذلك فقد كانت مقيدة، وكانت تعنى بالعلوم والمخترعات والفنون أضعاف عنايتها بالسياسة.

أما في عهد هتلر، فقد جعل جوبلز وزير دعايته الصحافة الألمانية أداة نازية، وبوقا لهتلر، فقدت أهميتها، إذ أصبحت أسيرة وكان في ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى (١٩١٤- ١٩١٨) ثلاث دور للصحافة: أولشتاين، وموسى، وشيرل، وهي بين الفخامة وصغر الحجم، كثيرة الانتشار، كثيرة التنوع والتخصص يكتب فيها أعلم العلماء، وأشهر الفنيين. وزاد انتشار بعضها على المليوني نسخة.

وبنى إخوان (أولشتاين) داراً جديدة في ضواحى برلين لتأوي مطبعتهم العظيمة، وهذه الدار فريدة في نوعها بما ضم من أنواع الطباعة وهي أكبر دار للصحافة. أما أصحاب هذه الدار فهم أخوة أربعة ترك لهم والدهم مركزاً صحافيًّا جيدا عرفوا كيف يستثمرونه بما فطر عليه الألمان من الاجتهاد وحب النظام والإتقان، فقسموا العمل بينهم فتولى أحدهم إدارة التحرير، والآخر إدارة القسم الفني، والثالث إدارة القسم الإداري، والرابع إدارة الشؤون القضائية التي تعرض لإدارتهم وظلوا يعملون متكاتفين مثابرين إلى أن أدركوا ذلك التقدم الباهر. وفي الدار يحتشد آلاف العمال للعمل كأنك في قصر فخم أنيق جميل شيّد على أبدع نظام لا يقع فيه نظرك في أي جانب منه على أثر للحبر أو شبه قذارة، وكأن أولئك العمال كتبة من أرقى الطبقات، وهناك التفصيل التالى:

(١) تبلغ مساحات ما تشغله دور أولشتاين في برلين وضواحيهما ٧٠٠٠٠٠ مترا مربعا

(٢) يشتغل في محلات أولشتاين ٨٢٥٣ نفسا منهم ٢٠١٣ كاتباً ومحرراً ورساماً و ٢٤٤٣ فنيًّا وعاملاً في المطابع و ٢٧٩٨ بائعاً ووكيلاً في العاصمة والأرياف

(٣) لدار أولشتاين ٢٢٠ مراسلاً خاصاً منهم ١٨٦ في ألمانيا نفسها و ٣٤ موزعاً بين عواصم الدول في جميع أقطار العالم

(٤) يمكن التكلم والكتابة في دار أولشتاين بـ ١٨ لغة متنوعة

(٥) يدفع أولشتاين شهريًّا لمصلحة البريد خمسة آلاف جنيه أجراً لمراسلاته

(٦) يتصل محل أولشتاين بالمدينة بواسطة ٩٢ رقماً تليفونيًّا رئيسيًّا و٥٤١ فرعا داخليًّا

(٧) بلغ مقدار ما استهلك من الورق في السنة الأخيرة ما قيمته نيفاً وثلاثة ملايين من الجنيهات ومن الحبر ما زنته ٦٢٥ طناً

(٨) في مطبعة أولشتاين ٧١ آلة روتاتيف لطبع الجرائد و ٦١ روتاتيف لطبع المجلات المصورة و٥٨ آلة طباعة مسطحة و ١١ آلة طباعة على الزنك و ٤ آلات كبيرة روتوغرافير و ٦٦ منضدة لجمع الحروف.

(٩) تخرج دار أولشتاين في الساعة الواحدة ٣٦٠٠٠٠ نسخة من جريدة يومية

(١٠) يملك إخوان أولشتاين ١٠٣ سيارات نقل كبيرة ومركبين بخاريين و٣ طائرات لنقل جرائدهم ومراسلاتهم المستعجلة، وإليك أسماء الصحف التي تصدر عن هذه الدار مع بيان ما تطبع منها، ونكتفي بذلك تاركين للقاريء مجال التأمل والمقارنة بين تقدمهم وتأخرنا.

جرائد يومية	ما يطبع منها
فوسيش زيتونغ	٥٤٢٨٠
ملحق يوم الأحد من زيتونغ	٦١٥٦٠
زايت بيلد	٦٢٣٣٠
برلينر مورجن بوست	٥٦٤٠٢٠
ملحق الأحد من مورجن بوست	٦٢٦٧٢٠
برلينر مونتاج بوست	١٢٩٧٣٠
جريدة الظهر	١٧٨٧٠٠
برلينر الجملين زيتونغ	٥٥٥٧٠
د بوست لوس دوتشلاند	٥٨٣٠
توتنج تادش إنزايجر	٥٧١٠
مجلات أسبوعية	مايطبع منها
برلينر اللوستريرتى زيتونغ	١٧١٣١٠٠
دي دامي (مجلة للسيدات)	٤٥٠٥٠
مودنفلت (للأزياء)	٧٢١٦٠
درهاوسفراو (تدبير المنزل)	١٤٦٤٠٠
مجلات شهرية	
أوهو	١٦٨١٧٠

دي كورالي	٤١٩٣٠
در كوبر شنيت	١٣٠٠٠
نركير تكنيك	٢٦٤٠
باوفلت	١٢٤٠٠

الفصل العشرون

الصحافة في إيطاليا

ازدهرت الصحافة في إيطاليا في عهد جهادها في سبيل الاستقلال أي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وزاد عددها وقراؤها وصفحاتها في القرن العشرين. وكانت تنعم بالحرية قبل عهد الفاشيست ولكن في عهد موسوليني فقدت حريتها، وأصبحت بوقاً له وأداة لنشر مبادىء الحكم المطلق. وقد صدر قبل الحرب العالمية الثانية الإحصاء التالي عن الصحافة الإيطالية، ولم يصدر بعده إحصاء جديد منذ هزيمة إيطاليا حتى اليوم:

٨١ جريدة يومية

١٣٢٠ من المجلات السياسية

٣٨٥٩ من المجلات غير السياسية

٧٠٠٠ من النشرات الدورية التي ليست لها صفة المجلة
٥٨ من صحف الأخبار الرسمية
٣١ نشرة تصدرها وكالات الصحف والأخبار

وأكبر الصحف من حيث العدد المطبوع جريدة كوريري دلا سيرا التي تصدر في مدينة ميلانو فطبعتها نصف مليون نسخة ثم جريدة ستامبا التي تصدر في تورينو (٤٠٠٠٠) نسخة، ثم غازت ليوبولو في تورينو أيضا (٣٠٠٠٠٠) نسخة، ثم يوبولو ديتاليا في ميلنو (١١٠٠٠٠) نسخة ثم مساجيرو في روما (١١٠٠٠٠) نسخة ثم جورنالي ديتاليا في روما ورستو دلكارلينو في بولوتي (١٠٠٠٠٠) نسخة لكل منهما ثم ماتينو نابلي (١٣٠٠٠٠) نسخة ثم تريبونا في روما (٧٠٠٠) نسخة....إلخ

وفي إيطاليا ٤٢٨ مجلة دينية منوعة، والصحافة الكاثوليكية تكاد لا تخضع للرقابة الفاشتية.

وابتدعت إيطاليا (صحف التعليق) وهي الصحف التي تلصق على الجدران لمصلحة الجمهور كما في روسيا السوفييتية، وبعض هذه الصحف يطبع ٥٠ نسخة تعلق حتى في المستعمرات

الصحفي موسوليني

أجل كان الدكتاتور الإيطالي بنيتو موسوليني، الذي لقي حتفه في ذبول الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ – ١٩٤٥) صحفيًّا، ومن الصحافة قاد الحركة العثمانية.

كان مكتبه مؤلفا من ثلاث غرف في بيت قديم متهدم في شارع (باولو دا كانو بيو) بمدينة ميلانو وكان الورق الذي يغطي الجدران باهت اللون ممزقاً ومكاتب المحررين مكسرة عوجاء، وأكثر الكراسي لا مقعد لها.

وكان المحررون غريبي الأطوار جمعهم من أنحاء إيطاليا المختلفة، ولكن شعلة النبوغ كانت تتقد في أدمغتهم وشعلة الحماسة في صدورهم ويتصفون فوق كل هذا بثقة لا تحد بمثلهم الأعلى.

وكان موسوليني يمقت الوثائق والأوراق الرسمية فكان لا يطلب من محرريه شهادات الميلاد ولا شهادات المدارس حسن السير والسلوك، وكان يقول: " إذا كان ثمة ذكاء فلا يلزم أن يظهر أثره في مستندات المدارس والكليات " وكل ما كان يرضيه يقوله لمساعديه (اعملوا هذا وذاك) فإذا أدوا المهمة على ما يرضيه قبلهم في عداد محرري الجريدة وإلا أنجز العمل بنفسه ثم صحبهم إلى الباب وودعهم وداعا كله لطف وحزم وبهذه الطريقة جمع حوله أبرع صحافيي إيطاليا وأبلغهم عبارة

وألذعهم نقدًا ثم جمع حول هؤلاء هالة من رجال الفن والموسيقى والخطابة والتنظيم السياسي.

وكانت اللوحات معلقة في كل مكان، وقد كتب عليها عبارات الغرض منها تنظيم المحررين والزائرين الذين كانوا يحاصرون قلم التحرير.

وكتب على إحدى هذه اللوحات: "من يستعمل خمس كلمات ليقول شيئًا يمكن قوله في كلمة يستطيع أن يرتكب أفظع الجنايات"

وكتب على لوحة ثانية علقها فوق رأسه: "من يدخل يشرفني ومن لا يدخل يسرني "

وكتب على أخرى وقد رفعت على أحد المكاتب: "من لا يستطيع أن يحتفظ بالصمت في أثناء عمل زميله لا يستطيع أن يحس ببؤس الناس وشقائهم"

وكان معلقاً على الجار العاري علم (الأرديتي) الأسود و(الأرديتي) هم الجنود الذين كانوا يتقدمون الصفوف في ميادين القتال في أثناء الحرب ويجازفون بأرواحهم قبل غيرهم. وزين العلم بجمجمة وخنجر من خنادق الحاذق. وكان على مكتبه كومة من الكتب وطائفة كبيرة من أصول المقالات وبينها مسدس كبير ذو عشرين طلقة كأنه علامة استفهام مقلوبة. وفي الجانب الآخر سكين ضد حاد، وعلى مقربة من المحبرة

مسدس صغير وفوق المقالات الكثيرة علبة تلمع بخرطوش المسدسات وفي زاوية الغرفة مدفأة أكل الدهر عليها وشرب.

وكان موسوليني يجهز نفسه ومكتبه بالأسلحة ليدافع بها عن سلامته إذا دعت الحالة إلى ذلك فإن خصومه كانوا لا ينقطعون عن التظاهر تحت إدارة جريدته وهم يهتفون هتافات عدائية ضده. وفي ذات يوم حذره أحد مساعديه من شرهم فالتفت إليه باسمًا وقال: " إن هذا المسدس يصرع اثنين على الأقل قبل أن يصيبني سوء وليس بين هؤلاء اثنان يجازفان بجلدهما".

ثم تناول كوب اللبن التي كانت أمامه تعده له وأخذ منها جرعة كبيرة واستأنف الكتابة!

ولم يكن في مكتبه خزانة مراجع ولكن عقله كان مرجعاً لأنه كان يخزن كل ما يقرأ أو يرى، لا يدون في دفاتره ملاحظات، ولا يراجع كتب التاريخ والنظم السياسية وكان التفكير عنده هو والعمل صنفين فكان يفكر أينما كان: في سكة الحديد، أو في المسرح في الفترات بين الفصول أو في أثناء الحديث، وكان يكتب في مكتبه الهادىء أو في جماعة صباحية من الأصدقاء أو في المستشفى أو في ميدان الحرب ورجله دامية أو في الخندق. وصفوة القول إن بيته أو مكتبه كان حيث يتفق وجوده. أما أسلوبه الصحافي فكان أسلوبه الكلامي قاطع كحد السيف. وربما كان منشأ ذلك أنه خطيب عظيم وفي خطابته تلك القوة

الخفية التي تسحر الجماهير. وكان وهو صحفي لا يأكل إلا الخبز و(المورتدلا) وكثيراً ما كان ينام على مكتب التحرير..

وكان (موسوليني) ينشىء المقالات للصحف الإنجليزية والأمريكية، وكان يربح منها ما يسمح له بالتنازل عن مرتبه كرئيس للحكومة فلم يكن يتقاضاه.

الفصل الحادى والعشرون

الصحافة في روسيا

لم تعرف روسيا – منذ عرفت الصحافة وأصدرت الصحف – حرية الصحافة، وسائر الحريات من حرية الخطابة وحرية الاجتماع؛ فقد كانت الصحافة في عهد القياصرة تحت الرقابة الشديدة أو مقيدة مكبلة بالقيود والأغلال، وكان الكتاب الأحرار أو أشباه الأحرار هدفاً للمصادرة والمحاكمة والاستبعاد والتعذيب. على أنه مهما يكن من أمر هذه الرقابة يومئذ، فإن حالة الصحف في عهد السوفييت أسوأ جدًّا من حالتها قبله. كان هناك صحف تنقد وكتاب ينقدون ويعارضون في صورة خفية، وكانوا حقا معرضين للمؤاخذة، غير أن الرأي العام أو قل الجمهور كان يطلع على بعض ما يريد على أبواب من النقد الجريء كما يقرأ الصحف الخارجية الحرة..

أما في العهد الحاضر، عهد الشيوعية، فأصبحت بوقا للحكم الراهن وأداة لترويج المباديء الشيوعية، وهي صحف حكومية، كتابها موظفون، و ليست هناك أية صورة من صور الانتقاد أو المعارضة أو الحرية. صحيح أن عدد الصحف قد زاد كما يقول مارك نورث في مجلة برسيوش إلى عشرة أضعاف عددها في العهد القيصري، غير أن هذه الزيادة أريد منها الدعاية للنظام الجديد لا لخدمة الصحافة والرأي الحر النزيه، كذلك زاد انتشارها إلى أربعة عشر ضعفاً فأصبحت هناك نسخة لكل خمسة أشخاص، وذلك في عام ١٩٣٩.

أما بعد الحرب وأثناءها فقد قلت الجرائد وعدد صفحاتها وأصبحت تصدر في أربع صفحات زيدت في ١٩٤٧ إلى ثمان مع الطبع بألوان ومن أشهر الصحف الروسية الحاضرة: موسكو، وهي مسائية، وبرافدا (النجم الأحمر)، توجوتيك (رجل الجيش الأحمر) .

هذا ويرأس ج. ف. الكسندروف لجنة الدعاية في الحزب الشيوعي، وهي تتولى توجيه التحرير والمحررين. ومن أغراض الصحف هناك: التعليم، والتنظيم، وبث الحماسة، ومدح الحكومة وذم خصوم النظام السوفيتي داخلاً وخارجًا، والترفيه، والجرائم، متى أريد من نشرها النظام الدعاية لفكرة معينة، والقصص الصغيرة، والمقالات الاقتصادية، والدولية، والثقافية، والأدبية. ومن محرريها: ايرنبورغ، وسيمونوف. وثمة وكالة (ناسا) لنقل الأخبار الخارجية.

ويذيع الراديو المقالات الافتتاحية الصحفية، لأنها معدة رسميّاً للدعاية وتعلن الصحف عن المراقص ومباريات الشطرنج والملاهي والبضائع والإعلانات الرسمية عن قضايا الطلاق. أما الإعلانات فيخصص لها ذيل في الصفحة الأخيرة. كذلك تنشر الصحف أنباء المؤتمرات الدولية والمفاوضات والزيارات الرسمية والمعاهدات وخطب ستالين أقطاب روسيا في الميزانية، والمشروعات الاقتصادية وتفصيلات محاكمات مجرمي الحرب، وتعطل الصحف كلها في يوم الأحد.

وثمة نوع من الانتقاد في الصحف، وهو انتقاد حالة المتأخرين في الشعب، وقلة الإنتاج، وضعف المزارع والمصانع، حثاً لهم على المزيد، أما انتقاد نظام الحكم وأقطابه ولو من طرف خفي، فمحرم ويعاقب عليه بعقوبات صارمة تصل إلى الموت.

وقد بلغ ما كان يوزع من (برافدا) و(اسنتسيا) قبل الحرب العالمية الأخيرة مليوني نسخة وتنقل النسخ الجو من موسكو. وتصدر في المدن الأخرى صحف مثل، ليننجراد برفدا، وستالينجراد برافدا، وعامل باكو، وعامل الروال. وفي سنة ١٩٣٩ بلغ عدد الصحف ٨٧٦٩ ثلاثة أرباعها بالروسية. والباقية بـ ٦٩ لغة أخرى وبين الصحف ٤٣ عامة والباقية محلية. وثمة صحف تجارية ومهنية. ومعنى برفدا: (الصدق) واستفستيا: (الأخبار)، وتردد:(العمل) ثم إيفننج موسكو.

ثم إن هناك صحف الشباب، ومؤتمرات صحفية، ومحاضرات صحفية، وكان في روسيا منذ سنة ١٩٤٢ صحيفة تصدرها الحكومة البريطانية اسمها (الحليفة البريطانية) صدرت بموافقة الحكومة الروسية على أن لا يزيد عدد نسخها على خمسين ألفا، وكانت تنشر الأخبار البريطانية مثل خطب رئيس الوزراء البريطانية ووزراء خارجيتها، والشخصيات البارزة والصور والقصص وأنباء عن العلوم والصناعات والمؤسسات البريطانية.

الفصل الثانى والعشرون

الصحف السرية

يصاحب الاحتلال الأجنبي أو تقيد الحريات العامة أو محوها في بلد ما، تيارات سياسية خفية، كإنشاء الجماعات السرية وتأليف جمعيات الإرهاب والفوضى، ومؤامرات الاغتيال، وتوزيع المنشورات الثورية، وإصدار الصحف المصرية.

وكان من آثار احتلال دول المحور الأوروبية في خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ – ١٩٤٥) أن صدرت الصحف السرية خلف الغشومة النازية الفاشية، وحسبنا أن نذكر من هذا أنه قد صدرت في فرنسا صحف سرية تبين كل مظاهر الفكر منها جريدة (بير حكيم) التي

كانت تقوم كذكرى لحرب ليبيا وحين حمى الفرنسيون المقاتلون تحت قيادة الجنرال (كوينييج) جناح الجيش الثامن.

وكان في كل مقاطعة في فرنسا، صحف أسبوعية ونصف شهرية تطبع في أماكن سرية خفية، ولعل أكبر مظاهر التحدي الذي فعلته تلك الصحف، ما كتبته جريدة (لا فرانس تيرير) – و(تيرير) كلمة فرنسية معاها (مطلق النار)، أو الرامي بالرصاص، وهو اسم اقتبسته عن العصابات الفرنسية التي طردت الجيوش الألمانية في الحرب الفرنسية البروسية – فقد نشرت هذه الجريدة تحت اسمها هذه الكلمات: "جريدة نصف شهرية إذا أمكن، وإذا سمحت كياسة البوليس وبيير لافال"

أما جريدة (ليبراسيون) أي (التحرير والإنقاذ) فقد ذكرت أنها لسان حال رجال المقاومة الفرنسية . وكانت تتولى جريدة (فرانس دابور) – أي فرنسا في الخارج، نقل أنباء وحركات الوطنيين في فرنسا.

وكان أهم ما تعنى به هذه الصحف هو إذاعة النشرات الحربية بانتظام، وتلخيص التقارير والأخبار العسكرية في دقة تامة وعناية وكانت (فالمى) أولى الصحف السرية التي تعتبر رمزاً للمقاومة الفرنسية... وكانت أول عهدها عبارة عن منشورات صغيرة تلصق على الجدران، وتحمل عبارات قصيرة بسيطة مثل: "يحيا دي جول"... أما أول نسخة صدرت منها في شكل صحيفة فقد طبعت بمجموعة من الحروف

المصنوعة من المطاط التي يلعب بها الأطفال، ونشرت منها ٥٠ نسخة فقط، استغرق طبعها شهراً كاملاً.

أما في اليونان هناك ١٣ صحيفة سرية تكون فيما بينها شبكة مطردة الاتساع والانتشار، ولمعظم هذه الصحف مصادر وثيقة للأنباء، فكانت تنشر باستمرار أنباء الحركات في الميدان الروسي، وفي شمال إفريقيا، وفي كل مكان.

أما في بولندا فكانت الصحف السرية أكثر من ١٠٠ صحيفة، ومع أن الإنصات للإذاعات الأجنبية كان جريمة تعاقب عليها السلطات المحتلة بالإعدام. فإن هذه الصحف السرية كانت تنشر معظم الأخبار الحديثة التي تذاع من الخارج، وهي إلى جانب العناية بالأنباء كانت تنشر مقالات سياسية، وبحوثا تاريخية وطرائف فكاهية، كما أنها كانت تعنة بنشر أسماء أعوان (الجستابو) السريين وأسماء الأشخاص الذين يتعاونون مع الألمان، ولقد استطاعت الحركة السرية في بولندا – بما هي عليه من تضامن وتكاتف – أن تجعل الشعب البولندي في حالة تأهب واستعداد لمواجهة الموقف حين يشن الهجوم العام.

وفي تشيكوسلوفاكيا لعبت الصحافة السرية دوراً عظيم الأهمية، في الأيام الأولى للاحتلال الألماني، قبيل اندلا ع نار الحرب الحاضرة، حين أحس التشيكوسلوفا كيون أنهم غدوا في معزل عن الأصدقاء بعد (اتفاقية ميونيخ) وأن الميدان قد خلا للدعوى النازية، فكان للصحافة السرية

نصيب الأسد في مكافحة هذه الدعاوى. ولقد يكون من العسير إحصاء الصحف التي تنشر في الخفاء، ويكون من العسير إحصاء الصحف التي تنشر في الخفاء، ولكن هناك خمساً منها – على أقل تقدير – تصدر بانتظام، حالة في جرأة وإصرار لواء الجهاد

وليست لأهمية الدور الذي تلعبه الصحافة السرية في النتيجة النهائية للحرب، بالأمر الذي يحتاج إلى إيضاح. وقد لخصت هذه الأهمية إحدى الصحف اللندنية المعروفة في هذه الكلمات: "إن الحقائق التي عرفت عن الصحافة الأوربية السرية، تبعث الأمل في نفوس الحلفاء والخوف في قلوب النازيين... إن المقاومة السرية في أوروبا لتنمو اليوم في ضوء من الحقائق الثابتة، التي تصل إلى المشرفين على إذكاء جذوة هذه المقاومة، وإن الأخبار الصادقة لهي المورد الأول لري الأمل الذي يختلج في الصدور باقتراب يوم الحرية"

الصحف البوليسية

الصحف البوليسية نوعان: الأول صحف تنشر أهم أنباء البوليس ونشاطه وتحقيقاته والقضايا الجنائية والقصص البوليسية المثيرة، أما النوع الثاني فتصدره إدارات البوليس ومدارسه كصحف رسمية. ومن هذا جريدة البوليس جازيت في إنجلترا، فهي تساعد على استتباب الأمن والضرب على أيدي المجرمين والأشرار ومطاردتهم والقبض عليهم. ويقوم بتحرير هذه الجريدة مفتشو البوليس، ومع أنها تصدر مرة في الأسبوع فإنها تتكلف نحو ١٧٠٠٠ جنيها في السنة وتحتوى الـ (بوليس

جازيت) على بعض أشياء مهمة لا يسمح للجمهور بالتطلاع عليها، وهي توزع عادة على مراكز البوليس في جميع أنحاء إنجلترا والمستعمرات.

ومن بين أقسامها قسم خاص بنشر صور الهاربين من المجرمين والفارين من الجيش والبحرية، ويعهد (الكنستبلات) ورجال البوليس إلى قطع هذه الصور ولصقها في المجاميع التي يحتفظون بها معهم، وبذلك يسهل عليهم تعقب هؤلاء الفارين والتعرف عليهم.

وهناك قسم آخر خاص بوصف السيارات المسروقة وأرقامها، وتوزع منه نشرة على شركات السيارات ومحطات البنزين والجراجات.

وقسم ثالث خاص بوصف الأشياء الثمينة المسروقة، وصورها مثل التحف الفنية والمجوهرات وما أشبه ذلك. وتوزع نشرة منه على تجار المجوهرات حتى إذا ما حضر إليهم بعض اللصوص ليبيعوهم أشياء مسروقة عرفوها في الحال فيتصلون بالبوليس ويلقي القبض على السارقين.

جريدة الغجر

أصدر الغجر منذ ١٥ عاما جريدة كان عنوانها "أمة الغجر" فكانت أول مظهر من مظاهر استقلال الغجر كشعب. وعدد الغجر في رومانيا يزيد على المليون، وقد حدث أثناء الإحصاء العام الذي أجري في رومانيا في العام الماضي أن اعتبر الغجر (لأول مرة) جنساً من الأجناس المستقلة، وكانوا قبل ذلك يعتبرون رومانيين، كما لا يزال الغجر المقيمون

في هنغاريا يعتبرون هنغاريين. وقد عقد في ترنسلفانيا (رومانيا) مؤتمر خاص توافد عليه الغجر من جميع أنحاء العالم، وكان الغرض من هذا المؤتمر هو دعوة الشعب الغجرى إلى الاتحاد والعمل على رفعه من المستوى الذي تردى فيه. وكان رئيس هذا المؤتمر هو الدكتور نيكوليسكوا الأستاذ بجامعة (كريوفا) وقد نشر هذا الأستاذ في جريدة الغجر مقالا رناناً ناشد فيه كبار الموظفين الرومانبين الذين يشغلون مناصب مهمة في الدولة والذين هم من أصل غجري أن يصرحوا بحقيقتهم وألا يخجلوا من نسبتهم إلى الشعب الغجري.

النساء والصحافة

انتظمت في سلك الصحافة في مصر والبلاد الأخرى، الكثيرات من ربات القلم والصحفيات، ووضح أن الصحافة إحدى المهن التي توفق فيها المرأة. كذلك هناك صحف تخصصت للحديث عن المرأة والحركة النسائية وجمعيات الأمهات والسيدات.

وفي مصر الاتحاد النسائى الذي كانت ترأسه المرحومة السيدة الجليلة هدى هانم شعراوي، والحزب النسائي وجمعية السيدات المسلمات، وجمعية الشابات المسيحيات، ولكل جهة صحيفتها ومحاضراتها.

مؤتمرات ومعارض صحفية

وعقدت مؤتمرات ومعارض عديدة للصحف. ونذكر فيما يلي مما عقد منها أخيراً على سبيل المثال:

أذيع في ١٨ مايو سنة ١٩٤٧ من ليك سكسس (نيويورك) أن كلا من أمريكا وفرنسا قد قدمت مقترحات خاصة بتعزيز حرية الصحافة إلى اللجنة المختصة بحرية الأنباء والصحف في هيئة الأمم المتحدة، وستبدأ اللجنة عملها في ١٩ مايو، ومهمة هذه اللجنة هي إعداد جدول أعمال المؤتمر الدولي الخاص بحرية الصحافة، والمنتظر عقده في عام ١٩٤٨.

هذا والمقترحات الفرنسية تقضي بأن يرتبط أعضاء هيئة الأمم المتحدة بالتزامات تكفل لجميع الشعوب حرية الاطلاع على الأنباء، ولكنها تعمل في الوقت نفسه على حمايتها من سوء استغلال هذه الحرية. ويقترح الفرنسيون إنشاء هيئة دولية تنظر في الشئون الخاصة بالصحف على نمط محكمة الشرف التي أنشئت منذ ١٦ عاماً في لاهاي، ولكنها لم تضطلع بمهمتها إطلاقا..

أما المقترحات الأمريكية فتتلخص فيما يلي:

أولا — تسهيل جمع الأخبار ونشرها في أنحاء العالم.

ثانيا – احترام حق جميع الشعوب في الاطلاع على أنباء دقيقة شاملة.

ثالثا – إنشاء هيئة من المراسلين الأجانب في جميع المراكز الرئيسية في العالم تعمل طبقاً لقواعد أخلاقية تسترشد بها.

حرية الصحافة في هيئة الأمم المتحدة

أدرجت لجنة حرية الصحافة التابعة لمنظمة (هيئة الأمم المتحدة) لاجتماع الدورة الجديدة ما يأتي:

١–حرية دخول مراسلي الصحف من الدول التابعة لمنظمة (هيئة الأمم المتحدة)

٢–إلغاء المراقبة الصحافية وإيجاد أجور للبرقيات الصحافية لا تمييز فيها لجميع الدول .

٣–زيادة التسهيلات اللازمة لتزويد جميع المراسلين بالأخبار

٤–دراسة الوسائل اللازمة لتحسين مواد الأخبار

هذا وقد طلبت المنظمة من حكومة لبنان ملاحظاتها على هذه الأمور، وقد أرسلت اللجنة في عام ١٩٤٧ هذا البرنامج المقيد في جدول الأعمال إلى الحكومات المنظمة للهيئة، واستطلعت هذه الحكومة رأي نقابات الصحافة، وأعدت ملاحظاتها وبعثت بها إلى اللجنة لكي تكون موضع المناقشة في الدورة الجديدة.

مؤتمر الصحافة الدولي في براغ

عقد مؤتمر الصحافة الدولي أولى جلساته بقاعة سلوفنسكي ببراغ في تمام الساعة التاسعة من صباح يوم ٣ يونيو سنة ١٩٤٧. وبلغ عدد الدول التي اشتركت في المؤتمر نحو ٣٣ دولة. ورأس جلسات المؤتمر المستر كينيون (إنجلتر). وشهد حفلة الافتتاح وزير الخارجية التشيكوسلوفاكية المسيو جان مازاريك، ومحافظ براغ، وجميع الملحقين الصحفيين بمفوضيات الدول الأجنبية.

وبعد إعلان افتتاح المؤتمر ألقى المسيو مازاريك خطاب ترحيب بالأعضاء نوه فيه بأهمية حضور من ينوبون عن هيئة الأمم المتحدة واشتراكهم في أعمال المؤتمر. وكان من أهم ما جاء في خطاب مازاريك قوله:

" إنكم تمثلون آراء مختلفة وتشريعات اجتماعية متباينة ووجهات نظر متعارضة فيما يتعلق بمعنى حرية الصحافة، ولذلك نتوقع أن تكون مناقشاتكم مليئة بالفائدة والحياة... وإنه ليسرنا حقا أن يتقابل هنا مؤيدو آراء سياسية واجتماعية متعارضة وأن يتناقشوا ويبحثوا، فإن الذي يفيد من هذا كله هو القاريء العادي للصحف الذي لا يعرف ما وراء العناوين التي يقرأها! "

وأضاف المسيو مازاريك إلى هذا أن العالم وقد مر خلال مرحلتين في وادي الظلام والموت يستحق اليوم أن نعفيه من تجربة ثالثة، ولذلك

فإن المثل الأعلى الذي يتطلع إليه الناس جميعاً في هذه الأعوام هو أن يكتب لهم قادة الرأي ما يصح أن يطلق عليه اسم (أنشودة السلام).

ووجه الوزير الكلمة إلى الصحفيين قائلا: " وأنتم الذين ستقومون بوضع هذه الأنشودة" ثم ناشدهم ألا يسخروا من هيئة الأمم المتحدة أو يجعلوا منها أضحوكة إذ أنها ليست في الحاضر سوى الطريق المؤدي إلى الهدف، وإذا كان لا بد لهم أن ينتقدوها فليكن الهدف من نقدها البناء لا الهدم.

ورحب بالأعضاء بعد ذلك رئيس اتحاد الصحافة التشيكوسلوفا كية ثم خطب رئيس المؤتمر شاكراً للحكومة والشعب التشيكوسلوفاكي ترحيبهما وكرم ضيافتهما، وكان مما قاله:

"إن المؤتمرات تعقد اليوم في براغ بمعدل مؤتمر واحد في كل أسبوع. وبهذا أمكن تشيكوسلوفاكيا أن تغزو العالم كله!".

وبدأ سكرتير الاتحاد الدولي للصحافة بعد ذلك بعرض تقريره، وكان مما جاء فيه أن عدد الدول التي اشتركت في الاتحاد، بعد المؤتمر الأول الذي عقد في كوبنهاجن في العام الماضي، قد بلغ **٢٣** دولة، وأن هناك ثلاثة اتحادات وطنية لا تزال الطلبات المقدمة منها للانضمام إلى الاتحاد الدولي موضع النظر، وهناك خمس دول تشترك في المؤتمر بصفة (عضو مراقب)

ولما عرض على المؤتمر الطلب المقدم من نقابة الصحفيين في مصر للاشتراك في الاتحاد الدولي دعي الأستاذ فرج جبران للكلام فتحدث عن نقابة مصر وتاريخ إنشائها وخلاصة قانونها. ثم اختتم كلامه طالباً من المؤتمر الموافقة على قبولها عضوا في الاتحاد إلا أن رئيس المؤتمر عارض في ذلك وقال في حديثه إنه لا يلاحظ أن المادة ٨ من قانون إنشاء نقابة الصحافة في مصر تنص على أن مجلس النقابة يجمع بين ستة من أصحاب الصحف وستة من المحررين مما يتعارض تمام المعارضة مع قوانين اتحادات العمال.

وعاد مندوب مصر إلى االكلام فقال: وإن كانت هذه المادة تتعارض كما يقول الرئيس مع دستور اتحادات العمال فإنه يرجو ألا تقف حجر عثرة في سبيل قبول طلب نقابة مصر، ووعد بأن يعرض الأمر بعد عودته مع زميله إلى مصر على مجلس النقابة ليعيد بحث الموضوع ويقرر ما يحسن عمله. وتكلم رئيس الوفد البولندي في المؤتمر فقال إنه يرى تعارضا في قانون نقابة مصر بين الأغراض التي تقوم من أجلها النقابات وبين قبول أصحاب الصحف في نقابة واحدة مع المحررين، ولكنه مع ذلك يرى قبول طلب مصر ما دام المتحدث بالنيابة عن وفدها قد وعد بإعادة بحث الموضوع في مصر على هذا الضوء، ولكن رئيس المؤتمر اقترح إحالة طلب مصر إلى اللجنة التنفيذية لبحثه، فوافق المؤتمر على ذلك.

ولما كانت حالة نقابة الصحافة في إيران تشبه تماما حالة مصر من هذه الوجهة فقد أحيل طلب إيران أيضاً إلى اللجنة التنفيذية، وتقرر قبول الطلبات المقدمة من فلسطين واليونان وبلغاريا والمجر ويوجوسلافيا وفنزويلا والفيلبين. كما قيل المؤتمر بعد مناقشة استغرقت نصف يوم الطلب المقدم من الصحفيين للانضمام إلى اتحاد الصحافة الدولي.

أهم أبحاث المؤتمر

وقد تألفت في المؤتمر عدة لجان كان أهمها اللجنة التي كلفت بوضع دستور الاتحاد الدولي للصحفيين، واللجنة التي كلفت ببحث الوسائل العملية المؤدية إلى تمتع الصحف في جميع أنحاء العالم بحريتها كاملة. وقد استغرق بحث موضوع حرية الصحافة أكثر من جلسة وتكلم فيه كثيرون كان منهم الدكتور هوجان، سكرتير اللجنة الفرعية التي تألفت في هيئة الأمم المتحدة لبحث موضوع حرية الصحافة والأخبار، وقد دعا الدكتور هوجان اتحاد الصحافة الدولي إلى الاشتراك في المؤتمر الذي تعقده هيئة الأمم المتحدة في الربيع القادم خصيصاً لبحث هذا الموضوع.

وتحدث كذلك الرفيق من الوفد الروسى: "إن الأمم المتحدة لم تنتصر في الحرب بفضل أسلحتها القوية فقط، ولكن بفضل نشر أفكار الحرية والديمقراطية والصداقة والمساواة بين الأمم"

وألقى الأستاذ فرج جبران على المؤتمر الخطاب الذي كان قد أعده في مصر حضرة النائب المحترم فكري أباظة بك، ولم يتمكن من السفر لإلقائه. وقد دعا فيه الصحفيين جميعاً إلى الدفاع عن حرية الشعوب المظلومة دون تمييز بين الجنس أو اللغة. كما اقترح تخصيص صحيفة واحدة من بين ملايين الصحف في العالم للدفاع من حرية الصحافة.

وفي الجلسة الأخيرة زار المؤتمر المسيو ليون جوهر نائب رئيس الاتحاد العالمي لنقابات العمال وقد جاء ليرد تحية مؤتمر الصحافة لمؤتمر اتحادات النقابات وألقى خطبة قوية أثارت حماساً كبيرًا إذ جاء فيها: "لقد كنا جميعا نناضل لا من أجل اتحادنا أو حقوقنا فقط، بل من أجل الحرية والديموقراطية أيضا، إذ لا يمكن أن يوجد حق بدون حرية ولا حرية بدون حق"

وتقرر أن يعقد المؤتمر القادم في بروكسل سنة ١٩٤٩.

تم بحمد الله وتوفيقه

الفهرس

تقديم ٥
كلمة المؤلف ١١
الفصل الاول
نشأة الصحافة ١٢
أقدم جريدة في العالم ١٦
الفصل الثاني
رسالة الصحافة ٢٣
الصحافة تتزوج من الجمهور ٣٣
صاحبة الجلالة أو السلطة الرابعة ٤٠
من هو الصحفي؟ ٤٤
نزوة صحفي ٤٨
الأمم في نظر الصحف ٤٩
الخيال الصحفي ٤٩
سحر الكلمة المطبوعة ٥٠
الفصل الثالث
الصحافة والأدب ٥٢
الجوائز الأدبية والصحفية ٦٠

الفصل الرابع

الاستبداد وعدو الصحافة الحرية أساسها ٦٣
حرية القول والكتابة ٧١

الفصل الخامس

التعليم الصحفى ومعاهده ٧٧

الفصل السادس

عنصر الأخبار مهمة المخبرين ٨٠

الفصل السابع

إدارات الصحف ٨٣
تحول الصحف إلى شركات ٨٥
طبعات متعددة في اليوم الواحد ٨٩

الفصل الثامن

شركات الأنباء من الصحفيين ٩٠
اختصاص وكالات الأخبار ٩٩

الفصل التاسع

الورق والصحف ١٠٠

الفصل العاشر

رواج الصحف ١٠٤

الفصل الحادى عشر

الرقابة على الصحف ١٠٦
الرقابة في الحرب العالمية الأولى ١٠٨
مراقبة الصحف المصرية ١١٠
الرقابة في عهد الحرب العالمية الثانية ١١٣

الفصل الثاني عشر

الصحافة في مصر ١١٥
في عهد الاحتلال الفرنسي ١١٥
في عهد محمد علي ١٢٠
في عهد إسماعيل ١٢٠
الصحافة الهازلة والكاريكاتيرية ١٢٥
صحفيو الرعيل الأول ١٢٩
السجع في الصحف ١٣١
عصر المبارزات والصحافة ١٣٣
عزومة ١٣٤
زيارة ١٣٥
نكتة قاتلة ١٣٥
حصار ١٣٦
مقلب ١٣٦

في عماد الدين ١٣٧
عريان أفندى ١٣٨
هجوم ١٣٨
صفحات من الحوار السياسي ١٣٨
تعليق الصحف على ما تقدم ١٤٢
خطبة صدقي باشا والتعليق عليها ١٤٤
من الشيخ شاويش إلى سعيد باشا ١٤٥
من هو الشيخ شاويش؟ ١٤٦
الصحافة المصرية اليوم ١٤٧
الصحف الإقليمية المصرية ١٤٨

الفصل الثالث عشر

التشريع للمطبوعات ١٥٠

الفصل الرابع عشر

نقابة الصحفيين المصرية ١٥٢
حديث الأستاذ محمود أبو الفتح ١٥٣
حديث الأستاذ مصطفى القشاشي ١٥٥
الأسلوب الصحفي ١٥٩
الصحافة في السودان ١٦٠
تاريخ المطبعة العربية ١٦٤

الفصل الخامس عشر

الصحافة في البلاد العربية ١٦٩
في المملكة العربية السعودية ١٧٠
الصحافة في العراق ١٧٠
الصحافة في مراكش ١٧٢
الصحافة في أوروبا ١٧٦

الفصل السادس عشر

الصحافة في أمريكا ١٨٠
الصحافة في أمريكا الجنوبية ١٩٤

الفصل السابع عشر

حي الصحف في لندن ١٩٧
فليت ستريت ١٩٧
ملكية الصحافة ١٩٩
جريدة التايمز ٢٠٠
الجريدة والثورة الفرنسية ٢٠١
الرقابة على الجرائد ٢٠٣
زعيمة الصحافة الأوربية ٢٠٤
معاهدة برلين ٢٠٥
معارضة الجريدة لسياسة غلادستون ٢٠٥

إشهار فرنسا الحرب على إنجلترا وهولندا ٢٠٦
الحكم على مؤسسها بغرامة ٢٠٧

الفصل الثامن عشر

الصحافة في فرنسا ٢١٢
المجلات الباريسية ٢٢١

الفصل التاسع عشر

الصحافة في ألمانيا ٢٢٤

الفصل العشرون

الصحافة في إيطاليا ٢٢٩
الصحفي موسوليني ٢٣١

الفصل الحادى والعشرون

الصحافة في روسيا ٢٣٥

الفصل الثانى والعشرون

الصحف السرية ٢٣٩
الصحف البوليسية ٢٤٢
جريدة الغجر ٢٤٣
النساء والصحافة ٢٤٤
مؤتمرات ومعارض صحفية ٢٤٥
حرية الصحافة في هيئة الأمم المتحدة ٢٤٦
مؤتمر الصحافة الدولي في براغ ٢٤٧